مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة



سلسلة من أجل وجدان سليم

قصص وحكايات من عالم الفتيات

تأليف : كمال السيِّد - محمد علي كريمي نيا

القياس: ١٢ x ١٧ عدد الصفحات: ٤٠٠

قصص وحكايات من

عالم الفتيات

مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة

الطبعة الثانية

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

من أهداف مركز عين :

مركز "عين" للدراسات الفكرية المعاصرة، يعنى بتفاعلات الواقع الإسلامي، ويحاول أن يؤصل للحلول والمقترحات تجاه مشكلات الإنسان المعاصر..

كما وينطلق من رؤية راسخة بقابلية الحضارة الإسلامية على قيادة الحياة وتقديم نموذج يتناسب مع احتياجات العصر من غير أن ينقطع عن أصوله ومنطلقاته وثوابته..

يسعى المركز ضمن برامج بحثية وهموم ثقافية ودورات لكتابة البحوث وتصديرها، لتعزيز الوعي الاجتماعي بقضايا الثقافة والأفكار ومناقشة مطاريح التخلف والتسيد لقيم غير أصيلة في المجتمع..

ليس من أهداف المركز أو مطاريحه الاعتناء بالتبشير الطائفي، ويؤمن أن ما يحدث اليوم هو طائفية سياسية تسعى لتجيير كل الدين والإنسان في أتون معركة مصالح دنيئة.. ولا ممانع من دراسات تنطلق من التسامح في التعايش والإيمان بمشتركات الإنسان دون إلغاء الآخر مع الاحتفاظ بالرصانة العلمية وشروطها..

كما يؤمن المركز أن الحلول الإسلامية تنطلق من جذورها المناسبة، ولهذا فهي تحاول التأسيس من منطلقات اسلامية خالصة، بعيداً عن كل التحيزات المحيطة..

مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة

قصص وحكايات من

عالم الفتيات

محمد علي كريمي نيا

كمال السيد

دار النبلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

امتدت تجربتي في ترجمة الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارىء الى ما يقرب من عام كامل، ولم يكن مسار الترجمة مستمراً زمنياً إذ تـخللتها فـترات انقطاع وعودة ولعلّ مررّ ذلك يعود الى أسباب منها ان الكتاب يشتمل على مئة قصّة جمعت نصوصها بالفارسية وتنتمي في مسـاحة مـنها الى نـصوص عـربية وغربية اضافة الى النصوص الفارسية ولا يجمع بينها سوى الاطار العام وهو عالم الفتيات.

والنصوص المجموعة انتخبت من صـحف ومـجلات ومـن كـتب أدبـية وتاريخية وحتى من دراسات نفسية.

كما إنّ بعضها كُتب بطريقة فنية وأخرى صحفية وثالثة باسلوب لا يمت الى ما ذكر.

ومن هنا فقد يبدو الكتاب غير منسجم في الشكل وإن بدا ان الذي أعدّه بالفارسية كان يرمي الى تقديم تجارب متعددة من واقع الحياة من أجل ترشيد الفتاة المسلمة؛ غير غافل عن جانب الامتاع الذي تـوفره الحكـايات كـمقاطع انسانية منتزعة من الحياة البشرية.

ولعلّ الكتاب الذي أعيد طبعه مرّات بالفارسية قد دفع بالسيد فخراوي الى اقتراح ترجمته الى العربية ؛ وهو كمثقف ومهتم بالاتجاهات الثقافية فـي بـلاده المطلّة على الخليج رأى ان اتجاهاً كهذا قد يلقى استقبالاً من لدن الشباب الذين يبحثون عن هذا اللون من الكتب في ساحة تكاد تكون مقفرة.

وقد حاولت كمترجم ان اقدّم باخلاص هذه المجموعة من الحكايات والقصص كما هي ليتعرّف القارىء ما يكتب في الصحافة الايرانية للفتيات وعن الفتيات وطبيعة المشكلات والظروف التي تعيشها الفتيات في ايران.

ولقد اضفت الى المجموعة بعض القصص أو الفصول الروائية كنت قد كتبتها في فترات سابقة.

أتمنى أن يلقى الكتاب استقبالاً من الشباب وأن أكون قد وفقت كمترجم في تقديمه الى شبابنا القارىء.. والله الموفق

كمال السيد

(١)

الفتاة الحرّة

جاءت فتاة إلى سيّدنا محمد (ﷺ) وشكت اليه أباها، وتساءل النبي (ﷺ) عما فعله أبوها ؟

قالت بحزن:

ـ يا رسول الله زوّجني من ابن أخيه دون مشورتي ورضاي.

فقال النبي (ﷺ): فأطيعي أباك وارضي بابن عمك ؟

قالت الفتاة: كيف اعيش مع من لا أحب؟!

فقال النبي (ﷺ): إن كنت لا تحبيه فانت حرّة انتخبي من تحبّين.

قالت الفتاة: اني لأحبُّ ابن عمّي ولا أرضى سواه وانما شكوت أبي اليك لأنّه لم يتحدث اليّ ولم يستشرني ... ولقد فعلت ذلك حتى تعلم النساء بعد هذا أن الآباء لا حقّ لهم في تزويج بناتهم ممن لا يحببن ولا يرضين به.

* * *

٢

الفتاة الكريمة

كان عمران من أنبياء الله ، وكانت زوجته مثل كل النساء تتمنى أن يرزقها الله ولداً، كانت كلما رأت طفلاً انتابتها مشاعر تهزّ وجودها ، وربّما تسمّرت في مكانها تتأمل ذلك الطفل دون أن تحس بما يجري حولها ، حتى إذا عـادت إلى رشدها مضت والحسرة تملأ نفسها ، ثم تنظر إلى السماء الصافية تطلب من الله أن يمنحها طفلاً يؤنسها .

وتمرّ الايام وتشعر تلك المرأة التقية أن الله استجاب دعـوتها وأن الحـياة تدبّ في اعماقها ، وتتوجه المرأة الصالحة إلى الله تشكر له نعمته ...

ظهرت علائم الحمل ، وشاعت الفرحة والأمل في نفسها ... وتـنطلق إلى المعبد لتقدّم حملها نذراً لله قالت بخشوع :

- **﴿رب اني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل مـني انك انت السـميع العليم﴾**[1].

---

(١) آل عمران : ٣٥.

ونذرت المرأة التقية ما في بطنها ليكون خادماً لله وفي ذلك الزمان كان بعض الناس يرسلون أولادهم الذكور ليخدموا في المعبد.

وتعيش السيدة التقية آلام المخاض والميلاد، وعندما تصغي إلى بكاء الوليد ابتسمت شاكرة لله.. وتقع عيناها على الوليد كانت بنتاً!!

غابت الابتسامة عن وجهها وارتسمت فوق وجهها الشاحب حيرة.. كيف ستفي بنذرها إذن؟ انها فتاة والفتاة لا يمكن ارسالها لتخدم في المعبد... نظرت إلى السماء وقالت:

- **﴿ربِّ اني وضعتها انثى﴾**[1].

كانت زوج عمران عندما نذرت لله ما في بطنها محرّراً... كان يدور في خلدها أنها سترزق صبياً... وعندما ولدت مريم.. أسقط في يدها لانها سوف لن تتمكن من الوفاء بنذرها.

ولم تطل حيرة المرأة التقية.. لان الله جعل لهذه الفتاة شأن، ستكون سيّدة مباركة.. فالفتاة يمكن أن تخدم في المعبد المقدس؛ يمكن أن تلج المحراب.

لأن الله ينظر إلى خلقه سواسية نساءً ورجالاً وذاب قلق السيدة التي هتفت:

- **﴿وليس الذكر كالانثى﴾**[2].

وعندما اطمأنت السيدة التقية إلى وحي الله... عند ذاك سمّت ابنتها مريم.. ودعت الله أن يعيذها وذريتها من الشيطان:

﴿واني سمّيتها مريم، واني اعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم﴾[3].

---

(١) آل عمران: ٣٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وعندما توجهت إلى المعبد حدث ما يشبه النزاع بين رعاة المعبد أيّهم يكفل مريم ... مريم ابنة عمران النبي ، واخيراً فاز زكريا الرجل الزاهد التقي بكفالة مريم ... ليأخذ على عاتقه مسؤولية إعدادها وتربيتها ..

وفي كل مرّة كان زكريا يزور مريم في محرابها ... ترى اين وصلت تلك الفتاة في سلّمها الروحي ؟

وفي كل مرّة كانت دهشته تزداد ... كان يرى في محرابها آنية ملأى بالطعام الطيب والفاكهة ... ويتساءل زكريا : أنّى لك هذا؟!

فتجيب الفتاة الكريمة : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ..

ويزداد حبّ مريم في قلب زكريا .. وكان تقدّمها في دنيا الروح والعبادة قد جعله في حيرة ودهشة واجلال ..

أصبحت مريم مثالاً للفتاة والمرأة كما أرادها الله .. لم يرزق زكريا ولداً لقد كانت امرأته عاقراً تمنّى أن يُرزق ولداً مثل مريم ...

وفي كل مرّة كان زكريا يلج المحراب ويدعو الله :

ـ ربّ هب لي من لدنك وليّاً

واستجاب الله دعوات عبده الصالح زكريا ..

وغمرت الملائكة ذات مساء المحراب بالنوروالبركة وقالت :

ـ ﴿انا نبشّرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميّا﴾ لقد كان يحيى ثمرة دعاء لزكريا ، وكان الدعاء استلهاماً لشخصية مريم ابنة عمران .

* * *

٣

المضحّية

كان ذلك في عام ١٩٦٧ وكنت يومها مدرّسة في إحدى المـدارس فـي جنوب «طهران» في ميدان «غار» دخلت إلى الصف لأوّل مرّة وبعد برهة قدّمت نفسي للتلميذات، ثم أخذت أقرأ الاسماء في دفتر الحضور والغياب وكان يهمّني أن أعرف أسماء الطالبات.

ومن بين كـل الطـالبات استحوذت طـالبةنحيلة شـاحبة الوجـه عـلى اهتمامي ،وبدأت ألاحظها في دقائق «الفرص» وأراقبها من بعيد.

وأصبح لغزاً مستعصياً أن أراها كل يوم تتعمد مغادرة المدرسةحتى اللحظة الأخيرة، حتى قررت أن أسألها ذات يوم عن سرّ ذلك.

أجابت الفتاة بحسرة وحزن: أنا مضطرة لذلك، فابي العجوز الأعمى الذي يجلس في رأس الزقاق هو أبي، ويتعيّن على أن آخذ بيده إلى البيت، وشيء آخر أيضاً هو إني أجمع ما ترميه الطالبات في سلّة المهملات من أوراق لأكتب فيها واجباتي البيتية!

مضى على ذلك عدّة شهور، وبدأ فصل الشتاء وكان الجوّ قـارس البـرد،

هطلت الثلوج ثلاث مرات، وكان معظم الطالبات يحضرن باحذية متهرّئة، خاصّة تلك الطالبة التي كانت ترتدي حذاءً رجالياً ممزقاً، حتى أننانمضي وقتاً طويلاً من أجل تدفئة أقدامهن، وأضطررت أن أحسم جزءً من مرتبي الشهري لاشتري به عدّةأزواج من الأحذية.

وجئت إلى المدرسة ذات يوم وأنا أحمل ثمانيةأزواج من الأحذيةأخفيتها في الصف، ولدى انتهاء الحصص ذلك اليوم، طلبت من الطالبات اللائي كن في مساس الحاجة إلى حذاء أن يتأخرن في مغادرة المدرسة، وحصل ذلك وكنت اتوقع في اليوم التالي أن أرى الجميع وهن يرتدين أحذيتهن الجديدة الدافئة.

ولكن ما حصل أن تلك الطالبة الفقيرة جاءت وهي ترتدي ذات الحذاء الرجالي الممزق.

شعرت بالغيظ من أجل ذلك، ولكني تظاهرت باللامبالاة، وفي آخر الدوام استدعيتها وسألتها عن سبب عدم ارتدائها الحذاء الجديد فاجابت باقتضاب:

ـ يا سيدتي لقد رأيتني دون حذاء فاشتريت لي ذلك ولكن هل رأيت «فاطمة» في الصف الآخر؟!

قلت: كلّا

سكتت لحظة وقالت: صحيح انني يتيمة الأم، ولكن لي أب أعمى يستطيع أن يهيىء لي حذاءً، ولكن فاطمة المسكينة ليس لديهاأم ولا أب، وهي تأتي كل يوم حافيةإلى المدرسة.. من أجل هذا أعطيتهاحذائي!

مرّت لحظات شعرت انني أغوص في نفسي... لقد علّمتني درساً لن أنساه طوال حياتي، لقد فجّرت في اعماقي روح الفداء والتضحية.. شعرت انها تحطّم الرقم القياسي «لحاتم الطائي» ذلك انها وهبت ما كانت في أمس الحاجة اليه.

مرّ عام على تلك الحادثة وانتقلت إلى مدرسة أخرى وانقطعت عني اخبار

تلك الطالبة.

وعندما انفجرت الثورة الاسلامية لمحتها في زحمة المتظاهرين من شباب الجامعة، كانت ما تزال نحيلة الجسم شاحبة الوجه تأكدت انها هي تلك الطالبة التي تعرّفت عليها منذ أحد عشر عاماً.

هي الآن في السنة الثالثة في كلية الطب بجامعة طهران شابّة في مقتبل العمر تموج نشاطاً وحماساً من أجل أن تصنع لنفسها ولغيرها غداً أفضل[1].

* * *

(١) مجلة رشد معلم السنة الثانية العدد ٢٧/٧ من ذكريات السيدة كرماني.

٤

السكرتيرة

انهت «فرزانة» دراستها الثانوية وراحت تبحث عن عملٍ هنا وهـناك .. لم تترك صديقاً للعائلة الّا وبحثت معه هذه المسألة، ولم تدع أحـداً مـن مـعارف الأسرة الّا واستشارته فيماينبغي فعله .. وكانت تداوم عـلى مـطالعة صـفحات الاعلان في الجرائد اليومية فلم تعثر على عمل.

واخيراً تحقّق أملها .. قرأت اعلاناً في جريدةيومية لشركة مـن شـركات القطاع الخاص .. والعمل الشاغر هو سكرتيرة.

وانطلقت فرزانة ودون أن تكلف نفسها البحث والسؤال عن طـبيعة تـلك الشركة وهويتها وهكذا تم تعيينها.

ولم تمض سوى أسابيع حتى وقعت الكارثة .. فقد قـام رئـيس الشـركة بالاعتداء عليها أماكيف وقعت الحادثة ؟ فهذا هو أصل الحكاية كما هو مثبت في ملفات القضاء في ديوان الدولة الأعلى:

انها فتاة تبلغ من العمر ١٩ سنة راجعت بمعية والدها الجهات القضائية في شهر أيلول سنة ١٩٩٢ م وقدمت شكواها ضدرئيس شركة ...» الكائنة في شارع

«رازي» وقد ذكرت الفتاة للتحقيق:

قبل شهرين قرأت اعلاناً لشركة باسم (...) في الجريدة اليومية يتضمن حاجة الشركة إلى سكرتيرة وقد ذهبت إلى مكتب الشركة على أساس هذا الاعلان في اليوم التالي ... وهناك قابلت الرئيس الذي وافق على استخدامي بعد مقابلة قصيرة.

ومضت أسابيع على عملي حتى حدث في عصر أحد الايام وعندما كنت منهمكة في عملي ... فجأة ظهر رئيس الشركة وبيده منديل .. وضعه أمام وجهي وطلب مني أن اشم عطره .. شعرت بالدوار بعد لحظات، ولم أعد احس بما حولي بعد ذلك» أصدر المحقق وبعد استكمال ملف التحقيق أمراً بالقاء القبض على رئيس الشركة ...

وبعد ثلاثة شهور من البحث والمراقبة تم القاء القبض على الرئيس المذكور! في منزل ابن عمه بمدينة قوجان وكان قد اختبأ هناك.

وقد اعترف المتهم بجريمته وجرائم اخرى، وصدر قرار المحكمة باعدامه بتهمة «زنا المحصن» وبعد قطع المراحل القانونية لقي المجرم جزاء أعماله الشائنة.

وبعد تنفيذ الحكم وجه قضاةالمحكمة نداءً إلى العوائل والأسر كافّة ممن لديها فتيات يبحثن عن عمل في الشركات الاهلية والخاصّة، نبهتهم فيه إلى مخاطر بعض الاعلانات الخادعة حيث ينبغي في مثل هذه الحالات التأكد من هوية تلك الشركات قبل ارسال فلذات اكبادها إلى تلك المصائد التي تحمل لافتات الشركات الخاصّة التي هي في حقيقتها افخاخ لاصطياد المغفلات.

* * *

٥

الفتاة الأسيرة

اعتاد العرب قبل ظهور الاسلام أن يقدّموا إلى رؤسائهم خراجاً من المال.

وكان حاتم الطائي السخي المعروف زعيماً لقبيلة «طي»، فلما توفي حاتم، خلفه ابنه «عدي» في زعامة القبيلة.

كانت قبيلة «طي» من القبائل الوثنية ولكن عدي نفسه كان يدين بالنصرانية وكان يخفي ذلك عن قومه.

ودخلت القبائل العربية الاسلام وراح الدين الجديد ينتشر في ربوع الجزيرة.

وكان «عدي» كسائر الزعماء يخشى زوال نفوذه ولهذا يروى حكايته قائلاً:

«ما رجل من العرب كان اشدّ كراهة لرسول الله حين سمع به مني. أما أنا فكنت إمرءاً شريفاً وكنت نصرانياً وكنت أسير في قومي بالمرباع (أي يأخذ ربع الغنائم لانه سيدهم) وكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي.

فلما سمعت برسول الله كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لابلي : لا أبا لك أعدد لي من ابلي اجمالاً ذلَّ سماناً فاحتبسها قريباً مني ، فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنّي ففعل ، ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن . فإني قد رأيت رايات ، فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد .

قلت : فقرّب إلى أجمالي فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام .

فسلكت الحوشية[1] وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتخالفني خيل رسول الله (ﷺ) فتصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله (ﷺ) في سبايا من طي ، وقد بلغ رسول الله (ﷺ) هربي إلى الشام .

قال فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس بها فمر بها رسول الله (ﷺ) فقامت إليه وكانت إمرأة جزلة .فقالت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فاسنن عليّ من الله عليك . قال : ومن وافدك ؟قالت : عدي بن حاتم ، قال : انصار من الله ورسوله (ﷺ) .

قالت : ثم مضى وتركني ، حتى إذا كان الغد مرّبي فقلت له مثل ذلك وقال لي مثل ما قال بالأمس ، قالت حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست فاشار إلى رجل خلفه أن قومي فكلميه .

قالت : فقمت اليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي منّ الله عليك .

---

(١) بين نجد والشام .

قال (ﷺ): قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبغلك إلى بلادك ثم آذنيني، فسألت عن الرجل الذي اشار إلى أن كلميه فقيل لي: علي بن أبي طالب قالت: فقمت حتى قدم ممن بلي أو قضاعة قالت: وانما اريد أن آتي أخي بالشام، فجئت فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقةوبلاغ.

قالت: فكساني وحملني واعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي فنظرت إلى ظعينة تصوّب إلى قومنا، فقلت: ابنة حاتم قال فإذا هي هي فلما وقفت علي انتدلت (جرت بالكلام) تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك؟

قلت: أي أخية لا تقولي الآ خيراً فوالله مالي من عذر، لقد صنعت ماذكرت.

قال: ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها: وكانت إمرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن الرجل نبياً فللسابق اليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت.

قال: قلت، والله إن هذا الرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله (ﷺ) المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه.

فقال من الرجل؟ فقلت عدي بن حاتم.

فقام رسول الله (ﷺ) وانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها. قال: قلت في نفسي والله ما هذا بملك.

قال: ثم مضى بي رسول الله (ﷺ) حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من آدم

محشوة ليفاً فقذفها اليّ فقال: اجلس على هذه.

قلت: بل أنت فاجلس عليها.

قال: بل أنت.

فجلست وجلس رسول الله (ﷺ) بالأرض

قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً؟

قلت: بلى!

قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟

قلت: بلى.

قال: فان ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك.

قلت: أجل والله. وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل.

ثم قال: لعلك يا عدي انما يمنعك من دخولٍ في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك انما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك انما يمنعك من دخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

قال: فاسلمت.

فكان عدي يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تزور هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه.

٦

سيّدة الحياء

استأذن رجل اعمى على فاطمة فاحتجبت.

فقال رسول الله (ﷺ): لم احتجبت وهو لا يراك.

فقالت سيدة الحياء: ان لم يكن يراني فانا أراه وهو يشمّ الريح.

فقال النبي (ﷺ): اشهد انك بضعة مني.

وفي المسجد سأل النبي أصحابه قائلاً: ما خير النساء!

فسكت أصحابه ولم يجب منهم أحد ولدى عودته إلى المنزل حدّث علي ابن أبي طالب زوجته فاطمة الزهراء.

فقالت:

ـ فهلا قلت له: خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يرونهن.

وعاد علي إلى المسجد ليتقدّم بالجواب

فقال النبي (ﷺ):

ـ من علمك هذا

قال: فاطمة

فقال (ﷺ): انها بضعة مني.

٧

ابنة الامام

طلبت إحدى بنات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من خازن بين المال وهو «علي بن أبي رافع» طلبت منه أن يعيرها عقداً تتزيّن به يوم العيد ثم تعيده.

وقبل أن يستجيب الخازن إلى طلبها اشترط أن يكون ذلك عارية مضمونة.

ووافقت ابنة الامام، فأخذت العقد وتزيّنت به

ويقع بصر الامام على ابنته ترتدي عقداً عرف انه يعود إلى بيت المال.

فاستدعى الخازن وقال له:

ـ أتخون المسلمين يابن أبي رافع ؟

فأجاب الخازن.

ـ معاذ الله أن أفعل ذلك!!

فقال الامام:

ـ فما هذا العقد الذي رأيته عند ابنة أمير المؤمنين ؟!

فقال الخازن:

ـانها ابنتك ياأمير المؤمنين وقد أخذته عارية مضمونة فقال الامام:

ـأعده إلى بيت المال وايّاك أن تفعل مثل ذلك بعد اليوم ... ياويلها لو أخذته بغير ذاك الشرط لكانت أول امرأة هاشمية يقطع يدها.

وتسمع الفتاة ما حدث فتساءلت بدهشة

ـ يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعتك، وهل هناك من هي أجدر مني بارتدائه ؟!

فردّ الامام: لا تضلّي عن الحق يا بنت علي. وهل كل نساء المهاجرين تزيّن بمثله يومالعيد ؟

ويقول التاريخ أن العقد أعيد إلى بيت المال فوراً.

* * *

٨

المرأة سيّئة الطبع

يحكى أن اسحاق الموصلي المغني المعروف ذهب للنزهة في الصحراء والمروج، يرتشف من عذب المياه ويملأ صدره من نسائم الشمال.

فصادف شاباً طلق المحيّا لطيف المعشر ولكن شاب وجهه الجميل حزن ظاهر فسأله عن حاله فقال:

ـ أنا فلان ابن التاجر الفلاني من كبار تجار بغداد، وكان لنا جار لا أصل له ولا نسب وكانت عنده فتاة.. فوقعت في هواها حتى همت بحبّها، فطلبت من أبي أن يخطبها لي.

فقال لي أبي: يا بني لا يغشك جمالها وحسنها واعلم ان الحسب والنسب مقدّم على الجمال وقد نهى النبي (ﷺ) عن الزواج من سيئات الطباع.

فلم أسمع نصحه وكان قلبي مفتوناً بها ونفسي متيمة بحبّها.

ورأى أبي حالي فذهب إلى ابيها يخطبها، وانفق أموالاً طائلة حتى انتقلت إلى منزلنا.

ثم توفي أبي وانتقل إلى رحمة الله، فجعلت كل ماخلفه أبي من ثروة ومال

بين يديها فبذرته، ولم تبق منه على دينار ولا درهم، فظللت حائراً لا أدري ماذا أفعل، ولمّا خاصمتها ذات يوم إذا بها تطردني من المنزل وقالت: أنه بيتي ولا حق لك فيه، فطردتني كما يطرد العدو.

وعندما سمع الموصلي حديثه قال له: أصبر حتى اشرح حالك للـوزير، وانطلق حتى دخل على الوزير جعفر بن يحي البرمكي، واخبره عن حال ذلك الشاب.

فأمر الوزير باحضاره وأكرمه ومنحه ألف دينار، وقال له: اذهب وطـلق امرأتك لانه لاحظ لك فيها.

وانطلق الشاب إلى المنزل، فاستقبلته امرأته بالشرّ.

وصاحت بوجهه: اذهب والّا شكوتك إلى القاضي.

فدخل الشاب المنزل وصبّ أمامها الذهب، فاذا بها تتصنّع المحبّة وتعتذر اليه.

امّا الشاب فلم ينخدع هذه المرّة بمعول كلامها وقال لها: انت طالق ثلاثاً.

فلما سمعت المرأة ذلك صعدت سطح المنزل وصـاحت يـا مسـلمين ان زوجي قتل في هذه الساعة رجلاً ونهب ماله وهو الآن في الحجرة يحصي ما سرق منه.

فهجم الجيران على البيت وكبسوا الشاب فقال لهم ان الوزير يعلم بـحالي وحال هذه المرأة السيئة.

واقتيد الشاب إلى قصر جعفر بن يحي وكان الوزير يعلم بحاله فأمر الوزير بالمرأة فطردت من المنزل وتنفس الشاب الصعداء[1].

---

(١) جوامع الحكايات بتصرف.

٩

جرس الهاتف

البيت هو مملكة الانسان الهادئة .. انه يعيش فيه بحرّية ، وهو واحة طيبة وسط صحراء الحياة.

يعود الزوج من عمله وفي رأسه تدور عشرات المشاكل يعود منهكاً مرهقاً يبحث عن ظل هادىء يأوي اليه ، لهذا فأنه يحنّ إلى المنزل حيث ينعم بالهدوء والاستجمام.

ان أقلّ إثارة ربّما تحطّم اعصابه فينقلب المنزل إلى ساحة للصراع والنزاع الذي قد يجرّ إلى الطلاق والافتراق.

ومن هنا ينبغي على المرأة وهي ربّة المنزل أن تسعى إلى توفير محيط هادىء مفعم بالسلام فيصبح البيت عشاً دافئاً وواحة تزخر بالمحبّة والوداد. وفي هذا المضمار نقرأ هذه الحكاية :

وقعت هذه القصّة في «ديترويت» باميركا ، فبعد مدّة طويلة وترقب حققت السيدة «دوروتي كاتن» هدفها وهو الزواج ممّن تحبّ. فعاشت مع زوجها حياة سعيدة هانئة إلى أن وقعت هذه الحادثة الطريفة : فقد فكرت سيّدة البيت والتي تبلغ

من العمر ٢٨ عاماً أن تقدم إلى زوجها هديّة بمناسبة عيد ميلاده الثلاثين...

فكرت وفكرت ولكنها لم تعثر على هديةمناسبة، وأخيراً خطرت في بالها فكرة مبتكرة وفريدة ومفاجئة.

فقد عمدت إلى نشر اعلان صغير في صحيفة صباحية جاء فيه: يصادف هذا اليوم ذكرى ميلاد السيد (لادى كاتن) ويمكن الاتصال هاتفياً على الرقم «لتقديم التهاني والتبريكات»

وكانت النتيجة مفاجئة تماماً، فقد بدأ سيل الهتافات التي تحمل أجمل التهاني وأحرّ التبريكات.

بدأ جرس الهاتف يرن في بداية المساء، وكان السيد لادي يستقبل ذلك بفرح ويردّ على الهتافات بسرور وبهجة وكان سعيداً للغاية بما فعلت زوجته السيد «دوروتي».

ولكن عندما استمر الهاتف يرنّ بعد منتصف الليل ووصل عدد المكالمات إلى أكثر من ٢٥٠ مرّة أصبح كاتن السيّد عصبياً ومع هذا فقد استمرّ رنين الهاتف.

واخيراً رنّ جرس الهاتف في الساعة الثانية والنصف ثم رنّ مرّة اخرى وأخرى، وفقد الزوج أعصابه في النهاية فحمل جهاز الهاتف وهوى به على راس الزوجة التي كانت تتثاءب بصعوبة.. وكانت العاقبة أن يذهبا إلى القضاء و... الطلاق[1].

* * *

(١) مجلة الاسرة السنة الخامسة العدد ٤٩/٧٤.

١٠

مينا

مينا في سنتها الأخيرة من المرحلة الاعدادية وستأخذ وثيقة الثانوية هذا العام.

اجتازت كل الامتحانات بنجاح وكانت زميلتها زهرة، وهي ابنة تاجر كبير تشاركها المقعد الدراسي.

زهرة، تحضر إلى المدرسة باحدث السيارات، ترتدي أفخر وأغلى الازياء مغرورة وأنانية، وتمضي وقت الدرس في اللعب بأساورها الذهبية.

ذات يوم طلبت زهرة من مينا أن تساعدها في دروسها، وتلبّي مينا كعادتها مع كل من يطلب مساعدتها.

حتى اثناء الدرس عندما كان المدرس يسأل زهرة كانت مينا تكتب الجواب في قصاصة صغيرةوتجعلها تحت ناظريها، فكانت زهرة تجيب على بعض الاسئلة.

مع كل هذا كانت مينا لا تنسى أن تذكر لزهرة بأدب أن هذا النوع من الدراسة سيعود بالضرر عليها لأن ذلك سيسلبها الثقة بنفسها يوماً بعد آخر،

وستتكل على مساعدات الآخرين.

وكانت زهرة تجيب: انني لا أجد في نفسي مثل هذه القوّة التي تؤهلني لفهم الدروس... ومن حسن حظي أن عندي صديقة مثلك تشاركني مقعد الدراسة وتقدم لي المساعدة عند الحاجة. بعد شهر ستبدأ الامتحانات وستساعديني كعادتك وسأنجح حتماً.

أمّا مينا فكانت تأسف لهذا اللون من التفكير وتقول لها: انها افكار باطلة أن يعقل الانسان قواه وقدراته ويستجدي المساعدة من الآخرين أنا لا اتضايق من تقديم المساعدة، ولكن هذا سيدمّر ثقتك بنفسك... لتكن ثقتك بنفسك عالية، ولتستعدي لمواجهة الحياة ومقاومة المصاعب حتى لا تهزمي في أول تحدّي.

ولكن «زهرة» لم تتعلم من صديقتها شيئاً ظلّت كما هي تشعر بالرعب والذعر وكانت تطلب المساعدة من مينا.

وشيئاً فشيئاً خسرت زهرة كل ثقة بنفسها، حتى زميلاتها عندما يسألنها أي الألوان تحب أكثر الأزرق أم الأحمر، كانت تسكت، ثم تسأل مينا قائلة: عزيزتي مينا اي الألوان أحب اليك؟!

حلّ موسم الامتحانات، وكانت زهرة قد وضعت كل آمالها على مينا.

وفي صباح ذلك اليوم وقد جلست كل طالبة في مقعدها الخاص وكانت الفاصلة بين مينا وزهرة اكثر من عشرة امتار.

وتطلعت «زهرة» إلى ورقة الاسئلة وهي مهزومة تماماً.. لم تجب عن أي سؤال وكانت كل الاجابات خاطئة.

وهكذا رسبت زهرة وخسرت عامها الدراسي، أما مينا فقد اجتازت المرحلة الاعدادية بنجاح.

وجاء يوم الوداع ودعت مينا زميلتها زهرة قائلة:

طالما نصحتك وكنت لا تسمعين، وهذه النصيحة هي الأخيرة أقولها وأذهب:

عززي ثقتك بنفسك، واعتمدي على طاقاتك وقابلياتك ولا تلجأي إلى الآخرين ما أمكن واعلمي ان هذا هو سرّ النجاح.

وفي غير هذه الصورة سوف تواجهين الحياة وسوف تهزمين أمام أول مشكلة.

الحياة طافحة بالمرارة والحرمان، مليئة بالمنعطفات الحادة، ولن ينفعك سوى ثقتك بنفسك.

وكانت زهرة تصغي إلى كلام صديقتها مينا وعيناها تنهمران دموعاً، وشهقت بعبرتها وهي تشدّ على يد صديقها قائلة: سوف لن اعتمد بعد الان على أحد سوى نفسي.

* * *

١١

اليانسة

عنيزة، فتاة طيبة طاهرة الثوب من قبيلة لها نسب وحسب .

حكمت المقادير أن يموت أبوها وهي في عنفوان الشباب .

وبلغت الفتاة مبلغ الزواج وكانت تحلم ككل فتاة ان يتقدم لخطبتها شاب من قبيلتها فتعيش في ظلاله حياةهانئة مفعمة بالحب ، ولكن القدر كان له رأياً غير ذلك .

فقد كان لاخوتها ثأر لدى القبائل المجاورة ،وكانوا يخططون لأخذه .

فأجمعوا على انتخاب غلام زنجي ووعدوه إن هو انتقم لهم من عدوهم أن يزوجوه من أختهم عنيزة .

ويشاء القدر أن ينجح الغلام في مهمته ، وجاء يوم الوفاء بالوعد ..

واعترضت عـنيزة واحـتجت وبكت ولكـن دون جـدوى ..! إذ وجـدت نفسهامرغمة على الزواج ممن لا تحب بل ممن تم تمقته .

وأصبح ذلك الزواج حديث السمر ، ولم تمهل الاقدار زوجها إذا قتل فـي حرب من الحروب .

وتنفست عنيزة الصعداء، ولم تكن تفكر الاّ في المستقبل وما تأتي به الايام، وكانت تنتظر ما أودعه زوجها في بطنها.

وجاءها المخاض، فتلد غلاماً أسود البشرة كابيه، فتجدّدت آلامها وتضاعفت هواجسها، وانبعث في قلبها كره للوليد، حتى انها لم تلقمه الشدي وأودعته لدى قبيلة «بني المصطلق».

ويكبر الصبي في تلك القبيلة وأصبح شاباً وأدرك بعد أن نظر إلى نفسه وغيره وأهله أنه ليس الاّ غريباً بين اولئك الناس.

وأخيراً عرف الشاب أصله رغم تأكيدات والدته على أن تبقى الحقيقة مستورة عنه.

عرف الشاب أن أمه عنيزة الانصارية وأن أباه من أبطال «بني عبس».

وأن أمّه قد أودعته بعد أن قتل أبوه في إحدى المعارك البطولية لدى بني المصطلق.

وراح الشاب يبحث عن امّه حتى عثر عليهاوطلب منها أن تقرّ باومومتها له ولكن دون جدوى.

بكى الشاب وتضرع قبّل يديها ولكن لا فائدة.

وأخيراً طردته الأم وتبرأت منه وانكرت ان يكون هذا الزنجي ولدها.

ولم يجد الشاب الاّ أن يستنجد بالقضاء فانطلق إلى الخليفة عمر بن الخطاب وأعلن أنه ابن «اشجع» وأن امّه عنيزة، وأن أمّه تتبرأ منه وتنكر ذلك.

وأرسل الخليفة وراء عنيزة وواجهها بشكوى الشاب الأسود، ولكن المرأة أصرّت على موقفها وانكرت أن تكون قد تزوجت من قبل، وطلب عمر من الشاب ادلّة لاثبات دعواه.

وطلبت المرأة من الخليفة أن يقيم على الشاب حدّ القذف لأنها لم تتزوج

ودعواه تفيد بأنها ارتكبت عملاً محرّماً.

وجاء من يشهد بصحة افادة عنيزة، ولم يجد عمر بداً من إصدار حكمه ضد الشاب والزمه حدّ القذف.

واقتيد الشاب إلى مكان لتنفيذ الحكم، فاذا برجل مهيب يطلع من ذات الجهة، وإذا هو علي بن أبي طالب الذي طالما سمع المسلمون النبي يقول في حقه: «اقضاكم علي»، وتساءل الامام عن حيثيات القضية.

وادرك الامام ان الشاب صادق في دعواه ولم يبق سوى اثبات ذلك، فأمر بادخاله مسجد النبي (ﷺ).

وطلب الامام من الخليفة إعادة التحقيق من جديد فوافق الاخير.

واستدعيت عنيزة للتحقيق في القضية، وجوبهت بادعاء الشاب ولكنها انكرت بشدّة.

وهنا التفت الامام إلى الشاب وطلب منه أن يسحب دعواه ويعترف بعدم امومتها له.

واستجاب الشاب لطلب الامام وهو يبكي بعد أن سمع الامام يقول: ألا تقبل بابوّتي واخوّة الحسن والحسين؟

وكانت الخطوة الثانية أن استدعى الامام أولياء المرأة وقال لهم: أينفذ حكمي فيها؟

فقالوا: حكمك نافذ فيها وفينا يابن عم رسول الله.

وهنا أعلن الامام انه قد زوّج المرأة من هذا الشاب وطلب من غلامه قنبر أن يحضر المهر.

فعدّ الامام اربعمائة وثمانين درهماً وقال للشاب هذا مهرها، خذ زوجتك ولا تأتيني الاّ وآثار العرس عليك.

وامتثل الشاب وأخذ بيد عنيزة التي ما تزال غليها مسحة من جمال ..

وحدث ما توقعه الامام فـما أن خـطت المـرأة خـطوات حـتى ارتـدّت إلى الوراء وصاحت:

ـ الله الله يا ابا الحسن! العار ولا النار والله انه لابني.

وتساءل الامام عن سرّ انكارها، وروت المرأة كل التفاصيل والملابسات.

واعتنق الشاب والدته التي نبذته بعيداً وتفجرت في قلب الأُم نبع الامومة المتدفق حناناً ورحمة.

واهتزّ المسجد لتلك الحادثة وتجاوبت جنباته لتكبير الجماهير التي وقفت تنظر باعجاب لحكم قضائي فريد.

فالشاب الذي كان على شك أن يغادر المسجد عريساً يغادره وقد عثر على امّه التي لم تكن قبل لحظات الّا عروساً من بنات الانصار[1].

* * *

(١) عن العدالة والقضاء في الاسلام بتصرّف / ٢٦٣.

(١٢)

الغادرة

في ذلك الزمان عقد «شاهبور» الصلح مع امبراطور الروم وعاد إلى عاصمته مرّ في طريقه على مدينة بين نهري دجلة والفرات.

كان ملك تلك المدينة رجل يدعى «ساطرون» وكان يلقب بـ«ضيزن .. كان ملكاً قوياً وكان حوله رجال من الفرس وعرب البادية يودّونه ويخلصون له.

فكان يغير على اطراف العراق والجزيرة وكان هذا ما يقلق بال الملك «شاهبور».

فلما اقترب شاهبور من مدينته جمع ضيزن رجاله وتحصّن داخل قلعته.

وأرسل شاهبور فرقة من قوّاته لضرب الحصار على القلعة واحتلالها وطال الحصار دون جدوى. فطلبوا من «شاهبور» أن يمدّهم بالمزيد من الجنود، فلبّى طلبهم وامدّهم بفرق اضافية وحضر هو بنفسه لقيادة عمليات الحرب.

وذات يوم وعندما انطلق شاهبور للصيد اقترب من القلعة من إحدى زواياها، وفيما كانت بنت «ضيزن» واقفة في أحد ابراج القلعة تنظر وقعت عيناها على شاهبور وكان جميلاً فسألت عنه فقيل لها انه شاهبور ملك ايران.

فوقعت الفتاة في حبّه وأصبحت أسيرة لجماله ومهابته ،فكتبت رسالة : أن عندي مفاتيح القلعة، فان قبلت شرطي وهو الزواج مني بعد فتح القلعة والمدينة فاني سأفتح لك أبوابها» لفت ابنة الملك الرسالة وشكّتها في سهم وأطلقت السهم نحو الجيش.

قرأ شاهبور الرسالة وكتب لها جواباً يعدها بالوفاء، ولمّا قـرأت الأمـيرة رسالة الملك شاهبور تضاعف عشقها فوعدته أنها ستفتح باب القلعة هذه الليلة.

أخذت الأميرة طعاماً وشراباً إلى أبواب القلعة لتشغل الجنود عن الحراسة والدفاع.

وامّا شاهبور فانتخب خيرة فرسانه ودفعهم باتجاه الباب.

وفتح باب القلعة بهدوء ولم يشعر أحد بدخول فرسان شاهبور حتى وصلوا إلى غرفة «ضيزن» الذي قطع رأسه فوراً ليرفع فوق سطح القلعة.

ولما رأى الجنود رأس ضيزن مرفوعاً فوق خشبةعالية لم يجدوا بدّاً مـن الاستسلام وهكذا سقطت المدينة كلّها بأيدي المحاصرين.

وجاءت الأميرة إلى شاهبور الذي أعلن زواجه منها وأصطحبها إلى قصره، وامضى معها أياماً.

وذات ليلة استيقظ شاهبور من نومه فرأى على ظهره بقع من الدم..

حاول أن يعرف مصدر هذا الدم... وعرف السبب كان السبب في جـرح جسد تلك الفتاة البض! وشعر شاهبور بالدهشة للطافة جسمها ورقته فسألهـا: كيف غذّاك أهلك حتى أصبح جسمك بهذه الرقة واللطف؟!

اجابت الفتاة: كان أبي يغذوني بصفار البيض ومخ الحملان والعسل!

وسكت شاهبور ساعة كان يفكر خلالها بغدر هذه الفتاة.. كم أحسن اليها أبوها فجازته بالاساءة والغدر.

ولم يتحمل الملك هذه النفسية الوضيعة فقال: لقد خنت أباك ولم تفي له وكان يطعمك أطيب الطعام فرضيت بقتله من أجل قضاء شهوتك فكيف انتظر الوفاء منك ؟! أني أذن لأحمق.

وأصدر الملك أمراً قضى فيه أن يشدّ شعر تلك الفتاة إلى ذيل حصان وأن تجرّ فوق أرض مليئة بالشوك وهكذا كانت النهاية[1].

* * *

(١) جوامع الحكايات بتصرف / ٦٢.

١٣

المشاكسة

أمي كانت تقول لي باستمرار: لا أدري يا ابنتي لماذا تتعاملين معنا بـهذه الطريقة ؟!

الست وهذا الشيخ والديك ؟ حتى لو كنت غير مسلمة فليس من حقك أن تستهيني بنا.

امّا أنا فكنت أجيب: وماذا صنعتم من أجلي ؟

وكان أبي يقول: لو أننا ربينا قطّة مدّة عشرين سنة لربّما شكـرتنا وعـلى الأقل فانها لن تخربش وجوهنا، امّا أنت يا أبنتي فأسوأ صفة من القطط.

كان أبي يقول ذلك ثم يأخذ بيد أمي ويلجان حجرتهما ليبكيان.

وعندما أسمع صوت بكاءهما اشعر بموجة تجتاحني من النـدم، فـاركع أمامهما وأعانقهما وأقول: سامحاني فأنتما روحي التي بين جنبي.. لا تتألما مني أنا مجنونة.. أرجوكما سامحاني لأنني سأمـوت إذا فـقدتكما... ليس لي أحـد غيركما.

وما أسرع أن تشرق الابتسامة في وجـهيهما لكأن الله لم يـجعل للـحقد

والكراهية في قلبيهما مكاناً.

فكانت أمي تحتضنني وتقول:

ـ لا تبكي يا عزيزتي .. الحق معك .. لقد تقدّم بنا العمر وأنت تـعلمين أن العجائز يبحثون عن ذريعة .. مئةمرّة قلت لهذاالشيخ أن يدعك وشأنك.

حتى أبي مع كل تلك السنين المتطاولة مع كل تلك المرّارة التي يشعر بها كان يحني رأسه لي ويقول: سامحيني ياابنتي ... لقد خـرفت ... امـا انت فـفتاة متعلّمة .. أمانحن فأصبحنا نتصرف مثل الأطفال. ..

وفي تلك اللحظات اشعر بالحقد على نفسي ... وكنت اتـمنى مـن الله أن يعاقبني لو تكرر ذلك مني.

ولكن مع عميق الاسف .. كانت مشاكستي تزداد وأصبح سلوكي مرضاً.

حتى اني ذهبت إلى طبيب في الأمراض النفسيةاكثر من مـرّة لكـن دون فائدة.

كنت اعرف عيبي القاتل: «انني عندما اشعر بالغضب فأنني اعرض بكل شدّة عن كل من حولي وأنسى تماماً إحسان الآخرين».

وهكذا استمر عراكي وشجاري مع والدي ... ولعلّ صبرهما وتسـامحهما معي قد ضاعف من حدّة سلوكي تجاهها .. ربّما لو كان شديدين معي ... لوكانا أقل تسامحاً واكثر حزماً لربّما تأدّبت.

ولكنها معذوران ... فانا فلذة كبدهما .. وثمرة حياتهما المشتركة التي تمتد إلى اربعين سنة وبنتهما الوحيدة في حياتهما تلك.

في بعض الاحيان وعندما اتشاجر معهما وكما هو المعتادكان أبي يجلسني ويحدّثني بلطف ومحبة عن تجاربه في الحياة:

ـ مرجانة يا ابنتي سوف اتحمل أنا وامكهذا السلوك الشائن منك ... أنت

في كل حال ابنتنا .. مهما كثرت إساءاتك ومهما ازداد أذاك سنتحمل ذلك حتى مئة عام، ولكن هذه المشاكسة ستصبح ملكة في حياتك وستعتادين على معاملة الغير بهذا الاسلوب الشائن ...

انت الآن قد بلغت الثانية والعشرين وسيأتي من يخطبك للزواج نعم يا ابنتي سيجثو هذا الجمل ذات يوم ببابك ليأخذك إلى بيت الزوجية.

وكل ما أخشاه أن تعاملي زوجك مثل هذه المعاملة.

وهنا تدخلت أمي فقالت: ما أبسطك يا رجل كل فتاة تعيش بدلال في بيت أهلها، ولكن عندما تزف عروساً فانها ستقلع عن عاداتها السيئة، تأكّد.

قال أبي: آمل أن يتحقق ذلك ..

وأخيراً وعلى حدّ تعبير أبي جثا جمل الزواج أمام بيتنا وكان الخطيب زميلي في الجامعة ،وقد حصل ذلك في حفل التخرج، وكنت اعرفه جيداً «سعيد» ذلك الطالب الذي أصبح مهندساً.

وتم كل شيء بسرعة بعد أن ساعدتنا أسرته على استئجار بيت لحياتنا الزوجية الجديدة.

في ليلة الزفاف وعندما ودعتني أمي همست في اذني:

ـ لا تنسي ياابنتي ما قاله أبوك .. قد يتحمل الرجال هذه الايام كل شيء الاّ الاساءة والاهانة ... احذري أن تنالي من كبرياء زوجك والاّ تهاوى كل شيء.

كانت امي تحدثني كما لوأنها توصيني قبل الاحتضار، خاصّة وقد تعرّضت قبل أشهر إلى سكتة قلبية اجتازتها بسلام.

لهذا كانت تريد أن تقول لي كل شيء ... وأحسست حينها أن امي لن تجد في المستقبل غير هذه الفرصة لتقديم نصائحها.

سعيد رجل طيب، حنون وصبور ومتسامح ... كان يتودّد الي إلى الحدّ الذي

اشعر انني لست أهلاً لذلك. ومرّ شهران أو أقل عندما ظهر جانبي الآخر لا أدري كيف حدث ذلك.. ربّما كان بسبب مرض والدتي ودخولها المستشفى.

وكان سعيد المسكين يذهب إلى المستشفى صباحاً ومساءً وكان يقضي كل شؤون والدتي... كل مساء كان يذهب لزيارتها.

وذات يوم عندما تقرّر أن يصطحبني إلى المستشفى ولكن ربما شغله عمل طارىء وفي كل الاحوال فقد أستقبلته بهجوم عنيف:

ـ أنت لست رجلاً... يا عديم الاحساس.. انت لا تستأهل أن تكون صهراً لامي... مادام الأمر هكذا فسوف لن أسمح لأهلك أن يضعوا قدمهم في بيتي...

وبهت سعيد.. فوجىء بكلامي ولكنه فضل السكوت وتعلل بالذهاب إلى المستشفى. ولم يعد في تلك الليلة.

ولم يحدّث أحدنا الآخر مدّة يومين بعد تلك الحادثة...

وانتقلت امي إلى رحمة الله.. وكانت وفاتها بركة كما هي في حياتها... فقد جاء سعيد اليّ بعد ساعة من وفاة أُمي وقال لي:

ـ سامحيني! اعرف أن اعصابك كانت ثائرة... وعلى كل حال فقد مضى كل شيء.

أقيمت مراسم الحداد... ووقفت أسرة سعيد موقفاً مشرّفاً ولم يتركوني وأبي وحيدين.

وكان وقع الحادثة كالصاعقة على أبي، لقد أصبح وحيداً حقاً بالرغم من زيارات الأقارب المتكررة.

كانت صحته تتدهور يومٌ بعد آخر.. وكان سعيد لا ينفك يتفقده بين فرصة وأخرى وكان يمضي معه ساعات طويلة يتحدّثان معاً... وخلال تلك المدّة عرضه على أكثر من عشرين طبيباً وكانت النتيجة واحدة:

ـ انه يعاني من الوحدة.. لقد قضى حياته مع زوجته وكانت مؤنسة الوحيد... ومن الطبيعي أن يصدم لفقدها ويصاب بانتكاسة لوفاتها.

ومنذ ذلك الوقت وسعيد يحاول أن لا يبقى أبي وحيداً كان يوصي أفراد أسرته أن يتفقدوه دائماً..

والآن ربما يتساءل البعض ماذا فعلت في مقابل كل هذه المحبة واللطف؟.

أجل أنني أقول الحقيقة لقد كنت جاحدة وعديمة الأدب وغادرة.. نعم أنني لم أقلع عن عاداتي السيئة... كنت أتشاجر مع سعيد دائماً.

وذات مرّة تشاجرت معه بحضور أبي وكلت له التهم وأنه لم يستقبل والدي كما يجب... وكان سعيد يكتفي بالنظر الي ساكتاً.

وذات يوم همس أبي في غياب سعيد قائلاً:

ـ زوجك رجل شهم.. لو كنت مكانه لما تحملت لحظة واحدة ولكن للصبر حدود..

ولم ألتفت لجرس الانذار الذي قرعه أبي... كنت غارقة في الحزن على أمي ومرض ابي..

ولم يمهل المرض أبي فالتحق بأمي بعد خمسة شهور من وفاتها.

ومنذ ذلك اليوم عرفت معنى الوحدة...وكان سعيد يغرقني بحبّه وداده أمّا أنا وبدل أن أبادله الحب بمثله والمودّة بنظيرها.. كنت أتشاجر معه لأتفه الاسباب. ولم يمرّ يوم واحد دون أن أوجه له اهانة ما..وكان زوجي المسكين يتحمل ذلك بصبر عجيب، إلى أن حل ذلك اليوم عندما صرخت في وجهه بعصبية.

ـ هل تحسبني حمقاء... انني أعرف أهدافك وكيف كنت مثل الفراشة تدور حول أبي وأمي، أعرف انك تطمع بالميراث وتعرف انني الوريث الوحيد لهما.

لأول مرّة رأيت سعيداً يرتجف من الغضب.. أصبح وجهه مخطوفاً..ولكنه

التزم الصمت للحظات ثم قال بكل هدوء :

ـلقد مضى كل شيء وها أنا أقول بكل هدوء .. انني أتحمل كل بشيء الّا أن تمس زوجني كرامتي ..انني لن أتحمل ذلك .

فإما أن تبدلي أخلاقك وتصلحي سلوكك أو نفترق !

وهكذا مرّ كل شيء مثل الحلم ..كمثل كابوس ثقيل .. كما دخل سعيد حياتي ببساطة خرج ببساطة أيضاً ...ذهبنا إلى مكتب الطلاق ... وطلب مني أن اعتذر ورفضت ، ووهبته المهر .. وافترقنا ..

آه يا الهي! ما أصعب الوحدة! كم هي قاسية ؟ اعرف أن سعيداً ينتظرني.. حتى انه ذكر لبعض أقاربي انها إذا تعهدت بتغيير سلوكها فانه سيغض النظر عن كل شيء .

ولكن ...ماذا أفعل ؟ ساعدني ياالهي .. ساعدني في تغيير اخلاقي وانصرني على عنادي .

* * *

(١٤)

أوجني غرانده

في قصة «أوجني غرانده» لبلزاك نشهد الفتاة التي تـدعى أوجـني شـابة عاشت في ظل أب «غرانده» غاية في الخسّة واللؤم والانحطاط امّا هي فكانت على العكس كانت كريمة النفس وفي غاية الطيبة .

لأوجني ابن عم يدعى «شارل» كان في مطلع شبابه طيب القلب لجأ إلى عمّه طلباً لمساعدة مالية بهدف الذهاب إلى الهند ليجمع ثروة ثم يعود ويتزوج من ابنة عمّه .

ولكن غرانده عمّه لم يكتف بعدم مساعدته بل سخر منه وترى أوجني ابن عمها طريداً فتفجرت في قلبها الانسانية ووهبته كل ما جمعته طوال سنين .

ورحل شارل إلى الهند ليبقى سنوات طويلة جمع خلالها ثروة طائلة فقرر العودة إلى فرنسا .

وعندما يعدو شارل يجد أوجني بانتظاره وقد بلغت من العمر ثلاثين سنة .

كانت تتصور أن شارل يكنّ لها الحبّ لأنها السبب في نجاحه وثرائه ، وانه سوف يخف اليها بشوق .

وذهبت أوجني للقاء ابن عمها شارل ولكنها رأته انساناً آخر فاسداً وأنانياً لم يعرها أي اهتمام.

وأدركت أوجني أن شارل يبحث عن فتاة من طبقه النبلاء ليضم ثروتها إلى ثروته!

وتحملت أوجني هذه الصدمة بشجاعة. وظلّت وفيه له بالرغم من غدره بها.

فما كان منها الّا أن تحمل ميراثها من ابيها لتذهب إلى باريس وتسدد كل ديون والد شارل الذي توفي مديناً، كل ذلك من أجل أن تيسر لشارل هدفه في الزواج من بنات النبلاء.

وقد فعلت ذلك من أجل أن تحافظ على سمعة شارل وأبيه.

وشعرت أنها قد انجزت مهمتها فلجأت إلى الدير.

الدنيا مليئة بالرجال الذين لا يتورعون ومن أجل الحصول على الثراء من سحق القيم النبيلة.

وفي هذه الدنيا كانت أوجني تعيش لقد تنازلت كل ثروتها وكل متع الحياة من أجل أن يبقى مشعل الفضيلة والانسانية متوهجاً يضيء الطريق[1].

* * *

(١) قوّة المرأة عبر التاريخ/ ١٠٦.

١٥

صفورا

«صفورا» هي ابنة شعيب النبي، ذهبت كعادتها مع اختها إلى بئر «مدين»[١] من أجل أن تسقيان الماشية .. لقد أصبح أبوهما شيخاً وهو لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمّة.

ورأت صفوراً شاباً في الثلاثين من العمر اسمه «موسى» كان قد فرّ من مصر ودفعت به المقادير إلى أرض مدين.

كل يوم تقوم البنتان بسقي الماشية من بئر مدين ولأن الزحام يكون شديداً وقت السقاء لكثرة الرعاة، فقد كانت الفتاتان تنتظران مغادرة الرعاة وخلو البئر.

وفي ذلك اليوم وقفت الفتاتان تنتظران، وأدرك موسى مشكلتهما فتقدم منهما يسألها عن السبب:

ـ «ما خطبكما»؟

ـ لا تسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير.

---

(١) القرية التي عاش فيها النبي شعيب وقبيلته تقع في شرق خليج العقبة في الشمال من الحجاز وفي جنوب الشام وتدعى اليوم «معان».

وهبّ لمساعدتها، فسقى لهما ثم تولّى إلى الظل اسند ظهره إلى جذع الشجرة وشكر الله وقال:

ـ ربّ اني لما أنزلت إلي من خير فقير وانظر إلى آثار قدرة الله كيف تتجلّى في حياة عباده ؟!

كانت خطوة واحدة خطاها الانسان من أجل الله ... هبّ موسى ليغيث فتاتين مظلومتين منعتا من السقاء فسقى لهما ... فاذا بتلك الحادثة العابرة تصبح انعطافه في حياة موسى .. موسى الذي فرّ من أرض مصر لا يدري إلى أين يلجأ.

وتتأثر صفورا بشدّة لهذا الشاب الغريب فتحدّث أباها بماجرى فلأول مرّة تعود ابنته مبكراً!

فماكان من شعيب ذلك الشيخ الذي أحنت هامته السنون الآ أن يرسل ابنته وراء الشاب الغريب ليكافئه على انسانيته وموقفه النبيل.

وتتقدم صفورا وهي تتعثر حياءً وعندما أصبحت على مقربة منه قالت بكلمات تقطر خجلاً:

ـ أن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا.

وينهض موسى وقد استجاب لدعوة الشيخ الطيب ،ويفرح كلاهما بلقاء صاحبه .. وحكى موسى أنباء قصّته وفراره من مصر ومن ظلم الفرعون ..

وابتسم الشيخ وهو يطمئن ضيفه قائلاً بلهجة سماوية:

ـ نجوت من القوم الظالمين.

وبعد أيام يدور حديث عائلي بين شعيب وابنته قالت الفتاة:

ـ يا أبي استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين وتساءل شعيب: كيف اكتشفت ابنته أمانته وقوّته فقالت الفتاة:

ـ لقد تجلّت قوّته وهو يشقّ زحام الرعاة ويسقي لنا وقد هبّ لنصرة

المظلوم دون وجل .. فصنع لنا ما يعجز غيره عن ذلك .. وأما أمانته .. فقد اكتشفتها يوم ذهبت اليه أدعوه وكانت الريح شديدة فما رضي أن اتقدّمه لأن الريح كانت تصف جسم الانسان من وراء ثيابه !

وهكذا كانت صفورا تبحث في الرجل عن قوّته وأمانته .. وهذا ما رأته في ملامح موسى .

وأدرك شعيب ان صفورا قد وجدت الزوج الذي تـبحث عـنه فـقال ذات مساء لموسى :

ـ اني أريد أن ازوّجك إحدى ابنتي هاتين .

وهكذا تم الزواج واقترنت الفتاة التي جاءت تمشي على استحياء بموسى الذي سيصبح بعد عشرة أعوام نبياً من أولي العزم[1].

* * *

(١) بالاستناد إلى القرآن الكريم وما ورد في التفاسير .

(١٦)

المباركة

روى الحسن بن سعيد: ان الله وهب أحد أحدهم فتاة.. فكان حزيناً يرى الأسى على وجهه، وانطلق الرجل إلى الامام الصادق (عليه السلام) فادرك سبب أساه وحزنه فقال له: لو أن الله أوحى اليك أن اختر لنفسك فهل ترضى باختياري او اختيارك! فقال الرجل: بل في اختيارك الرضا.

فقال الامام: فان الله قد اختار لك بنتاً..

وأضاف الامام ما قاله الله سبحانه في قصة موسى والخضر، قتل الخضر صبياً فقتله وقال في بيان علّة قتله: ﴿**فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقرب رحما**﴾[1].

وقد رزق الله والديه فتاة فكان في ذريتها سبعون نبياً[2].

* * *

---

(١) الكهف: ٨١.

(٢) سفينة البحار ١٨/١.

١٧

الممرّضة

لم يغادرها الألم حتى لحظة واحدة.. كان الألم يتلوى مثل الافعى ،ولكنها ظلت ساكتة.. ظلّت ساكنة تتحمل كلمات زوجها طوال تسعة اشهر..

لم تكن تفكر إلّا في طفلها القادم.. وكان زوجها يعلم كم قدمت من النذور وكم تضرعت لكي يكون ما تنتظر صبياً.. كان مصيرها معلقاً فوق كف عفريت.. فكرت لوانها انجبت للمرّة الخامسة بنتاً فسوف تطرد من البيت مع ابنتها.

كانت تتلوى ألماً وكانت الآلام الرهيبة تموج فوق وجهها ولم يعد هناك من مكان للتفكير.. واغمضت عينها مستسلمة للعذاب..

كانت نرجس التي انطلقت تستدعي القابلة قد عادت تبشر بقدومها..

وما هي الّا لحظات حتى ملأ بكاء الوليد الجديد فضاء البيت.. كانت الأم تصغي مجهدة إلى احدى بناتها وهي تقول:

ـ يا ويلنا إذا عرف أبونا!

كان الأب قد ذهب في مأمورية إلى احدى المدن القريبة من طهران.. ولن يعود الّا بعد يومين.

وسقطت الأم في دوّامة من الوساوس .. انها تحبّ ابنتها الجديدة ولكن سوف تتضاعف معاناتها وستتحمل الشتم والاهانات كما حصل مع بناتها الأربع ... والأسوا من كل ذلك أن هذه البنت ستعيش محرومة من حنان الآباء .. من أجل هذا قرّرت أن تكل تربيتها لدى امرأة أخرى .. لديها فرصة يومين فقط لتنفذ فكرتها .

في صباح اليوم التالي أرسلت ابنتها الكبرى وراء القابلة وعندما جاءت القابلة قالت «عفّت» :

ـ أنت تعرفين أخلاق زوجي .. إذا ما عاد من سفره ووقعت عينه على هذه البنت فسوف يحوّل حياتنا إلى جحيم .. أنا أعرف انه لا فرق بين الولد والبنت .. كلاهما لطف من الله .. ولكن أخشى على اطفالي من الضياع .. لهذا قررت أن أهب ابنتي إلى امرأة أو أسرة محرومة من الاطفال .. أرجوك ساعديني .. ما هو رأيك ؟ رفضت القابلة في أول الأمر ذلك .. ولكنها لم تصمد أمام بكاء تلك الأم البائسة وتوسلاتها .. وانكسر قلبها ووعدتها بالعثور على أسرة طيبة .

وفي نفس الليلة جاءت القابلة وفيما كانت البنات نائمات ... عانقت الأم ابنتها الأخيرة وقبلتها للمرّة الألف وسلمتها إلى القابلة .. التي غادرت المنزل على عجل .. بينما كانت الأم تشهق بالبكاء وفي الصباح استيقظت الفتيات الأربع وبحثن عن اختهن .

قالت الام وكانت عيناها قد احمرتا :

ـ لقد لزمتها الحمّى وماتت ،وقد اخذتها القابلة للدفن .

كان الوقت غروباً ، وكانت السيدة عفّت ترتق بعض الثياب وبناتها حولها عندما دق جرس الباب ، مرّت لحظات وظهر الأب داخل فناء المنزل ، خفّت عفّت لاستقباله وذعرت لدى رؤيتها زوجها وهو يسوق كبشاً إلى الحديقة .. سألت

باضطراب واضح :

ـ ما هذا يا حسين ؟!

أجاب وهو يربط الكبش إلى جذع الشجرة :

ـ عقيقة لابني .

رفع رأسه وحدّق في زوجته بقلق :

ـ صبي اليس كذلك ؟

هملت عينا المرأة بالدموع :

ـ كانت بنتاً ولكنها ماتت!

قطب الرجل :

ـ هذا أفضل .

كانت المرأة العجوز تشق طريقها عبر البساتين في مدينة «رشت»[1] توقفت أمام منزل خشبي وطرقت الباب .. مرّت لحظات وظهر رجل في متوسط العمر وإلى جانبه زوجته تصغره قليلاً .. وتطلعا إلى المرأة العجوز بطيبة .. عيونهما تحدّق بوليد صغير لم يظهر منه سوى الوجه .

قالت العجوز وهي تبتسم :

ـ لقد وفيت بوعدي ... خذي يا طوبى هذه البنت الجميلة .. لقد وهبتها امها لكما ولم تطلب عنواناً ... كل ما ترجوه منكما أن تسموها إلهة» .

وهكذا اضاءت «الهه» ذلك البيت الذي طالما حلم أهله بمناغاة طفل صغير .

وعاشت الهه في ظلال تلك الاسرة وبين أبوين طيبين وحملت اسمهما .

---

(١) من مدن الشمال في ايران .

وشيئاً فشيئاً تكبر الهة.. لتذهب إلى المدرسة الابتدائية ثم الاعدادية فيما بعد.

ثم تدرس التمريض لترتدي مريلة بيضاء وتدور في أروقة المستشفى.

وتشاء الاقدار أن تكتشف الهة سرّ وجودها في يوم ممطر من أيام الخريف.

كانت الهة في نوبتها المسائية في المستشفى، وكانت الساعة المعلقة على جدار البهو تشير إلى العاشرة مساءً. وكان المطر يرشق النوافذ بعنف.

وصوت الرياح الشديدة يتناهى إلى الآذان فجأة سمع صوت سيّارة اسعاف كان الصوت يشتد لحظة بعد أخرى لكأنه ينبىء عن وقوع حادثة ما.

نهضت الهة وراحت تتطلع من وراء النافذة إلى سيّارة الاسعاف وهي تلج ساحة المستشفى.

هرول أفراد الاسعاف، وما أسرع أن حملوا على المحفة شيخاً قد دهسته سيّارة.

الشيخ في غرفة العمليات فاقد الوعي وليست معه أيّة وثيقة تشير إلى اسمه أو عنوانه.

التقارير تشير إلى حادث دهس وقد فرّ سائق السيّارة.

مرّ اسبوعان إلى أن أفاق الرجل العجوز... قوّة عجيبة كانت تدفع بالهة إلى أن تتفقد ذلك الرجل في اليوم مرّات ومرّات. وكم قضت وقتاً طويلاً وهي تتأمل وجه العجوز المليء بالتجاعيد.

كانت تتساءل عن سرّ هذا الاهتمام ولكن دون جدوى ..ليس هناك من يعرف هذا العجوز ..وكان ظن البعض انه مسافر غريب قد قدم من ديار بعيدة.

وتتحسّن حالة العجوز.. ولكنه ظلّ معتصماً بالصمت ..كان الحزن يموج في

عينيه ... وكان من الواضح أنه يخفي في صدره همّاً ثقيلاً.

وذات يوم جلست إلهة على حافة سرير العجوز وسألته بودّ:

ـ هل انت بخير يا أبي .. أراك تحمل همّاً ،ولكنك تعتصم بالسكوت خفف عن قلبك الهموم بالكلام.

تجمعت في عيني العجوز الواهتين الدموع، وتأوّه بحسرة وقال:

ـ طيّب يا ابنتي سأتكلم، ان حنانك يثير كوامن جرح قديم في نفس يعذبني أكثر. أنت تذكريني باحدى بناتي ولو كانت حيّة اليوم لكانت في مثل سنّك.

كان العجوز يبكي وهو يواصل حديثه ويذكر تفاصيل عن حياته مع زوجته التي طالما آذاها لأنها لا تلد له غير البنات:

ـ كنت اظن أن الطفلة قد ماتت ولكن الحقيقة كانت غير ذلك بعد عامين من تلك الحادثة حملت زوجتي وانجبت صبياً ولكنه كان مشلولاً.

لقد ايقظتني الحادثة من غفلتي وركعت لله قلت له: يا رب غفرانك يا أحكم الحاكمين .. الهي أنا مذنب عاص سامحني يا رب ... لقد تحطم كل كبريائي أمام زوجتي وبناتي كنت ابكي.

ولم تكن زوجتي أفضل حالاً مني .. كانت تهذي في نومها .. كانت تخفي عني سرّاً .. كان سرّاً مريراً ...

ولكنها لم تتحمل الصبر أكثر من ذلك واخبرتني بكل شيء قالت لي أن ابنتنا الأخيرة لم تمت ... لقد وهبتها إلى أسرة مجهولة!

ومن ذلك اليوم وأنا اتعذب .. أي اثم ارتكبت ومن ذلك اليوم وأنا مستعد لتلقي العقاب، ذهبت إلى القابلة لأعرف لدى أية أسرة أودعت ابنتي .. ولكن القدر قطع آخر خيوط الأمل فقد قيل لي لقد ماتت منذ أربع سنوات ...

من أجل هذا لم أعد أطيق البيت ..قرّرت أن أبحث عنها في كل مكان فلعلّي

اعثر على ابنتي الضائعة.

وها أنا أطوي المدن بحثاً عنها وليس عندي منها علامة الاّ اسمها.

شعرت الممرضة باللهفة وهي تسألة.

ـ وماذا كان اسمها يا أبي ؟

قال الشيخ بيأس:

ـ اخبرتني زوجتي قبل وفاتها انها طلبت من القابلة أن يكون اسم البنت إلهة ... نعم ليس هناك من علامة الاّ هذا الاسم فقط.

سألت الهة:

ـ وإذن فهي قد ماتت.

ـ نعم منذ خمسة أعوام.

شعرت الهة بان كيانها يرتجف بشدّة وأن قشعريرة عنيفة تسري في كل ذرة من جسدها .. وتفجّرت الدموع من عينيها وشعر العجوز بالدهشة فسأل:

ـ لماذا تبكين يا ابنتي؟! أنا الذي عليّ أنا أبكي بدل الدموع دماً.

لم تسمع الهة ما قاله العجوز .. إذ سرعان ما نهضت وغادرت الغرفة ...

وجدت نفسها تهرول إلى البيت وقد خنقتها العبرة .. كانت قد سمعت منذ أعوام انها ليست ابنة لهذه الاسرة.

وكلما سألت والديها اعتصما بالصمت ..

رأت الأم الهة مخطوفة اللون قد تورمت عيناها من البكاء فشعرت بالقلق:

ـ ماذا حصل يا ابنتي ؟ هل أصابك مكروه ؟!

قالت الهة بضراعة:

ـ أرجوك اجيبي على سؤالي .. من الذي سلّمني اليكم يوم كنت طفلة رضيعة ؟

حاولت المرأة تهدئة الهة .. شدّت الهة على يديها لكأنها تحثها على الكلام وكان قلبها يموج باعصار من حزن مرير وانكشفت كل الحقائق وعرفت الهة ان ذلك العجوز الراقد في المستشفى لم يكن غير أبيها.

والآن ماذا تفعل ما أصعب الاختيار!

ـ انهضي يا امي ... لنذهب إلى المستشفى ... أن أبي هناك.

وعندما وصلا المستشفى وجدت الهة السرير خالياً وسألت بذعر فقيل لها: لقد توفي منذ نصف ساعة وقد سجل الطبيب أن سبب الوفاة هو السكتة القلبية.

وعندما غادرت الهة المستشفى كان المطر ينهمر غزيراً وامتزجت دموعها مع المطر .. فألقت نفسها في احضان المرأة الطيبة وقالت:

ـ لنعد إلى البيت يا .. أمي :[1]

* * *

---

(١) جريدة ايران العدد ٧٣ الخميس ٧٤/٢/١٢ هـ ش.

١٨

المغرورة

متعبة أنا ـ اريد أن اروّح عن نفسي بالحديث عن حياتي المشتركة، اتمنّى أن يكون ما حصل لي في الماضي عبرة للذين بدأوا حياتهم الزوجية.

ان ماضيّي أكثر تعبيراً لقد ديست كل الاشياء الجميلة كلّ سعادتي تحت عنادي وتكبّري.. أجل كنت أعرف مرضي.. ولكن لا فائدة إذ لا علاج لمرضي.. انه مزمن لا ينفع معه دواء.

رأيت «كامران» للمرّة الأولى عندما كان طالباً في كلية الطب وقد جاء إلى منزلنا، كنت وقتها في الحادية عشرة من عمري وكان يتردد علينا بين الحين والآخر فقد كان من أقاربنا.

كان تصرفه مهذباً، وعندما انهيت دراستي الاعدادية جاء لخطبتي وقد دهش الجميع لهذه الخطبة، ذلك انه لم يتصرّف طوال تلك المدّة بطريقة توحي بحبّه لي ورغبته بي. وأنا أيضاً لم أدرك اي معنى لتصرّفه.

وأخيراً ووسط الهلاهل والافراح وتصفيق الأقارب انتقلت إلى بيت الزوجية.

كنت حينها في العشرين من عمري طالبة في قسم الكيماء.

وزوجي يجتاز دورة تخصصية في الأمراض العصبية.

كان كامران يؤكد دائماً ان حياتنا ستكون سعيدة وانه لن يقصّر في تأمين كل أسباب الرفاه لي.

كان يحاول أن يزرع ثقتي به، لقد كان انساناً يتدفق عاطفة.

مرّت ثلاثة اعوام على حياتنا المشتركة، كان يكبرني عشرة اعوام وكان ابواي سعيدين جداً بزواجي منه، وكان الجميع يعتبرون زواجنا زيجة ناجحة وموفّقة.

حتى ان امّي كانت تردد في كل مرّة: قولها:

ـ «يا بنت أنت محظوظة كثيراً.. لتعرفي قدر هذه النعمة ان كامران يستطيع ان يسعدك ولكني اشك بقدرتك على إسعاده».

قبل أن يخطبني كان أبواي يردّان الخاطبين انتظاراً له دون أن يستشيراني في ذلك.

وكما قلت عقد قراننا في يوم ربيعي لأجد نفسي في بيته كسيرة القلب.

كنت اكتم صرختي في صدري. لقد تعلمت الصمت تعلمت كيف اكظم شكواي.

وخلال سنة واحدة تحولت إلى انسانة سريعة التأثر يصعب على من حولي ان يقيم علاقة طيبة معي.

لقد كنت اعذب نفسي دون معنى .في الوقت الذي لم يدّخر هو فرصة الّا وانتهزها من أجل اسعادي.

كان حبّه لي يتضاعف وكان كرهي له يزداد.

لقد اغتررت بجمالي وشبابي، كنت أفكر في أن كامران لن يجد الفتاة التي

ستتزوجه لأنه لم يكن يملك حظاً من الجمال، وانني الوحيدة التي وافقت في العيش معه.

يا لها من افكار تافهة، وما أسرع ان تبددت حياتي الجميلة ... أنا الآن في الرابعة والاربعين من العمر ولدي ثلاثة أبناء.

لقد مرّ على حياتنا الزوجية اربع وعشرون سنة لم ير فيها كامران مني وجهاً طلقاً.

لقد كنا اشبه بغريبين يعيشان تحت سقف واحد.

بالطبع لقد كان الجفاء من جانبي وحدي فقط.

الشهور تمضي والبرد الذي لفّ حياتنا استمرّ إلى سنين طويلة، وشيئاً فشيئاً كان اولادنا يكبرون، وكانوا يدهشون لمعاملتي أباهم بهذه الطريقة.

وسلبتني الأيام شبابي وجمالي وافزعتني الشيخوخة فدفعتني باتجاه كامران، ولكن ياللأسف لقد فات الأوان.

ان المسافات التي تفصل بيننا قد استحالت إلى سدّ كبير.

وجاء الدور لكامران لأن يثأر مني، لقد كان طوال تلك السنين أباً وأماً لأولاده مما جعلهم يلتصقون به.

لقد أصبحت وحيدة تماماً، حاولت أن أثور على إهماله لي فتشاجرت معه.

فنظر الي بغضب وقال:

ـ پروانة! لقد تحملت كثيراً.. لقد تعبت، أنا انسان ومن حقي أن أعيش واستمتع بحياتي.

وبعد هذه الحادثة بثلاثة أشهر تزوج كامران من إمرأة اخرى وليهجرني إلى الأبد..

وكان من الطبيعي أن يقف الأولاد إلى جانب ابيهم.

انني وحيدة والآن بالرغم من دخلي الكافي انني احلم بعودة كامران وربّما اضحك من نفسي على مثل هذه الأماني .. أحاول أن اخدع نفسي ولكن ..

ليس هناك من يدرك عذابي وآلامي .. انني أوجه نـصيحتي إلى الفـتيات اللاتي ما يزلن في مقتبل حياتهن .. إن يدركن قدر اللحظات الحلوة في حياتهن، وأن لا يجعلن للتكبر والعناد والأنانية طريقاً إلى نفوسهن حتى لا يلقين المصير الذي لقيته[1].

* * *

(١) جريدة كيهان العدد ١٥٥٧٨.

١٩

فتاة الملجأ!

بدأت الكارثة في تلك الليلة الممطرة، كنا نتناول طعام العشاء عندما رنّ جرس الهاتف.

رفع زوجي سماعة الهاتف، ولكن أحداً لم يتكلم، مرّت لحظات ليستمع إلى الصوت ثم وضع السماعة وعاد إلى المائدة.

مرّت دقائق ورن الجرس مرّة أخرى وفي هذه المرّة خفّ ابني الصغير ورفع السماعة، وأيضاً لم يكن هناك سوى السكوت.

شعرت بالقلق، كنت أرقب زوجي بطرف عيني، وكنت انتظر أن يقول شيئاً!

في كل ليلة كان الجرس يرنّ ولم يكن غير ذلك المجهول، أدركنا من خلال سكوت زوجي ونظراته انه بدأ يشكك فيّ.

أصبح سيء المزاج وعصبياً، وكان يصرخ بي وبطفلي لأقل شيء.

كان يتناول عشاءه ويلج غرفته ويغلق الباب على نفسه، فكرت أن أذهب اليه في غرفته واقبل قدميه وأبكي وأقول له:

ـ صدّقني يا مجتبى! انني لا أعرف ذلك المجهول، وعندما أقف خلف

الباب اتراجع عن قراري وأعود إلى غرفتي لاحتضن طفلي في الظلام وابكي.

كان الوقت منتصف الليل عندما رنّ جرس الهاتف كخنجر يمزّق صدري.

نهضت برعب وأسرعت إلى الصالة قبل أن يستيقظ زوجي رفعت السماعة وانتظرت:

ـ مريم اليس كذلك؟

كان صوت رجل تنمّ لهجته عن انسان غير مهذب.

ـ نعم أنا مريم، من تكون يا سيّد؟!

أجاب بلهجة تشوبها ضحكة ماجنة:

ـ أنا من يعرف سرّ حياتك هل يسرّك أن أخبر زوجك العزيز بذلك؟

شعرت بانه يمزق نياط قلبي وصرخت به غاضبة:

ـ لماذا تزاحم الناس يا أبله؟!

ـ أنا الابله أم أنت يا بنت الملجأ يا من تربيتي في ظل عائلة معروفة ثم لتصبحي زوجة مهندس؟ انني أعرف كل شيء عن حياتك، هل تودّين أن اطلع زوجك على ماضيك؟

اختنقت بعبرتي فقدت القدرة على الكلام، والمجهول عندما رآى سكوتي قال:

ـ يكفي هذا القدر في هذه الليلة، أردت أن أحيطك علماً بأني اعرف أسراراً عن حياتك.

شهقت ببكائي قلت له:

ـ أيها الظالم يا عديم المروءة، لماذا تلعب بحياة الآخرين وسعادتهم.

قهقه الرجل المجهول وقال:

ـ برهني على ان سعادتك مهمة بالنسبة لك.. سأتصل غداً.

شعرت بالانهيار والرعب... فجأة سمعت زوجي يخاطبني بلهجة مهددة:

ـمع من تتحدّثين ؟

أجبت مرتبكة:

ـلا أحد مزاحم يهذي.

قال زوجي وهو يطفح غضباً وشكّاً:

ـنعم انه مزاحم لا يعجبه صوتي:

أجبته وأنا أبكي:

ـصدّقني يا مجتبى انني لا أكذب.

أن هذا الغريب يريد أن يدمّر حياتنا.

أهمل زوجي كلماتي لم يعرها أي اهتمام وعاد أدراجه إلى غرفته ليغلق الباب وراءه بعنف.

اما أنا فرميت نفسي فوق السرير ودفنت وجهي في الوسادة... وبكيت.

تساءلت عن هذا المجهول الذي يريد أن يعبث بحياتي ؟

هذا ظلم... ظلم... انني أحب زوجي وطفلي... ولا يحق لأحد أن يسلبني هذه السعادة... أدركت ان هذا المجهول يعرف سرّ حياتي.

أجل أنه صادق في دعواه. فأنا كنت لقيطة.. لديّ اضبارة في أحد ملاجىء طهران، إضبارتي تتضمن معلومات عن حياتي.

تقول الاضبارة «ان رجلاً مجهولاً يودع طفلة صغيرة لدى قسم الاطفال الرضع ثم يغادر المكان دون أن يترك عنواناً، على أني لم أعِ ما حولي الاّ في ظل أسرة ثرية فعشت منعّمة مع أب رحيم وأم مغرورة وأنانية كانت تعاملني ببرود قاتل وكنت العب مع أخ أصغر مني.

كنت فارغة البال أعيش في أحلام ملوّنة من دنيا الطفولة البريئة وكبرت...

أصبحت فتاة في السابعة .. وفي تلك الأيام عصفت بأحلامي وأمنياتي عاصفة الحقيقة.

ذات يوم وعندما كنت اتجول مع إحدى الخادمات أفشت الي السرّ الكبير:

ـ هل تعلمين يا مريم: بانك لست ابنة لهذه الاسرة .. لقد كان عمرك عامين عندما جاءوا بك إلى هذا البيت وتتبناك الأسرة لأن السيدة لم تكن حتى ذلك الوقت تنجب اطفالاً.

عدت إلى البيت وأنا أبكي .. ذهب إلى غرفتي مباشرة ولم أحيّي أحداً أو أتحدث مع أحد.

وداهمتني حمّى رهيبة في تلك الليلةولزمت فراشي. تحوّلت إلى مخلوقة أخرى أنفر من الجميع .. ولم أجرأ على فتح الموضوع مع أبي ...

كنت أخشى أن أسمع هذه الحقيقة من فمه فينقطع آخر خيوط الأمل.

أصبحت وحيدة ومنزوية، وكانت آهاتي وحسراتي تتضاعف كل يوم وتنفذ في أعماقي أكثر فأكثر.

وشعر أبي بالقلق إزائي ... كان يحبّني ويعطف عليّ.

واجتاحتني رغبة عارمة في معرفة أبويّ الحقيقين ولماذا تخلّيا عني ...

في المدرسة ... في البيت ... في الشارع ... في كل مكان كانت هذه الأفكار تجول في خاطري .. ترى أين والداي الآن؟ ورسم خيالي صورة لأمي .. في الشوارع كنت أحدّق في وجه كل إمرأة تصادفني لعلّي أجد وجهاً يشبه الصورة التي رسمها الخيال في أعماقي.

كنت في السنة الأخيرة من الاعدادية عندما طرق بيتنا خاطب.

شاب متعلّم من أسرة غنية تخرج من كلّية الهندسة.

ليؤسس له شركة تجارية معتبرة.

أقيمت حفلة العرس في أحد فنادق طهران الكبرى، وكان الاحتفال كبيراً.. وهكذا انتقلت إلى بيت الزوجية دون أن يعلم زوجي بسرّي.

لم أكن ارغب أن يكتشف زوجي سرّ حياتي، من أجل هذا وافقت على أن أدفع مبلغاً من المال مقابل سكوت ذلك الرجل الذي اتصل هاتفياً.

كان الوقت صباحاً وكنت في المطبخ عندما رنّ جرس التلفون.

وكان على الخط رجل مجهول، قال لي:

ـ إذا أردت أن يبقى سرّك مدفوناً إلى الأبد... فعليك أن تحضري «خمسين الف تومان» إلى المطعم الفلاني واتركي المبلغ تحت طاولة الصالة.. وينتهي الموضوع... لأنني لن اتصل بك بعد هذا..

بقيت حائرة مشتتة الفكر.. قررت أن ادفع المبلغ، كنت اشعر بالرعب إذا ما عرف زوجي سرّي وطلقني:

فتحت الصندوق.. واخذت خمسين الف تومان.. كانت أول مرّة أفعلها وكنت اخشى أن يشعر زوجي بأني أخذت من نقوده..

وضعت المبلغ في جريدة ووضعتها في حقيبتي.

في العصر توجهت إلى المطعم.. ووضعت المبلغ في المكان المتفق عليه.. وعندما غادرت المطعم لمحت شاباً يرتدي ثياباً رثّة عبوس الوجه يعتبر الشارع متوجهاً إلى المطعم.. وكان ينظر اليّ.

عندما عدت إلى البيت شعرت ان همّاً ثقيلاً ينزاح عن كاهلي، فاحسست بالهدوء. ان كل شيء قد مضى ولم يبق هناك ما يهدد حياتي الزوجية.

كنت قلقة لو أن زوجي شعر بالمبلغ الذي أخذته.

كنت افكر بسذاجة..

مرّ أسبوع عندما رنّ جرس الهاتف في منتصف الليل.. ولم يكن غير ذلك

الشاب المجهول.

قلت له بلهجة فيها غضب:

- ماذا تريد مني هذه المرّة.

قال بلهجة فيها تهديد:

- أريد مبلغاً آخر من النقود!

أعدت السماعة الهاتف بعنف وعندما عدت واجهني زوجي بنظرات عجيبة .. قال بلهجة فيها تأنيب:

- اشمّ رائحة خيانة في البيت .. رائحة سرقة ورائحة كذب لم يعد لي مكان هنا ..

قال هذا وعاد إلى غرفته ليرتدي بدلته ..

عندما مرّ من أمامي ليخرج اعترضت طريقه تعلّقت به بكيت قلت له:

- صدّقني يا مجتبى أنت مخطىء .. أنا لم أخنك ..

وضاعت كلماتي ودموعي .. مرّ أسبوع وأنا أنتظر .. كنت أبكي ليل نهار.

كلما اتصلت هاتفياً بمنزل والدته كانوا يلتزمون الصمت عندما يتعرّفون صوتي ..

وبقيت أتجرّع مرارة الوحدة بين جدران بيت مترع بالحزن والهمّ واليأس ..

وخلال تلك المدّة كان الشاب يتصل كل يوم ويهدّدني.

كان وقت الغروب عندما رن جرس الهاتف .. فجأة اشتعلت فكرة شيطانية في اعماقي: يجب أن اقتل هذا الرجل .. هذا المجهول الذي دمّر سعادتي ..

رفعت السماعة وكان على الخط ذلك الشاب، وراح يتهدّدني في هذه المرّة قلت له:

- تعالى إلى المنزل .. أنا وحدي في البيت تعال إلى هنا لأعطيك المبلغ الذي أردت.

بعدها ذهبت إلى المطبخ .. وأخذت سكيناً ووقفت في البهو انتظر .

الساعة كانت تشير إلى الخامسة عصراً .. لقد دنت اللحظة المترقبة !!

طفلي كان نائماً في غرفته .. في الساعة الخامسة وعشر دقائق سمعت صوت جرس الباب ...

وجاء صوت أبي يقول :

ـ افتحي الباب يا عزيزتي .. أنا أبوك !

وكانت لحظات مثيرة لحظات اللقاء .. ادرك انّي في أزمة مدمّرة هتف بي :

ـ ماذا حصل ؟ ماذا جرى ؟ !

القيت نفسي على صدره الدافىء وأنخرطت في بكاء مرير .. قلت له كل شيء .. قلت له انني انتظر هذا الذي دمّر سعادتي وبيتي .. قلت له ان السرّ الذي أخفيته عني قد دمّرني الآن .

قلت له :

ـ اين أبي وأمي . يا أبي ؟ !

ربت الأب على كتفي بحنان ومسح عن أهدابي قطرات الدمع العالقة وقال :

ـ يجب أن اتصل بزوجك قبل كل شيء ... يجب أن يحضر حالاً لأطلعه على السرّ ..

كان أبي تحدّث مع زوجي ... عندما دق جرس الباب ... لقد جاء الشاب .. نعم أنه الذي رأيته في الشارع المقابل للمطعم ..

وعندما وضع الشاب قدمه في البهو .. وكانت عيناه تتأرجحان بشكل جنوني صاح أبي :

ـ تقدّم ايها اللئيم .. تقدّم يا حقير !

تكوّم الشاب في زواية فبدا مثل مجرم تعرض للضرب المبرّح ..

لم يتأخر زوجي .. جاء في الوقت المناسب .. وكانت لحظات مثيرة .. هيمن صمت ثقيل كسره أبي :

ـ انه سوء الظن الذي دمّر حياتكم .. أتعرف من كان يتصل بزوجتك هاتفياً ؟ انه هذا الشاب الضائع .. الذي طالما أحسنت اليه يوم كان يعمل في شركتي .. لقد طردته بسبب خيانته ! هذا المدمن .. سمع بعض الأشياء عن ابنتي مريم .. لهذا أراد أن يبتزها مقابل السكوت ..

ولكنك أسأت الظن في زوجتك !

انني أجد نفسي مضطراً لأن أبوح بسرّ كتمته سنيناً طويلة .. حتى مريم لا تعرف الحقيقة .. لأنها هي الأخرى تظن نفسها لقيطة ..

ولكن الحقيقة غير ذلك سوف أروي لكم القصّة كلها .

كنت يومها شاباً .. أحببت فتاة طيبة .. ولكنها كانت من اسرة فقيرة .. ووقفت أمي في طريق الزواج سدّاً وحاولت المستحيل لتمنعني .. ومع ذلك فقد تزوجت بها سرّاً .. وكانت ثمرة زواجنا بنتاً اسمها مريم» ..

وهي زوجتك هذه .. مريم ابنتي الحقيقية .. ولقد اخطأت في حقها .. خطأ فادحاً أرجو أن تسامحني ..

وعندما عرفت أمي الحقيقة اقامت الدنيا ولم تقعدها .. واجبرتني على الطلاق .. ولم تكن مريم سوى طفلة عمرها شهور وهكذا بقيت أنا وهذه الطفلة .. كنت أفكر في مستقبلها ... أودعتها في الملجأ .

ولم يكن أمامي سوى الزواج من ابنة خالتي .. وكانت حياتنا الزوجية يلفها الصقيع .. كانت عقيماً .. فانتهزت الفرصة وعرضت عليها أن نتبنّى طفلاً يتيماً ..

وهكذا ذهبت الملجأ وعدت احمل بين ذراعي ابنتي مريم ...

لقد آليت على نفسي أن أكتم هذا السرّ .. لم أبح به لأحد حتى هذه اللحظة ..

هذه يا بني زوجتك الطيبة الطاهرة .. لقد أرادت أن تدافع عن أمنها وحياتها الزوجية وسعادتها.

لم أتحمل اجهشت بالبكاء .. وكان بكاء فرحة كبرى لم يتحملها صدري .. واحتضنت أبي واشبعته قبلاً كانت مخزونة في قلبي سنين طويلة ..

وتكلم زوجي .. جاءت كلماته هادئة مفعمة بالودّ!

ـ أنا اعتذر إلى مريم .. لم يكن ما حصل مهمّاً .. وحتى لو كانت فتاة من ملجأ .. فهي زوجتي التي اعتز بها.

وفي هذا اللحظة أدار أبي قرص الهاتف وطلب من الشرطة الحضور لاعتقال ذلك الخائن الذي أراد تدمير حياتي[1].

* * *

(١) جريدة ايران العدد ١١١/٣/٤/٧٤.

٢٠

بنت التاجر

كان لتاجر ثري فتاة وحيدة .. زوّجها من شاب ثم سجل كل ثروته وأملاكه باسم ابنته .. وعندما تم كل شيء إذا بهذه البنت العاقّة والصهر اللئيم يسيئان معاملة الرجل العجوز الذي احسن اليهما . أهملاه تماماً .. لم يحترما شيخوخته أبداً .

التاجر المسكين فكّر أن يعيش أيام حياته الباقية في رعايتها فرسم لذلك خطّة ..

ذهب إلى أحد أصدقائه واقترض منه مسكوكات ذهبية ليوم واحد ، ثم دلف إلى غرفته وراح يعدّها .. سمعت الفتاة وزوجها رنين الذهب فاسرعا اليه وتساءلا بدهشة :

ـ من اين لك كل هذا الذهب ؟

ـ انها لي .. ان هذا الصندوق الحديدي مليء بالمسكوكات الذهبية .. ادخرتها ليوم الحاجة .

برقت عينا الفتاة طمعاً وكذا زوجها .. ومن ذلك اليوم وهما يقومان بواجبهما تجاه الرجل العجوز على أحسن وجه .

كانا ينتظران موته ليستوليا على الصندوق المليء بالذهب ...وهكذا عاش الرجل العجوز أيامه الأخيرة في راحة وفراغ بال :

وتوفي العجوز وقامت بنته وصهره بالواجب حيث ووري الثرى في مراسم مهيبة !

وبعد انتهاء المراسم أسرعت الفتاة وزوجها إلى الصندوق وفتحاه ، فلم يجدا أثراً للذهب : كان الصندوق مليء بالحجارة ووجدا ورقة مكتوباً فيها : «هذه الحجارة لرجم من يهب ثروته إلى الآخرين قبل موته»[1].

* * *

(١) الف حكاية وحكاية / ١٨٥ بتصرّف .

(٢١)

التائبة

ان تجارب الفتيات الشابات المخدوعات من اللاتي سحق غرورهن .. ان هذه التجارب ستكون عبرة لغيرهن .

أنا لم أعشق أحداً .. هكذا سقطت في هاوية الفساد والضياع كنت أسير نحو الفناء حتى الاستغراق .. ولكن في لحظة وجدت من ينقذني من تلك الحياة القذرة إلى حياة طاهرة ونظيفة .. انها يد العناية الالهية .

إنّ ما أستطيع أن اتذكره انه لم تكن لي علاقة طيبة مع أمّي .. كنت أعيش معها كما يعيش الغرباء .. لا أدري هل هو تقصيري أن أكون مشاكسة ومشاغبة أم تقصيرها ... ؟

لم أشعر بالهناء في البيت ابداً .. ولعلّ هذا ما جعلني استخدم كل قوّتي في المدرسة .. أصبحت حياتي كلها في المدرسة والدراسة وتدريس زميلاتي الضعيفات .

كنت مستعدة لأن أموت من أجل الدراسة ، وكان هذا أكبر مشكلة بيني وبين أسرتي ، خاصّة أمّي .

كنت متفوقة في الدراسة وفي السلوك أيضاً .. وكان عندي صديقات كثيرات .. وكل المدرسات كن يحببني ، وهذا ما كان يرضيني .

كنت في السنة الثانية من الاعدادية .. عدت إلى المنزل وعرفت أن خالي الذي لم اره منذ سنين في منزلنا .

دخلت الغرفة وحيّيت الجميع .. عندما نظر الي خالي نهض مبهوتاً .. في البداية ذعرت .. ثم رغبت في أن أعرف سرّ نظراته تلك .

كل أفراد الأسرة أيضاً عجبوا لنظراته .. تقدّم نحوي وقال :

ـ أتدرين بم كنت أفكر ؟ .. لقد ظننت للوهلة الأولى أن أختي قد دخلت الغرفة .. يا لدهشة .. فلكأنك هي .. عادت إلى الدنيا مرّة أخرى .

وأردف يحدّث أبي :

ان «فرشته» تشبه أمها كثيراً .. ان أمّها كما هي «فرشته» الآن .. ان ابنتك قد ورثت جمال أمها الخارق .. عينيها الجميلتين ، نظراتها وملامحها و...

اجلسني خالي إلى جانبه وراح يصف جمال اخته التي كانت اجمل فتيات المدينة .. تحدّث عن ذكرياته .. وعن المعارك التي جرت بين الخاطبين وكانت أمّي تنظر الينا بغيظ .

ادركت سرّ هذا الغيظ الذي تكنّه أمّي .. ستبقى تحمل هذا الغيظ ... غيظ مرأة الأب إلى القبر لهذا كانت تقرعني بكلماتها :

ـ لقد ورثتها .. عنيدة ومشاكسة ..

بل كانت تصفني :

ـ البنت القبيحة .

لقد عرفت جواب السؤال . لماذا كنت اتعرّض دائماً للمضايقة رغم انني أسير مطرقة في الشارع والزقاق ؟!

كنت أشعر بالفرح لا لأني اكتشفت جمالي، بل لانني ادركت ان ما تقوله لي ليس سوى مزاعم باطلة.

ادركت انني وإضافة إلى تفوقي في المدرسة احظى بقسط وافر من الجمال والفتنة.. وهذا ما جعلني أشعر بالقوّة.

وهكذا سارت الأمور على هذا المنوال، هزائم في البيت وانتصارات في المدرسة.

اكتشفت فيما بعد كثرة الخاطبين الذين كانوا يطرقون بيتنا، حتى شقيق مديرة المدرسة وهو على جانب من الثراء.. ولكن أمّي كانت تردّهم جميعاً دون استثناء وحتى دون استشارتي!

مضت عدّة شهور على سنتي الثالثة في الاعدادية.. أصبحت لا أطيق أحداً ولا أتحدّث مع أحد.

كنت أكره أيام الجمعات وعندما اتذكر العطلة الصيفية القادمة تجتاحني قشعريرة.

ذات يوم بقيت في ساحة المدرسة ولم احضر درس الكيمياء، جاءت إحدى صديقاتي وقالت:

ـ لماذا جلست وحدك.

قلت:

ـ لقد مللت.. أبحث عمّن يحبني واحبّه!

ـ قالت:

ـ ما هذا الكلام.. انك وبهذا الجمال تستطيعين أسر من تريدين بمجرّد نظرة عابرة.. ان أحداً لن يصدّق أن فتاة بهذا الجمال ليس لها صديق!

وأردفت:

-كل البنات يتحسّرن على جمالك يتمنين ولو ذرة من هذا الجمال الفاتن.

ومضى ذلك اليوم بأحاديثه التافهة..

امّا أنا فرحت انظر وانظر ولكني لم اعثر على الصديق الذي أنشده.

ربما أردت أن انفس عن عقد الطفولة.. ولعلّي كنت أريد الانتقام من أمي التي طالما تنعتني بالقبيحة.. وربّما أردت أن أصنع لنفسي شخصية خارج المنزل بعد أن افتقدتها داخل البيت.

لا أدري بالضبط متى وكيف اكتشفت ان لمس يد غير المحارم أمر يسير وسهل، وان الحديث مع الآخرين وحضور الحفلات والسفر معهم شيء طبيعي هكذا أضحت حياتي.. يوماً مع هذا ويوماً مع ذاك.. ولكن في أعماقي رغبة متتأججة تنشد عطف الأم!

وخلال تلك الفترة تهافت عليّ الأثرياء يطلبون مني نسيان كل شيء والزواج منهم.. على اني كلما فكرت في الزواج لم اعثر على الانسان المثال.

وكانت صديقاتي من الفتيات الجاهلات اللآتي كن ينتفعن من ورائي يدفعنني باتجاه هاوية مظلمة سحيقة مالها من قرار..

أصبحت سميرة الليل.. حتى فقدت اعتباري في المدينة والمدرسة... وهكذا أصبحت حياتي طوال سنة ونصف!

في مطلع صيف سنة ١٩٧٩ أخذت «الثانوية» فخسرت أكبر حب لي وهو المدرسة.. لأجد نفسي سجينة المنزل وجدرانه الأربعة، لم يكن لي من أمل في دخولي الجامعة.

كان جيراننا يقيمون مراسم لدعاء التوسل[١] في كل ليلة اربعاء، وفي تلك

---

(١) دعاء معروف تعقد مجالسه في ليالي الاربعاء وفيه تضرع من أجل ظهور المهدي الغائب الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا.

الليلة ذهبت أمي وأخواتي إلى مجلس الدعاء، امّا أنا فبقيت وحدي لانني لم اشترك ولا مرّة واحدة في تلك المجالس...

لم يكن لي من عمل في البيت وشعرت بالكآبة.

فكرت أن اذهب إلى مجلس الدعاء.. ارتديت «الشادور»[1]. وذهبت إلى بيت الجيران، كان الدعاء على وشك نهايته وكانت السيدة التي تدعو تتضرع باكية قائلة: اطلبوا الحاجات من صاحب الزمان.. تأكدوا انكم لن تعودوا إلى بيوتكم بايدٍ خالية!

كانت تكرر ذلك..

أما أنا ففكرت! ترى ما هي حاجتي؟! وبكيت، وهل يستجيب الله دعائي.. هتفت في اعماقي: يا إلهي كيف حصل هذا؟! كيف سقطت الفتاة الطاهرة؟ وهل يوجد طريق للعودة؟ هل أستطيع أن أعود كما كنت في ما مضى؟

وفي تلك اللحظات أعلنت توبتي.. وتضرعت إلى الله أن يعفو عني ويسامحني ويوفقني أن أبني من جديد حياتي.

عدت إلى البيت.. وبقيت تلك الليلة ساهرة حتى وقت متأخر.. بكيت من أجل نفسي.. وحتى من أجل صديقاتي الجاهلات.. من أجل الفتيات اللاتي يفكرن بان الجمال هو كل شيء في.

هكذا كنت «فتاة جميلة مع سيرة قبيحة» في الصباح احرقت جميع الرسائل كلّ أرقام الهواتف، كلّ الصور والأشرطة.. كل الهدايا الثمينة.. حتى دفتر اشعاري الذي كنت احسبه كنزي الوحيد... أحرقت كل شيء فوق سطح المنزل.. كنت أبكي وانا انظر إلى ألسنة النار وهي تلتهم كل آثار الماضي وقذارته.. شعرت بأني

---

(١) عباءة ترتديها الايرانيات.

أولد من جديد وانني أحرقت فقط «فرشتة» القديمة بسيرتها الآثمة.

لقد فعلت ذلك وأنا كنت في ذروة (مجدي).. الخاطبون يتهافتون عليّ بسيارتهم الفارهة.. وكانوا اجمل الشبّان.. نعم كنت في الأوج لم اكن في ايام الخريف لم يحطم أحد كبريائي.. لم أسمح لأحد ان يلوّث عفّتي لقد كانت ارادة الله ومشيئته أن أبقى عفيفة.

عدت أدراجي من سطح البيت وأنا ما أزال أبكي.. شعرت انّني اغتسل في دموعي قلت لأختي:

اذا اتصل أحد فقولي له اني لست موجودة.

قالت أختي معرّضة: حتى لو كان ذلك شهرزاد أو زهرة ؟!

قلت لها:

نعم اياًكان قولي: فرشتة قد ماتت وجاء صوت أمّي تقول: آمين يا ربّ.

كم تعذبت؟ وكم تضرعت؟كم بكيت؟ من أجل أن يسمح أهلي في دخولي الجامعة بعد أن نجحت في امتحانات القبول.

وأخيراً دخلت كلية الهندسة.. وسافرت إلى طهران لاسكن في منزل عمتي العجوز.

امّا أمّي فقد هددتني قائلة:

ـ ادرسي وادرسي إلى أن تموتين.

كنت سعيدة بدخولي الجامعة وفي كلّية الهندسة، وكنت أيضاً سعيدة لأن أيّاً من صديقاتي لا تعرف عنواني فعشت فارغة البال.. فبدأت أعيد بناء نفسي.

وعندما دخلت حرم الجامعة.. دخلتها وأنا انسانة بسيطة في زيّي.. سلوك مهذب.. واخلاق.. وعرفت كيف انتخب الاصدقاء وفي ضوء أية مقاييس.. وأدركت ان الجمال الذي وهبني ايّاه ربّي ينبغي ان لا أستغله بشكل سيّء.

ولم أعر اهتماماً ولم اكترث لكل الكلمات المعسولة التي يطلقها الآخرون.. كان هدفي الوحيد ان أدرس وأدرس وأن أتوب بكل جوارحي.

وذات يوم تقدّم شقيق أحد أساتذتي لخطبتي ولاوّل مرّة شعرت أن أحداً يحبني.. لا من أجل جمالي ولا حتى لشهرة أبي.. بل من أجل شخصي وشخصيتي. وتم الزواج في اوائل دراستي الجامعية.. وكان زواجاً موفقاً مفعماً بالسعادة.. وواصلت دراستي إلى الماجستير.

وها أنا الآن ربّة بيت مع صبي وبنت.. غارقة في بحر من السعادة والمحبّة مع زوجي المؤمن المضحّي.

وما زلت حتى اليوم وبعد خمسة عشر سنة انظر إلى ماضيّي بخوف.. رأيت وشعرت بكل وجودي رحمة الله.. لقد دعاني اليه وأخذ بيدي لينقذني من هاوية الفساد والضياع.

ومنذ تلك اللحظة المثيرة في حياتي وذلك المنعطف أسعى جاهدة لأكون على جانب من التقوى والايمان من أجل أن تبقى توبتي خالصة من كل شائبة.. اتمنى أن تكون قصّتي عبرة لغيري من الفتيات اللاتي تخدعهن المظاهر[1].

* * *

(١) كيهان العدد ١٤٩٤٣ ٧٢/٩/٢٥هـ.ش.

٢٢

ماه اللقا*

ينهض عقد الزواج في الاسلام على أساس من رضا الفتى والفتاة ولا يحق للوالدين اجبار البنت على الزواج ممن لا يرغبن به، وفي مثل هذه الحالة يعتبر العقد باطلاً.

ان على الوالدين إرشاد فلذات اكبادهن، وعدم الانخداع بـالثروة فـيبعا ابنتهما، بثمن بخس، وليعلما ان عاقبة هكذا زيجات لا تكون سوى المرارة والندم لنقرأ هذه الحكاية:

قبل حوالي ثمانين او تسعين سنة وفي محلّة (عودلاجان)** في طهران كان لتاجر فتاة اسمها «ماه اللقا» وكانت فائقة الجمال.

وكان هناك شاب اسمه «ميرزا جعفر» يعمل سكرتيراً في غرفة التاجر، شاء القدر أن يعشق تلك الحورية الجميلة، وكانت ماه اللقا تبادله حبّاً بحبّ.

من أجل هذا كلما جاء خاطب صرفته بحجة وأخرى.

(*) قمر اللقاء.

(**) شارع پامنار وسيروس حالياً.

وزهق الأب من اعذار ابنته كلما جاءها خاطب رفضته وأدرك ان في الأمر سرّاً.

أرسل التاجر وراء إمرأة عجوز من تلك النساء الدلالات اللائـي يـعرفن كيف يصطدن الاسرار من زلّات اللسان. وجاءت العجوز وراحت تكرر زيارتها للقصر وتجلس مع الحريم مرّة وأخرى.. وأخرى حتى عرفت كل شيء وجاءت العجوز لتخبر التاجر قائلة:

ـ إنّ ابنتك تعشق «ميرزا جعفر».

وشعر التاجر أن السقف ينهار على رأسه لهول ما يسمع وطلب من الدلّالة العجوز على مخرج من هذه المخمصة، وسرعان ما وضعت تلك العجوز الداهية خطتها وانصرفت بعد أن قبضت الثمن.

جاء التاجر ووعد ابنته بانه سيضع يدها في يد من تحبّ كما أخبر سكرتيرة بمثل ذلك.

وتعيّن يوم العقد والعرس، وجاء المأذون ليقرأ صيغة العـقد، وفـي تـلك اللحظات اكتشفت ماه اللقا ان العريس ليس ميرزا جعفر بل رجل ثري عجوز.

جلس المأذون وراء الستائر وقرأ صيغة العقد طالباً من العروس الجواب.. ولم تنبس ماه اللقا ببنت شفة، لم تقل: نعم، ولكن امرأة اخرى هتفت قائلة: نعم.

وأسقط في يد العروس التي وجدت نفسها في حجرة العرس مـع رجـل عجوز هامة اليوم أو غد..

واجهشت ماه اللقا بالبكاء وتساقطت الدموع كمطر غزير.

ولم تجد ماه اللقا تلك الحورية الجميلة الّا أن تهشم زجاجة الفانوس ثـم تقطع وريدها، وتصبح حلّة العرس كفناً للموت.

* * *

٢٣

العروس

في احدى القرى الهندية النائية ، تزوجت فتاة شابّة وكانت مستاءة من ذلك الزواج ، ذلك ان زوجها كان يسيء معاملتها ، من أجل هذا انطلقت الفتاة لتشكو زوجها لدى شيخ القرية وتطلب منه عوناً في حل مشكلتها .

قال شيخ القرية الذي حنكته التجارب :

ـ يتوجب عليك أن تنتزعي بنفسك شعرات من ذئب حي ثم ائتيني ... فبها أستطيع تليين قلب زوجك .

وفكرت الفتاة كيف يمكنها أن تفعل ذلك .. كيف يمكنها أن تنتزع شعرات من ذئب حي .

وذهبت الفتاة إلى الصحراء علّها تعثر على ذئب ، ورأت ذئباً يجرّ ماعزاً وينطلق بها إلى الغار .. وراحت تراقب .

رأت جراء الذئب يرضعون من اثداء الذئبة .

في اليوم التالي اخذت الفتاة قدراً اللحم والعظام ووضعتها في طريق الذئب .. وجاء الذئب فأكل قسماً وحمل الباقي إلى جرائه .

كل يوم كانت الفتاة تفعل ذلك، وشيئاً فشيئاً راحت تقترب أكثر فاكثر.

الذئب اطمأن للفتاة، والفتاة راحت تمسح على رؤوس الجراء.

وذات وهي تمسح على رؤوس الذئاب الصغيرة انتزعت برفق عدّة شعرات، وانطلقت بها إلى شيخ القرية.

واندهش الشيخ فقال:

ـ كيف امكنك أن تفعلي ذلك ـ كيف تسنى لك أن تنتزعي شعرات من جسم ذئب حي ؟!!

وقصت الفتاة على شيخ القرية ما جرى قالت:

ـ لقد تودّدت إلى الذئب حتى أصبح يطمئن لي فلا يؤذيني.

وهنا التفت شيخ القرية لها وقال:

ـ يا عاقلة.. ويا فطنة لقد أستطعت ترويض ذئب مفترس وحيوان كاسر، افلا يمكنك من ترويض زوجك ؟! افعلي معه ما فعلت مع الذئب.

لو انك توددت اليه لأحبك وأصبح قلبه أسيراً بين يديك؛ وقديماً قالوا الانسان عبد الاحسان».

* * *

٢٤

فتاة المظاهر

كانت «لوزال» فتاة جميلة وفاتنة، حتى لكأن القدر قد أخطأ اذ نشأت في أسرة فقيرة، لم تكن لتملك شيئاً حتى الأمل في أن تعرف نفسها او تدرك ذاتها، وكانت تودّ لو تزوّجها رجل ثري، ولكنها اضطرت لتتزوج موظفاً في وزارة الثقافة.

ولأنها لا تستطيع أن تهيء لنفسها ثياباً فاخرة كانت ترتدي ثياباً بسيطة، فعاشت حياتها منكسرة القلب تتجرّع مرارة الألم، لأنها كانت تعتقد بانها خلقت لحياة عليه القوم من بذخ وترف.

لقد ملّت بيتها وما فيه من اثاث بائس، كل شيء في البيت كان يعذبها ويزيدها حسرة حتى باتت تملّ الحياة.

لم يكن لديها ثياب فاخرة ولا حلي ذهبية ولا جواهر تتزين بها وهي التي لا تعشق شيئاً عشقها للجواهر، انها لتحس من اعماق نفسها انها ما خلقت الّا للجواهر، وكانت تتمنى أن تصبح فاتنة تأسر قلوب الآخرين في أول نظرة.

كانت للوزال صديقة ثرية .. كانت زميلتها في المدرسة وكانت علاقتها بها

حميمة جداً، ولكنها لم تكن تزورها كثيراً لأنها عندما تعود من زيـارتها تشـعر بالمرارة تعصر قلبها فتتضاعف نقمتها على الحياة، حتى انها تظلّ ايـاماً بـلياليها وهي تبكي وتندب حظها التعس.

وذات مساء جاء زوجها وقدّم لها بطاقة دعوة كان يشعر بالغرور، قـرأت «لوزال» بطاقة الدعوة: يسعد وزير الثقافة وزجـته حـضوركم والاشـتراك فـي الاحتفال الذي سيقام في يوم الاثنين ١٨ كانون..

فوجيء الزوج وهو يرى زوجته لوزال تصرخ بعصبية:

ـ ماذا تريدني أفعل بهذه البطاقة ؟!

ـ تصوّرت انك ستفرحين بهذه الدعوة.. وستسعدين بها لقد عانيت كثيراً في الحصول عليها.. فالاحتفال تحضره كبار الشخصيات وهم عادة لا يدعون موظفي الوزارة.

رمقت لوزال زوجها بغضب وقالت:

ـ ماذا تريدني، ارتدي في هذه الحفلة ؟

حقا لم يفكر الزوج المسكين بهذا الموضوع لهذا قال بارتباك:

ـ في رأيي يمكنك أن ترتدين الفستان الذي اشتريته في العيد.. انه جميل و..

لم يستطع ان يكمل كلامه.. وهو يرى زوجته تنخرط في بكاء مرير سألها بدهشة:

ـ لماذا تبكين يا عزيزتي ؟!

مسحت لوزال دموعها وبذلت جهداً جباراً في السيطرة عـلى مشـاعرها وقالت:

ـ لا شيء.. أنا لا أستطيع الاشتراك في الحفلة إذ ليس لدي فستان مناسب..

تستطيع أن تهب البطاقة لأحد أصدقائك ممن تمتلك زوجته فساتين للحفلات.

قال الرجل بحزن: أسمعي يا عزيزتي كم يكلف الفستان؟ اقصد فستان مناسباً ورخيصاً؟

فكرت لوزال لحظات قبل ان تقول:

ـ لا أدري بالضبط ولكن يمكن شراء فستان مناسب بـ«أربعمائة فرنك».

بلع الرجل ريقه انه يدخر هذا المبلغ لترميم سقف المنزل.. ولأنه يعشق زوجته فقد قال:

حسناً.. سأنقذك المبلغ بشرط أن تشتري فستاناً جميلاً يمكنك الاستفادة منه في مناسبات أخرى.

اقترب موعد الاحتفال وقالت لوزال لزوجها بحسرة:

ـ يحزنني انني لا أملك عقداً.. انني لا أملك حتى حبة ماس واحدة يمكن أن اطرّز بها فستاني.. سيكون منظري مضحكاً.. انني أفضل عدم الذهاب إلى الحفل.

ـ ضعي وردة.. وردة طبيعية اجمل: انها تناسب هذا الفصل بعشرة فرنكات فقط يمكنك ان تشتري ثلاث زهرات.

ـ كلّا! لا شيء أسوأ من أن يفضح المرء نفسه بين تلك النسوة الثريّات.

وفي تلك اللحظة هتف الزوج كمن اكتشف شيئاً هامّاً

ـ ما أغفلك!! حسناً يمكنك أن تذهبي إلى صديقتك السيدة «فرستيه» وتستعيرى منها ما تشائين من الجواهر.

هتفت المرأة بسعادة:

ـ آه.. حقاً... كيف غفلت عن هذا؟!

في اليوم التالي انطلقت لوزال إلى منزل صديقتها وشرحت لها القصّة..

ابتسمت السيدة فرستيه وهي تفتح صندوق الجواهر.

ـاختاري ما تشاءين يا عزيزاتي!

كان في الصندوق أساور وعقد من اللؤلؤ وخاتم ترددت لوزال ماذا تختار؟

بحثت في الصندوق.. فجأة وقعت عيناهاعلى عقد برليان رائع خفق قلبها بشدّة وهي تتسلمه.. ارتجفت يداها وهي تضعها في جيدها.. وراحت تنظر إلى نفسها في المرآة بفرح.

قالت بلهجة يشوبها قلق وتردد:

ـهل تعيريني هذا العقد؟! انا انتخب هذا فقط.

ـبالتأكيد يا عزيزتي.

وعانقت لوزال صديقتها بحرارة وقبلتها بحب.. لتعود بكنزها إلى المنزل.

اطلّ يوم الحفل، وكانت لوزال نجم الاحتفال.. كانت الأجمل بفستانها الانيق وجمالها الفاتن، كانت النسوة يتساءلن عن اسم هذه السيدة الفاتنة فيما راحت بعضهن يتوددن اليها.

شعرت لوزال بانها سكرى في تلك الليلة الساحرة ولم تكن لتفكر بشيء آخر.

في منتصف الليل غادرت لوزال الحفل مع زوجها عائدين إلى منزلها، لم تكن هناك من عربة لتحملهما إلى الشارع وأخيراً شاهد عربة عتيقة فركباها واتخذا مكانيهما فيها.

كانت سعادتها تتبخر شيئاً فشيئاً وتبددت نشوتها وهي تضع قدمها في المنزل.

وكان زوجها يودّ النوم بسرعة ليبكر إلى عمله في الصباح.

خلعت لوزال فستانها أمام المرآة.. كانت تودّ أن ترى نفسها مرّة أخرى.. فجأة رأت جيدها عارياً.. صرخت بذعر:

ـ العقد !! العقد الماسي !

كان زوجها لم يكمل بعد خلع بدلته فتساءل بقلق:

ـ ماذا حصل ؟

استدارت نحو زوجها وصرخت بجنون.

ـ العقد ليس موجوداً.

ارتسمت الحيرة على وجه الزوج:

ـ ماذا ! كيف حدث ذلك ؟!

راح الزوجان يبحثان في الفستان ولكن لا اثر ارتدى الزوج بدلته وقال:

ـ لا مفر من البحث في الطريق..

لم يعد الزوج المسكين الّا في الساعة السابعة صباحاً؛ عاد خالي الوفاض، أخبر الشرطة نشر اعلاناً في الصحف، رصد مكافأة لمن يعثر عليه، وخلاصة القول راجع كل مكان يخطر على بال أحد في مثل هذه الحوادث ولكن لا جدوى.

لوزال ظلّت طيلة ذلك اليوم مضطربة مالها من قرار، ماذا ستفعل ازاء هذه الكارثة.

قال الزوج بعدما نفض يديه من العثور على العقد:

ـ أخبري صديقتك ان العقد قد انقطع وقد أرسل لاصلاحه.. وخلال هذه الايام نواصل بحثنا عنه لعلنا نعثر عليه.

بعد أسبوع من البحث المتواصل، شعرا باليأس تماماً، وبدت لوزال تلك المدة اكبر من عمرها بخمسة اعوام.

قال الزوج:

ـ يجب أن نبحث عن حل:

في اليوم التالي اخذا صندوق العقد وذهبا إلى بائع الجواهر الذي وجدا عنوانه على الصندوق.

راجع بائع الجواهر دفتر مبيعاته وقال:

ـ انني لم ابع عقداً كهذا... كل ما في الأمر انني بعت الصندوق فقط.

وأصيبا بخيبة أمل وراحا يدوران على باعة الجواهر لعلهما يعثران على عقد شبيه بذلك العقد..

وأخيراً وبعد بحث مضن وجدا عقداً يشبهه تماماً، ولكن قيمته كانت اربعين الف فرنك، وبعد أخد ورد وافق البائع على بيعه بست وثلاثين الف فرنك واشترطا عليه أيضاً فيما اذا عثرا على العقد الضائع بعد شهر فانهما يرجعاه اليه بقيمة اربع وثلاثين الف فرنك.

السيدة لوزال كان عندها ثمان عشر ألف فرنك ميراثها من أبيها، وفكرت أن تقترض المبلغ الباقي ذهبت إلى المرابين ووقعت على صكوك وتعهدات لا تدري كيف ستفي بها لتهيأ المبلغ المتبقي.

وانطلقت السيدة لوزال إلى بائع المجوهرات وآلاف الافكار والوساوس تصطرع في رأسها.

سلمت السيدة لوزال كل المبلغ للبائع وعادت بالعقد، لتنطلق فوراً إلى منزل صديقتها.

قالت السيدة فرستيه وهي تتسلم صندوق العقد:

ـ كان من الأفضل أن تأتي به قبل هذا الوقت لقد احتجت اليه.

وشعرت السيدة لوزال بالاضطراب فلعل صديقتها ستفتح الصندوق

وتكتشف القصّة.

ولكن السيدة فرستيه لم تكلف نفسها عناء ذلك.

ومنذ ذلك اليوم عاشت لوزال حياة البؤس والشقاء ولكن قلبها كان يموج بتصميم شجاع على المقاومة والكفاح من أجل تسديد الديون.

غيّرت منزلها لتسكن غرفة فوق السطوح. عاشت حياة مريرة.. عاشت كما يعيش الفقراء المعدمون كان يتعين عليها أن تصعد وتنزل كل السلالالم الطويلة.

لم تعد تفكر بالفساتين الجميلة وقنعت من نفسها بثياب بسيطة جداً لتسترها فقط.

كانت تعدّ نفقاتها فلساً فلساً وتجادل البقال على القرش الواحد.

وفي تلك الظروف القاسية راحت السيدة لوزال تسدد ديونها كل شهر، امّا الزوج المسكين فضاعف من عمله وراح يعمل في الليالي محاسباً في أحد المتاجر.

عشرة أعوام وهي يعيشان حياة البؤس، وبعدها تنفسا الصعداء لقد سددا كل ما بذمتها من ديون وقروض.

السيدة لوزال أصبحت عجوزاً بعد تلك السنين القاسية، ولكنها أصبحت أيضاً مثل نساء الطبقة الثالثة قوّية.

لم تعد لتهتم بتصفيف شعرها وبرزت العروق في يديها.

وعندما تجد فرصة للراحة فانها تجلس قرب النافذة وتفكر في تلك الليلة الحالمة.. كم كانت فاتنة وجميلة.. آه لو أن ذلك العقد لم يضع.. الله وحده يعلم كيف ستكون حياتها.

وربما ذهبت إلى المتنزّه لترفّه عن نفسها قليلاً.. وذات مرّة رأتها.. رأت السيدة فرستية وهي تلاعب طفلاً في الارجوحة.

انها ما تزال شابة وفاتنة .. تأثرت لوزال بشدّة .. هل تتحدث معها ؟!

ـ بالتأكيد لقد انتهى كل شيء يجب أن أخبرها بالحقيقة .

قالت لوزال ذلك في نفسها وتقدمت نحوها :

ـ نهار سعيد يا صديقتي .

ودهشت السيدة فرستية لهذه المرأة .. انها من الطبقة الفقيرة فقالت :

ـ ولكنني لا أعرفك . لعلك اخطأت

ـ كلا أنا صديقتك .. صديقتك لوزال .

هتفت السيدة فرستيه

ـ آه يا صديقتي كم تغيّرت احسبك شقية في حياتك

ـ نعم لقد عشت حياة الحرمان والبؤس بعد آخر لقاء بيننا .. لقد شقيت بسببك كثيراً .

ـ بسببي أنا !! لماذا ؟ كيف ؟!

ـ هل تذكرين العقد الماسي الذي أستعرته منك ليوم الاحتفال ؟

ـ أجل اذكر ذلك وماذا في هذا؟!

ـ لقد ضاع مني !

ـ كيف ولكنك اعدتيه اليّ بعد أيام .

ـ ليس هو لقد اشتريت آخر يشبهه تماماً اشتريته بست وثلاثين الف فرنك !! وشقيت عشرة أعوام كاملة في تسديد المبلغ فانا لم أكن املك هذا المبلغ .. لم يكن الآمر سهلاً .. ولكني سدّدت جميع الديون وأنا سعيدة في الوقت الحاضر .

بلعت السيدة فرستية ريقها وقالت بدهشة :

ـ أنت اشتريت عقد برليان يشبهه هل تقولين هذا حقاً ؟ !

ـ نعم ولكنك لم تلتفتي له لانه كان يشبه عقدك الذي اضعته ليلة الاحتفال !

وتأثرت السيدة فرستية بشدّة واخذت بيد صديقتهاوقالت:

ـ آه يا صديقتي لقد كان العقد زائفاً، وكانت قيمته اقل من خمسمائة فرنك[1].

* * *

(١) اجمل القصص القصيرة / ٢٥٤.

٢٥

السجينة

دخلت الفتاة السجينة ترافقها حارسة.. دخلت غرفة المساعد الاجتماعي.. كانت الفتاة في العشرين من عمرها نحيفة القوام.. قد انطفأت في عينيها اشواق الحياة.

ـ اجلسي يا ابنتي.

نظرت الفتاة باتجاه الحارسة وقد فاجأتها كلمات المساعد الاجتماعي.. فجلست على الكرسي المقابل دون كلام.

ـ اسمك ؟! «دختر بس»[1].

كان اسمها عجيباً.. الاسم يحمل في ثناياه كل مقت الاسرة للبنت.. كانت تشعر بالمهانة والصغار جرّاء هذا الاسم العجيب.. كان الاسم يعذبها يلاحقها كصفة مقيتة.. مثل جرح في الوجه لا يمكن ستره.

ـ أنا البنت الثالثة في الاسرة.. كانت أمي تنكل بي دائماً طالما قالت لي: لو

---

(١) تعني بالعربية: كفى بنات.

كنت صبياً ما آذاني ابوك وما عذّبني!

ولكن ما ذنبي أنا اذا جئت للدنيا بنتاً..

كان أبي يقول لأمّي فيما مضى اي قبل أن اولد اذا انجبت بنتاً هذه المرّة فليس لك في البيت مكان.. خذي اطفالك واذهبي إلى بيت أبيك!

وقالت لي أمي:

عندما جئت إلى الدنيا كل عمّاتك وحتى جدّتك نكّلوا بي ولم يأتوا لزيارتي.. من أجل هذا سماك أبوك: كف بنات»؟!

ـ وماذا حصل بعدها هل انجبت امك ولدا أم بنتاً؟

ـ بعد اربعة أعوام انجبت أمّي ولداً لأول مرّة، وتحققت أمانيها وهكذا بدأت مأساتي.. أصبحت في نظر الجميع مخلوقة زائدة عن الحاجة عالة على الجميع.

كان أبي يضربني لأتفه سبب، أصبحت مثل خادمة في البيت، وربّما حبست في القبو.

كان أبي يضربني للحدّ الذي يزرقّ جسمي كل مشكلة تصادفه كل خسارة تعرض له يجعلني سبباً فيها، وسمّاني شؤماً في حياته كان يقول:

ـ لو لم تأتِ هذه البنت المشؤومة إلى الدنيا، ما أصابني الذي يصيبني كل هذا بسبب «دختر بس»!

سأل المساعد الاجتماعي:

ـ وعندما ولد أخوك: ماذا حصل؟

ـ لقد أصبحت مخلوقاً مهملاً، نسياً.. مثل كرسي مكسور في القبو.. شيء زائد ومهمل.. حتى انني اشتقت للضرب فعلى الاقل كانا يشعران بوجودي:

كان يقضيان الوقت في تدليله، لم يتركا لعبة الا واشترياها له.

سنةونصف وأنا ارتدي ثوباً واحداً لا أملك غيره، وما أكثر الليالي التي بتها

جائعة، كنت أستيقظ في منتصف الليل لأبحث عن كسرة خبز وأعود إلى فراشي لأقضمها على خوف.

نمت في ليلة باردة تحت الايوان فلعل أحدهم يرق قلبه من أجلي، ولكنني ظللت ارتجف برداً حتى الصباح دون أن يأتي أحد ليدثرني بغطاء، لهذا سقطت مريضة مدّة أسبوع كامل وأنا أغلي من الحمى.

اتذكر انني نجحت في الصف الأول بمعدل تسعة عشر[1]، وعندما سلمتها أبي رماها بعيداً وصرخ بي:

ـ لا تفيدني دراستك، عليك أن تلزمي البيت لتعتني بأخيك.

ـ كيف كانا يعاملان اختك الكبرى؟

ـ ليس بهذه الدرجة من السوء وحدي كنت مشؤومة في نظرهما.

وبعد أن ولد أخي وكلما نجح في عمله جاء مسروراً ليخاطب أمي: «يا له من ولد سعيد الطالع، الآن عرفت كم كانت ابنتي منحوسة؟!

وشيئاً فشيئاً بدأت أتهرب من المدرسة، فلقد كنت أخجل من زميلاتي وهن يحدّقن في ملابسي الرثّة، كنت مشتتة الفكر، ممزقة حتى انني رسبت بعدها في الامتحان، وأصدر أبي حكمه بلزومي البيت وهكذا أصبحت حبيسة البيت، عشرة اعوام وأنا أحمل عبء اعمال المنزل، من طبخ وغسل أوانٍ وكنس وفي كل مرّة كنت اتعرض للاهانة لأول ذريعة يجدها أبي.

كان صدري خاوياً من كل احلام وسعادة الطفولة، كان الحقد والبغض وحدهما يموجان في قلبي.

قررت أن أهرب من البيت، لهذا لجأت إلى منزل جدّتي لعلّي أجد عندها

(١) تبلغ أعلى نمرة في المدارس الايرانية عشرين درجة / المترجم.

عزاءً من العذاب، ولكنها هي الأخرى لامتني وأمرتني بالعودة من حيث أتيت، وهكذا ظللت حائرة مقطوعة لا ملاذ ولا مأوى.

ـ وفي تلك الفترة تزوجت؟

ـ نعم، لقد عدت إلى بيت مضطرة، وكنت أفكر بطريق للخلاص، حتى جاء من يخطبني وكان رجلاً في عمر أبي رجل أرمل في الأربعين من عمره وله من زوجته طفلان ومع هذا وافقت مكرهة وكان عمري سبعة عشرة عاماً ولم تمض سوى شهور حتى ادركت ان زوجي ليس سوى مهرّب مخدّرات.

وشيئاً فشيئاً بدأ يورّطني في أعمال التهريب، وسرعان ما اقتحم رجال الشرطة منزلنا ليلقوا القبض عليّ وعلى زوجي.

كنت في حقيقة الأمر قد أدمنت، ولكني ما لبثت أن تخلّصت من تلك الطامّة بمعاضدة من المساعدة الاجتماعية.

ـ حسناً تذكرين وعدك لي؟

ـ نعم اذكر ذلك. انت وحدك التي أعدت إلى قلبي الأمل في الحياة، سوف يطلق سراحي بعد شهور، ولقد وعدتني ادارة السجن بعمل في معمل للحياكة، وها أنا اتمرّن على هذا النوع من العمل في السجن، وسوف التحق بالمعمل بعد أن أحصل على حرّيتي[1].

* * *

(١) جريدة ايران / العدد ٢٤٧ / ١٤.

٢٦

العابسة

تنهض الاسرة على أساس من الحبّ والفداء، وان الفتى والفتاة إذا ما عاشا بعد الزواج في حرمان من هذين الأساسين فان حياتهما الزوجية سوف تنهار، وعادة ما تبدأ حياتهما الزوجية بالشجار والنزاع.

ان بعض الفتيات وبعد أن ينتقلن إلى بيت الزوجية، يحملن معهن «جهازاً» كبيراً وفي قلوبهن اعتقاد راسخ بان ذلك من علامات السعادة.

ولكن عليهن أن يدركن ان الحبّ والخلق الكريم هما أساس الحياة الانسانية السعيدة وبدونهما تصبح الحياة جحيماً لا تطاق.

يروي سعدي[1]: صادف ان تعكرت علاقتي مع بعض أصدقائي في دمشق، فهجرتهم وانطلقت في الغداة متوجهاً إلى بيت المقدس، فانست بالحيوانات ولكني وقعت أسيراً بايدي الفرنجة، وأجبروني على العمل في حفر خندق بطرابلس مع اليهود.

---

(١) الشاعر الايراني المشهور.

وذات يوم مرّ بي رجل من أعيان حلب فعرفني وهتف بي: فلان! ماذا تفعل هنا؟!

قلت: فررت من رفاقي إلى الفلوات وقد جهلت حقهم فعاقبني الله على ذلك فجمعني مع هؤلاء!

فاشفق عليّ واشتراني منهم بعشرة دنانير وخلّصني من القيود وأخذني مع إلى حلب، ثم زوجني من ابنته ودفع عنّي مهرها وكان مئة دينار.

وكانت الفتاة سيئة الخلق، تلذعني بقوارص الكلام فملأت حياتي كمداً، لم تترك فرصة الاّ وقالت لي: أليس أبي هو الذي اشتراك بعشرة دنانير ؟!

قلت لها: أجل حرّرني من أسر الفرنجة بعشرة دنانير وأوقعني في أسرك بمئة دينار!

وقد سمعت عن كبش ذات يوم وقع في براثن ذئب كاسرر جاءه الراعي فانقذه من الذئب.

وفي ليلة لما راى سكين راعيه تبرق في الظلام.
أنّ في آهة حرّى وقال: لم يكن ذئبي سواك[1].

* * *

(١) عن بستان سعدي بتصرّف.

٢٧

اليائسة

كنت في السابعة عشرة من عمري زوجني أهلي من رجل في السابعة والثلاثين، وتبخرت كل أحلامي في بدء حياتي الزوجية.

كنت أتمنى الزواج من شاب في مثل سنّي يقاسمني ذات الافكار والأماني ولكنه النصيب.

كانت السنوات الأولى من حياتنا خالية من المشكلات، ولكن عندما ظهرت عليه ملامح الشيخوخة بدأت مشاكلنا.

كان يشيخ وكنت أتألق شباباً، وهذا ما كان يعذّب زوجي، ويبعده عني، كان لنا ثلاثة اطفال بنتان وصبي، ولكنّهم لم يمنعوا من المرارة التي بدأت تغزو حياتنا الزوجية.

كان زوجي يزداد عصبية يوماً بعد يوم، وكان يزداد تشاؤماً كان يصرخ بي: لماذا تتصرفين كالشباب؟ لماذا ترتدين ثياباً كثياب الشباب؟ وعشرات الاسئلة الأخرى!

كان في ودّي أن أحيا حياة عائلية دافئة، كان عمري حينها في الثامنة والعشرين، ومع هذا رحت اتصرّف كما لو أني في الثامنة والأربعين، البس كما يلبسون وأجلس مع من يجلسون.

ولكن النار كانت تشتعل في صدري، ومع هذا فان الهدوء لم تتسرب إلى روحه.

قلت له ذات مساء: احمد! أنا مستعدة لأن نذهب معاً إلى جرّاح لأقوم بعملية تجعلني ابدو في سنّ الشيخوخة: نظر اليّ عابساً وكأنه يقول وكيف يمكن أن يختصر كل هذا العمر الطويل.. عشرون سنة!

أصبح عمر ابننا الاكبر سبعة عشر سنة وأستيقظ غول الشك في صدر زوجي.

أصبح أكثر حدّة وأصعب مزاجاً! وكان يصطاد لي الذرائع أصطياداً:

لماذا تضحكين؟ لماذا تهتمين بالضيف إلى هذا الحدّ؟

وكنت اجيبه:

حسناً من اضحك بعد اليوم امام أحد ولن أستقبل ضيفاً بل انني لن ادعو أحداً إلى منزلنا!

ومن ذلك اليوم تقطعت أواصري مع أسرتي، ولكن غول الشك ما يزال ثائراً لم يهدأ بعد.

ذات يوم جاءت أسرتي اعني أبي وأمي وأخواتي ومعهم أسرته هو كنت الحظ زوجي وهو يزداد توتراً بمرور الوقت، وكان يصفرّ ويخضرّ.

وعندما انفضت الزيارة وغادر الجميع انهال علي بالضرب وهو يصرخ بعصبية: لماذا تتحدثين مع ابن اخي وابن اختي هكذا! كنت تتحدثين بصوت منخفض كالهمس من أجل ألّا لا أسمع.

قلت له : من الآن فصاعداً لن أتحدّث مع رجال أو طفل غيرك وغير أولادي .

وهكذا فعلت حتى أصبحت اضحوكة للجميع .

وذات مرّة عندما عاد من عمله إلى المنزل ، كنت خارج المنزل لاشتري بعض الخضار والفواكه ، وعدت وأنا أحمل سلّة الخضار ، ابتسمت له ولكنه ردّ على ابتسامتي بصفعة شديدة وصرخة :

ـ أين كنت ؟

ـ الا ترى ؟ لقد ذهبت لاشتري الخضار

ركض باتجاه المطبخ واحضر سكينا وهو يصيح :

ـ لقد استقصيت كل باعة الخضار في شارعنا وكلهم يقول انك لم تذهبي إلى ايّ منهم .

ـ هذا صحيح لم تكن خضارهم طازجة فذهبت إلى شارع آخر .

كانت عيناه تبرقان بغضب هائج وكان يرتجف من هامة رأسه حتى اخمص قدميه .. فجأة هجم عليّ ، لم يكن أمامي سوى الفرار إلى الزقاق ، ولكن لحقتني ضربه في عضدي وتدفقت الدماء .

أخذوني إلى المستشفى ، وبعد العلاج عدت إلى البيت وكان شرطه النهائي أن لا حق لي بمغادرة البيت أبداً .

فبكيت وقلت له :

ـ أرجوك اخبر الجميع انني مصابة بالشلل حتى لا أصبح موضوعاً للتنذّر .

ومن ذلك اليوم وأنا حبيسة الجدران . حتى الهاتف قطعة زوجي ليحرمني من التحدّث إلى أي أحد .

وكان أولادي يتعذبون لمنظري وقد غدوت أسيرة في قبضة ابيهم ، كانوا يبكون من أجلي .

ومع كل هذا لم تنطفىء فورة الشك المشتعلة في صدره كانت تشتد، كل ذريعة كانت كافية لينهال علي بالضرب.

أصبحت حياتي جحيماً لا يطاق، من أجل هذا ضرب في رأسي أن انتحر، والتهمت حفنة من الاقراص المهدّئة وودعت الحياة.

وعندما كنت في حالة إغماء جاء أحد أولادي وانطلق بي إلى المستشفى.

وقد بذل الاطباء جهوداً كبيرة في انقاذي وكانت النتيجة ان تماثلت للشفاء، وعندما سمح لي بمغادرة المستشفى ذهبت إلى بيت أبي، وبعدها طلبت الطلاق وبعد سبعة اشهر حصلت على الطلاق لأعيش في ظلال أبي[1].

* * *

(١) جريدة ايران العدد ١٤/٢٣٩.

٢٨

الذكيّة

يحكى عن الاصمعي انه ذهب إلى قبيلة من القبائل العربية في الصحراء، فهبّت نسوة وفتيات القبيلة للترحيب به وابركن بعيره ورحبن بـقدومه، واخـذن بعيره إلى المراعي.

ومرّت ثلاثة أيام حتى اذا أزمع السفر طلب بعيره ليركبه فجيء به ولكن لم يساعده أحد على ركوبه وشدّ الاثقال عليه فانشد شعراً يذكر فيه ما بدر منهم لما حلّ ضيفاً عليهم وها هم الآن قد تركوه وحيداً عاجزاً عن تدبير حاله اذ لم يسعفه أحد فيساعده.

فقالت فتاة منهم:

وإنّـا مـعين الضـيف عـند حـلوله   وعار عـلينا عـونه حـين يـرحـل

يقول الاصمعي: فاكبر في نفسي القوم ولم أجد أجلّ منهم وأكرم وأفطن من تلك الفتاة؛ فنهضت بالأمر وحدي ورحلت عنهم[1].

---

(١) جوامع الحكايات بتصرف / ٢١٥.

٢٩

شهيدة العفاف

ثار رجل في البصرة وكان يدعى «البرقعي» والتف حوله زنـوج البـصرة آنذاك ولصوصها، فأغار على بيوتها ينهب ويسلب، وكان من بين السـبي فـتاة علويّة، أخذوها معهم وأرادوا اغتصابها، ولم يقدر البرقعي عـلى ردعـهم عـن هذاالعمل.

قالت الفتاة للبرقعي:

ايها القائد خلّصني من هؤلاء الزنوج ولك علي أن أعلمك دعاءً لا تؤثر في بدنك السيوف فاستدعاها البرقعي وطلب منها أن تعلّمه الدعاء هذا.

قالت الفتاة:

ومن أين لك أيها الأمير أن تعلم أن هذا الدعاء له هذا الفـعل؟ أن عـليك تجرّبه بي أولاً، فان أثر السيف فهو ان لم يؤثر عرفت قدر الدعاء.

وانبرى البرقعي فهوى بالسيف على الفتاة فما أسرع أن هوت شهيدة فوق الثرى.

وشعر قائد الزنوج بالندم لقد أدرك غاية الفتاة .. ادرك انها لا تستطيع صون عرضها الا بالموت فاختارت هذا الطـريق، وشـعر مـن شـهد الحـادثة بـالندم ولكن...»[1].

* * *

(١) جوامع الحكايات بتصرف / ٣٣٨.

(٣٠)

الرامية

يروي أحدهم انه قبل أكثر من مئة عام ان «التركمان»[١] اختطفوا شاباً من مدينة مشهد وأخذوه إلى مضاربهم، واحتفظ زعيمهم بالشاب لديه.

وجاء يوم عيدلهم وكان من تقاليدهم أن ينطلقوا إلى الصحراء والجبال، وكان لدى زعيمهم فتاة فأمرها أن تراقبه وكانت الفتاة ماهرة في الرمي شجاعة تمتطي الخيل.

ولما ذهب الجميع إلى الصحراء قالت الفتاة التركمانية لأسيرها الشاب:

ـ هل تحب العودة إلى مدينتك؟

ـ نعم

ـ اطلقك على أن تأخذني معك وتتزوج مني ووافق الشاب على ذلك.

فامتطت الفتاة حصانها وأردفت الشاب خلفها وانطلقت باتجاه الغابات.

وشعر أبوها وعمّها بفرارها فانطلقا لمطاردتها والقبض عليهما.

---

(١) قبائل تعيش في الصحاري.

ولمّا وصلا قريباً منها، أطلقت الفتاة النار عليهما واردتهما.

ووصلت الفتاة والشاب الغابة وقد حلّ المساء، وكان أخوتها وأولاد عمها قد جاءوا يطاردونها أيضاً.

كانا نائمين من شدّة التعب، فظهر حيوان يشبه التمساح، وتقدّم نحو الفتاة وقبض على رجل الفتاة ليزدردها، وصرخت الفتاة تستنجد بالشاب أن نـاولني السيف لاقتله، وشلّ الشاب من خوفه وغابت الفتاة في فم الحيوان.

وفي اليوم التالي دخل الشاب مدينة بجنورد، وصـادف أن رأى أقـارب الفتاة هناك، فاخبرهم بما حصل لها، فأخذوا الحصان واطلقوا الشاب وقالوا:

ـ انها قتلت أباها وعمّها فسلّط الله عليها ذلك الحيوان والّا فهي أشجع من يزدردها ذلك الحيوان».

* * *

(٣١)

الوحيدة

للعاطفة دورها المصيري في حياة الانسان والمجتمع، انها التي تمنح الحياة الانسانية الدفء والجمال، ولا حياة للانسان وسعادة المجتمع دون نبع العواطف الدافئة والأحساسيس النبيلة .. وهذه رسالة وصلت متأخرة من فتاة كتبتها ثم ودعت الحياة ... حياتها وحياة الناس:

«سيدي الطبيب.

عندما تصلك رسالتي أكون قد وصلت العالم الآخر سأكتب قصّتي .. قصّتي التي لا يعرفها غيري وارجوك أن لا تخبر أمّي بها .. انها تتحمل كل مأساتي.

ان أخي هي الآثمة .. نعم انها امرأة عنيفة، عنيدة، وقاسية ... انا ابنتها الوحيدة .. كانت أمّي ومعلمتي، ولكنها لم تكن لي حبيبة ولا صديقة، حتى عندما وقعت لي تلك الحادثة التي تصادف الفتاة في سنّ البلوغ لم اجرؤ على أن أخبرها بذلك.

كان في قلبي فراغ كبير وجاء الشيطان ليتسلل من هذه النافذة كنت ظامئة للحب .. من أجل ذلك شعرت بالدفء وهو يضغط على يدي.

انا متأكدة ان الفتاة التي ترى الحبّ والمحبّة في البيت لن يستطيع الشيطان اغوائها .. لأن التي تغمرها ينابيع الحبّ في البيت لن تبحث عن السراب.

وعدني بالزواج، فجننت بحبّه، ولعب مع دور المتيّم العاشق الذي لا يقرّ له قرار، ويمكنك يا سيدي الطبيب أن تحدس النتيجة وحصل الذي ينبغي أن لا يحصل!

فرّ مني بعد أن سلبني أغلى ما لدى الفتاة، كنت احترق بناري أمّا هو فكان يعيش حياته بارداً غير عابىء بشيء مما حصل!

لم اجرؤ على ان أخبر أمّي، ومرّت ثلاثة شهور، وذات يوم لمحت والديه يغادران المنزل، فاسرعت إلى البيت وطرقت الباب عليه، فتح الباب، ولكن ما أن رآني حتى أغلق الباب ولكني حشرت نفسي ودخلت بالقوّة وقلت له وأنا ابكي بمرارة:

ـ لماذا فعلت ذلك معي!

أمسكني من ساعدي وأخرجني بقسوة وصرخ بي:

ـ اغربي عن وجهي يا عاهرة! انني لا اعرفك

ثم أغلق الباب.

كان ساعدي يؤلمني بشدّة وعدت إلى البيت ابكي.. لم اجرو على قول الحقيقة.. وظل ساعدي يتفجّر ألماً حتى الصباح.. ومن ذلك اليوم كان الألم يعاودني كل يوم اثنين، فلا أهدأ الّا في صباح الثلاثاء.

سيدي الطبيب..

لقد كنت وحيدة محرومة من نبع حنان الامهات، لهذا خدعني الشيطان.. لهذا خدعني ذلك الشاب الجميل في ظاهره القبيح في باطنه.. وهكذا خسرت اغلى جوهرة تملكها الفتاة.. ووجدت نفسي في طريق مسدود.

سيدي الطبيب ، لن اكتب شيئاً آخر .. لأن أحداً لن يدرك مرارتي وحزني .. انني اكتب رسالتي إلى الفتيات اللاتي يعشن مثل ظروفي حتى لا يخدعهن الذئاب.

* * *

٣٢

جميلة

كانت جميلة فتاة مؤمنة بالله ورسوله. من أسرة مشركة معادية للنبي (ﷺ) تزوجت من حنظلة وحنظلة مؤمن من أسرة وثنية.

صادف ليلة الزفاف ان النبي (ﷺ) بدأ استعداداته الحربية لمواجهة قريش في معركة أحد.

وكان حنظلة يخيّر نفسه بين الحرب وبين العرس واستأذن النبي (ﷺ) في البقاء فأذن له.

في ليلة الزفاف رأت جميلة حلماً؛ رأت أبواب السماء تتفتح ورأت زوجها حنظلة يعرج نحو السماء، وأيقنت جميلة ان حنظلة سيستشهد في الحرب.

في الصباح رأت زوجها يستعدّ للانطلاق إلى ميادين الشرف استمهلت زوجها واستدعت جيرانها ليشهدوا على زواجها وأن حنظلة عاشرها معاشرة الأزواج حتى إذا قدّر الله ورزقها ولداً فهو ابنه.

وانطلق حنظلة في الصباح الباكر إلى جبل أحد حيث احتشد المسلمون للقتال، واشتبك المسلمون في معركة ضارية وراح حنظلة يقاتل حتى هوى على

الارض شهيداً.

ورأى النبي (ﷺ) فتى تغسله الملائكة بماء المزن بين السماء والأرض.

وعاد المسلمون إلى المدينة المنورة.

اضحت جميلة وحيدة وغريبة، انها ما تزال في ثياب العرس، أصبحت أرملة ولم يمض على زواجها سوى يوم واحد، وبالرغم من شماتة الشامتين لكن جميلة انطوت على حزنها وعلى ذكرياتها من زوجها الراحل وشاء الله ان يرزقها صبياً هو عبدالله.

وانصرفت جميلة لتربية ابنها الوحيد.

وكبر عبدالله وأصبح شاباً يضمر له أهل المدينة عميق الاحترام فهو قارىء للقرآن.

ويرزق الله عبدالله ثمانية أبناء.

ولمّا اجتاحت جيوش يزيد بن معاوية المدينة المنورة، تصدّى عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة لمواجهة الغزو الهمجي، فأمر بحفر الخنادق والاستعداد للقتال، وأرسل عبدالله جميع أبنائه للحرب دفاعاً عن مدينة رسول الله (ﷺ)

وكان أبناؤه يتساقطون شهداء الواحد تلو الآخر، وبعد أن سقط الابن الثامن جاء دور الأب الباسل فاستشهد هو الآخر وسقط على الثرى مضرجاً بدماء الشهادة والفداء انّه يعلّمنا جميعاً درساً رائعاً في الاستبسال والمقاومة من أجل الاسلام.

* * *

٣٣

الغادرة

أضطرّ سيدنا الحسن بن علي لعقد اتفاق السلام مع معاوية، وأصبح الأخير خليفة على المسلمين، وبدأ ينقض كل بنود الصلح الواحد بعد الآخر؛ وبدأ يفكر كيف يحول الخلافة إلى ملك أسري وراح يمهد الطريق أمام يزيد ابنه.

كان الامام الحسن (عليه السلام) وهو سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) العقبة الكبرى في طريق معاوية، فراح يفكر في اغتياله والتخلّص منه.

كان معاوية يدسّ السم لاعدائه وقتل كثيراً من الناس بهذه الوسيلة ولكن كيف يدسّ السمّ الامام الحسن ومن يتولّى هذه العملية.

لقد تمكن من اغتيال عبدالرحمن بن خالد، كما اغتال مالك الاشتر أيضاً.

حاول معاوية اغتيال الامام مرّات ومرّات وكان السمّ المستخدم لا يفعل فعله ولذا فكر باستيراد سم قاتل خاص من الروم.

وأخيراً نسج معاوية مؤامرته وكانت جعدة بنت الاشعث زوجة الامام الحسن هي الشخص المرشح لتنفيذ عملية الاغتيال.

لم تكن جعدة امرأة سويّة، يبهرها الذهب ويذهب بعقلها الطمع، وكانت عصارة للعقد النفسية قبضت جعدة الثمن مئة ألف درهم، امّا الزواج من يزيد فسيتم فيما بعد!

وأقدمت جعدة على جريمتها فدسّت السم في يوم صيفي من شهر رمضان المبارك.

وفي اثناء الافطار وقد عاد سيدنا الحسن من المسجد كان يشعر بالظمأ، وكانت كل خلية في جسده تنشد الماء.

وجاءت جعدة تحمل كاس الموت.. كاساً مليئاً باللبن البارد.

وتناول الامام القدح، وما اسرع أن سرى السم في بدن الامام.

وبدأت الآلام تضج في جسمه، وفي اليوم التالي هوى الامام طريحاً في الفراش.

وكانت جعدة تراقب دون حياء زوجها الذي لم يسيء اليها أبداً وكان يعاملها بكرم وبحب.

واكتشف الامام ان زوجته قد صرعتها المطامع وأفقدتها انسانيتها وفاءها، وانها قد خدعت... خدعها معاوية ذلك الذئب الذي يرتدي فراء الثعالب.

واقسم الامام انها لن ترى وفاءً من معاوية.

وودع الامام الحسن أخاه الحسين وأوصاه أن يدفنه إلى جانب جدّه النبي (ﷺ) وأن لا يريق في سبيل ذلك محجمة دم!

كان الامام يدرك كل الآثام التي يرتكبها الامويون للحؤول دون تنفيذ وصيته لهذا طلب من أخيه أن يدفن في البقيع اذا حيل دون دفنه عند قبر النبي (ﷺ).

اما جعدة فقد كانت تنتظر الزواج من يزيد مكافأة لها على الجريمة!!

ولكن معاوية قال لها وابتسامة مكر تلوح شفتيه:

-إنّا نخشاك على ولدنا يزيد.

وباءت جعدة بالعار وأصبحت تعرف فيما بعد بـ«مسمّمة الازواج»[1].

* * *

(١) عن منتهى الآمال ١٦٨/١.

(٣٤)

حرقة

حرقة فتاة من أهالي الحيرة .. انها ابنة ملك الحيرة النعمان بن المنذر. كانت تعيش في دلال ورغد من العيش حتى انها اذا أرادت الخروج من القصر فرش طريقها بالحرير والديباج، فهي لا تطأ الأرض مادامت خارج القصر.

ولكن القدر عصف بهذا النفوذ والسلطان فقد قتل أبوها على يد خسرو برويز، ولجأت اختها إلى الدير مع الراهبات.

ويشاء القدر أن يعود سعد بن أبي وقاص ظافراً بعد معركة القادسية ليكون طريقه على خرائب الحيرة، ويقف على دير «هند».

وجاءت حرقة ومعها نسوة من الراهبات لاستقبال الفاتح المسلم.

كان سعد قد سمع بلجوء حرقة إلى دير الراهبات فسأل:

ـ هل بينكن حرقة ؟

واجابت ابنة النعمان:

ـ أجل أنا حرقة !

وسأل سعد مرّة اخرى.

ـ أحقاً أنت حرقة ابنة النعمان ملك الحيرة ؟!

وسألها سعد :

كيف هو الدهر معكم ؟

ـ ان دهرنا اليوم يشبه دهركم بالأمس

ـ فكيف دهرنا بالأمس ؟

ـ كما هو دهرنا اليوم !

ـ وأردفت :

ـ ان الدنيا دار زوال وفناء ولا تستقر على حال انها تتغير دائماً من حال إلى حال ، من السعادة إلى الشقاء ، ومن الذل إلى العز .

نعم لقد كنا ذات يوم ملوكاً في هذه الأرض ، تتدفق الينا الأموال من كل صوب ، وكانت سطوتنا تمتد لتشمل أراض واسعة ، وكان الناس لنا عبيد وخدم ، ثم ضربنا الدهر فشتت جمعنا واذلّ عزّنا وذهبت دولتنا .

وهكذا الدهر يا سعد لا يستقر على حال لا يسعد قوماً حتى يجلب عليهم الشقاء بعد ذلك .. وان العاقل من كان على دهره في حذر ، فلا يركن إلى عمارة الدنيا وهي إلى خراب وان الآخرة لهي دار الحيوان.

* * *

(٣٥)

كاري نايشتن

«كارى نايشتن» فتاة من أهالي «كانزاس» الامريكية، تزوجت وهي في عنفوان الشاب من تحبّ، عاشت حياتها سعيدة مستمتعة بدفء الاسرة وعاطفة الامومة بعد أن رزقت طفلاً.

على ان البيئة الفاسدة والملوّثة لم تترك زوجها دون أن تؤثر في مسلكه الاخلاقي، وكان لاصدقاء السوء اثرهم في جرّ زوجها إلى حانات الخمور والملاهي، وسرعان ما فعلت الخمرة والادمان فعلها في زوجها فودّع الحياة متسمماً.

وصدمت كارى نايشتن بسبب الحادثة! من أجل هذا قررت أن تعمل شيئاً لمكافحة هذا الفساد في المجتمع واستئصاله من الجذور؛ من أجل هذا انبرت وحيدة لمواجهة الفساد واستطاعت ان تسطر في ذلك الكفاح ملحمة رائعة وأن تغلق لمدّة الملاهي والحانات.

كان يوم ٢١ من حزيران ١٩٠١م من أكثر الايام هياجاً في تاريخ نساء اميركا في «كانزاس» خرجت تحمل فأساً وتشق طريقها في حي «فيجيتا» وكانت

تهتف بنشيد حماسي: «إلى الامام ايها الجنود المؤمنون»!

ثم ظهرت في شارع «دوغلاس» تتجه صوب حانة «جيم بورن» فتحت بابها ووضعت قدمها ثم اشهرت فاساً وصاحت:

«هذه اليد هي يد الله! ايها الرجال لقد جئت لأنقذكم من الجحيم»

كل الزبائن فرّوا من الأبواب الجانبية، واختبأ بعضهم في الزوايا فيما اقدمت تلك السيدة الشجاعة الثائرة على تحطيم الحانة تماماً.

وكان لهذا الصراع المرير ان ايقظ اعداء المشروبات الكحولية في انحاء اميركا، فعملوا على احياء قانون منع المشروبات الكحولية قبل سبعة عشر سنة.

وكان لكاري نايشتن الحق في ثورتها على الكحول، فالكحول هي التي عصفت بسعادتها ودمّرت عشّها. لقد تسمم زوجها بسبب الافراط في الكحول، فمات وتركها وحيدة وترك لها طفلاً يتيماً.. لتبقى وحيدة حائرة تواجه الحياة.

في بداية الأمر حاولت أن تنتهج طريقاً مسالماً في القضاء على هذه الشرور.

كانت تعزف أمام الحانات وتصلّي من أجل الناس، وقد أثرت في اغلاق بعض الحانات إلى حدّما، ولكن إمرأة غاضبة مثل كاري لم تكن تقنع كانت تريد أن تطهّر المجتمع بسرعة.

من أجل هذا استلّت السيدة كاري فأساً لتبدأ طريقها في إزالة الشرور وتدمير الحانات.

كانت تدرك جيداً أن عملها يعدّ انتهاكاً للقانون. ولكنها ترى أن كل حانة هي الأخرى اكبر عدوّ للقانون.

لم تلك السيدة لتعرف الخوف، ومرّات ومرّات تعرّضت للضرب والركل، مرّات ومرّات اهينت وجلد بدنها الضعيف بالسياط وكادت تموت أكثر من مرّة.

ولكن كل تلك العذابات لم تفعل في روحها المقاومة شيئاً.

كانت تؤمن ايماناً عميقاً ان ما تقوم به هو عمل الهي. واخيراً اعتقلت وحوكمت عدّة مرّات وسجنت ولكنها لم تكف عن صراعها.

اشتغلت معلمة في احدى المدارس ثم طردت بعد اربع سنوات.

وجثت تدعو الله وتقول:

ـ يا الهي لقد أصبحت عاجزة.. عاجزة عن توفير لقمة العيش لأمي ولأبني.. انني اطلب عونك.. واذا كنت ترى في زواجي خلاصاً لي فانا مستعدة ولكنني لا أحبّ أحداً.. انني سأتزوج ممن تختاره لي!

وبعد شهور تقدم لخطبتها «ديفيد نايشتن» كان يعمل صحفياً، وأدركت السيدة كاري ان الله قد استجاب دعاءها.

وبعد شهور وقف زوجها ديفيد يخطب في حي هيلتون في كانزاس، ولكن زوجته كانت تعتقد انها أكثر براعة منه في الخطاب.

من أجل هذا كانت تنتخب له الخطبة، وعندما يرتقى زوجها منبر الخطابة كانت كاري تجلس في الصفوف الأولى، فاذا أطال زوجها في خطبته نهضت من مكانها لتهتف بصوت مرتفع:

ـ يكفي يا ديفيد يكفى هذا القدر!

فاذا اهمل زوجها دعوتها واستمر في خطبته اتجهت اليه لتأخذ من يده الكتاب وتخلع عن رأسه القبعة وتمسك بيده وتأخذه إلى المنزل!

لقد قامت تلك السيدة بأعمال طيبة، وقد خلف لها ابوها عندما مات ميراثاً كبيراً من الديون، وظلّت ابنته تسدد تلك الديون مدّة خمسة عشر عاماً.

وأوقفت كاري نايشتن حياتها في السنوات الأخيرة لاقامة المؤتمرات وقد درّت عليها الأموال ولكنها كانت تهب تلك الأموال للفقراء والمعوزين ثم أسست داراً للارامل والايتام».

(٣٦)

العقول الثلاثة!

خسر نادر شاه الحرب في اطراف بغداد وهزمت جيوشه أمام جيوش العثمانيين، وقد قتل كثير من جنوده وجرح هو بشدّة فاضطر للتراجع باتجاه همدان، وهذه الحادثة وقعت اثناء مرور نادر شاه باحدى القرى.

كانت هناك قرية بين همدان وسنندج تقع شمال «دلبران» وكانت تدعى «نادرشاه» وكان هناك نبع ماء في اطراف القرية.

جلست فتاة يبدو على محياها العرس.. وراحت تملأ جرّتها من الماء.. وجاء نادر شاه وحيداً، كان يتصبب عرقاً وحصانه أيضاً كان متعباً، وقد بدا عليهما الظمأ قدّم نادرشاه حصانه ليشرب الماء وهو أخذ الجرّة من يد الفتاة وراح يعبّ الماء عبّاً.

وتأملت الفتاة في وجه الغريب ثم قالت:

ـ ان عقلك وعقل نادر وعقل زوجي سواء!

توقف نادرشاه وراح يفكر في كلماتها لهذا طلب منها أن تستضيفه في منزلها:

قبلت الفتاة وأصطحبت الغريب إلى منزلها، وعندما احضرت له طعاماً قال:

ـ لن أمدّ يدي حتى تفسّري لي ما قلتيه عند النبع .

قالت الفتاة مضطرة :

ـ أما انت فقد جئت وجسمك يتصبب عرقاً وحصانك هو الآخر يتصبب من العرق فشربت الماء وهو بارد ، فلا عقل لك لانك لم تفكر بان ذلك سيضرّ ببدنك .

وكان عليك أن تجفف عرقك وتبرد بدنك ثم تشرب الماء البارد .

وامّا نادر فهو مغرور ، استعجل الحرب وأخذ معه الشبان ولا تجربة لهم في المعارك وترك رجال الحرب من ذوي الخبرة جلساء البيوت وكانت النـتيجة ان هزم في اطراف بغداد .

وامّا زوجي فقد هجر عروسه في البيت وذهب إلى الحظيرة يقضي وقته مع الخيل والبغال والحمير .

وضحك نادرشاه لفطنتها ووهبها تلك القرية» .

* * *

٣٧

الحسد

تعجبت عندما طلبت مني «آزاده» في الهاتف ان نلتقي في البيت على انفراد .
كانت تصرّ على مقابلتي لوحدي خاصّة في غياب صديقتنا المشتركة «فريبا» .

كنت أنا وفريبا وآزاده زميلات في الثانوية نجلس في مقعد واحد .

عندما تخرجنا من الثانوية تزوجت آزاده مباشرة .

أما أنا وفريبا فلم نوفق في دخول الجامعة لهذا بدأنا ندرس لامتحانات القبول .

كان أبي موظفاً وأمّي أيضاً ، وكانت اختي تذهب إلى المدرسة صباحاً .

لهذا كان منزلنا مناسباً للدراسة ، وكانت فريبا تأتي في الصباح وتذهب عند الظهر ثم تعود في العصر وتذهب إلى منزلها في الغروب .

كنت قد فرغت لتوّي من الطبخ ، عندما رنّ جرس الباب عرفت انها آزاده فقد اخبرتني بالحضور في مثل هذا الوقت .

كانت قد مضت مدّة طويلة على لقائنا آخر مرّة ، لهذا فقد فرحت بها كثيراً ورحبت بها بشوق بالغ .

ورحت أستعيد معها ذكريات الدراسة معاً في الثانوية ،وكانت ذكريات حلوة .

وتناولنا الغداء معاً وتحدّثنا عن كل شيء ،بعد ذلك طلبت مني أن أصغي بدقّة لما تقول لأنها كانت تودّ العودة إلى منزلها بسرعة .

وخلاصة القول انها خطبتني لأخيها رضا .

لم اكن أعرف رضا ولم أره ابداً، كلما ما أعرفه مجرّد اطراف من الاحاديث على لسان اخته .. انه يدرس في شيراز .. سيأتي إلى طهران يدرس الهندسة .

كانت آزاده صديقتي الحميمة، ولكني شعرت بالخجل عندما طرحت موضوع الخطوبة .. لذت بالسكوت ولكنها كانت تشدّد على أن أوافق فقلت :

ـ ينبغي مفاتحة أبي وأمي بالموضوع أولاً .

قالت وهي تضحك :

ـ نعم هذا صحيح ولكن أودّ أن أعرف رأيك اولاً .

ـ ولكنّي لم أره حتى هذه اللحظة !

أخرجت من حقيبتها صورة صغيرة .. كان وسيماً إلى حدّ ما ووجدت نفسي أقول مترددة :

ـ حسناً اذا وافق أبواي فلا مانع لدي .

وقفزت آزاده سعيدة وودعتني على عجل وتركتني أسرح بافكاري وهواجسي .

لم تمض سوى دقائق حتى علا صوت الجرس مرّة اخرى وكانت فريبا خلف الباب كعادتها .

كان علينا أن نستعيد درس الصباح، ولكنها اكتشفت في وجهي الساهم شرودي، وراحت تحاصرني بسيل من الاسئلة، ولم اكتمها فاخبرتها بكل شيء .

ولم افاجيء باستئذانها بالانصراف لانني كنت غير مستعدة لأن اقرأ سطراً واحداً .

لهذا لجأت إلى غرفتي ورحت أفكر، لقد كان من المقرر أن تتصل أسرة

آزاده بنا قبل المساء.

في اليوم التالي وعندما غادر أبي وأمّي البيت جاءت فريبا على عجل، وقالت لي انها تريد أن تحدّثني بموضوع هامّ، وكان الموضوع هو انها تخطبني لخالها الذي عاد من الخارج حديثاً بعد أن حصل على شهادة الماجستير ... وقالت فريبا انها تعرفني جيداً من أجل هذا حببت لخالها خطوبتي.!

قلت بلهجة يشوبها المزاح:

ـ يبدو أن هناك مسابقة للفوز بي!!

ـ كنت اظنّك لا تفكرين بالزواج من أجل هذا أسرعت اليك ولا أكتمك يا عزيزتي ان رضا هذا قد خطبني قبلك ولكن أسرتي تحققت في الأمر فلم نقف له على شيء، لا أحد يعرف اين رضا وأين يدرس في شيراز.. الأمر غامض.. عليك أن تكوني على حذر ولا تخدعك آزاده بكلماتها المعسولة.

ـ وماذا أفعل سوى يأتون للخطوبة.

ـ اتصلي بها وقولي لها انني انصرفت عن الزواج.

فكرت للحظة: ان فريبا صادقة.. لماذا كانت آزاده تصرّ على أن تحدّثني في غياب فريبا ؟!

ثم ان رضا هذا قد ظهر فجأة.. وهكذا تحوّل كل شيء إلى شك، وغادرت فريبا، ثم اتصلت امها فيما بعد وتعيّن موعد الخطوبة في آخر الاسبوع، وكان أبي عصبياً إزائي.

في يوم الجمعة جاءت الاسرة وجاء «شهاب» خال فريبا كان في الثلاثين من عمره، يبدو خجولاً أمضى وقت اللقاء مطرقاً براسه ينظر إلى السجّادة! لم ينبس ببنت شفة ولكن أسرته تحدّثت بما فيه الكفاية ولم تغادر منزلنا الاّ بعد أن انتزعت منّا الموافقة على الزواج.

وتحدّد موعد لشراء خاتم الخطوبة .

اتصلت آزاده عدّة مرّات وكنت اجيبها سلباً ببرود وكنت اشكر الله في نفسي انني لم أخدع بكلمات آزاده ودفع في طريقي فريبا لتنقذني من تلك الورطة .

ومرّت الايام بسرعة ، ورأى أبي أصراري على الزواج من شهاب وتحدد موعد شراء خاتم الخطوبة بشكل نهائي .

وكان شهاب ما يزال مستمراً في خجله وسكوته وكان يرفض الدخول في محلات الصاغة والمجوهرات !

واستنكرت أمّي مسلكه قائلة .

ـ لا أدري معنى لوقوف شهاب خارج المحلّ

وقالت أم فريبا : لا بأس في ذلك انه خجول جداً!

وتصورت ان زوجي سيكون أطوع في بناني من خاتم الزواج ! وهو ما تتمناه بعض الفتيات ، سيكون شهاب الين من الشمع .

فجأة وعندما دخلنا إحدى محلّات الصاغة اختفى شهاب فجأة .

ورأيت الشك يبرق في عيني أمي ، ولم نر شهاب بعدها .

جاءت أم فريبا إلى بيتنا وحيدة لتأخذنا إلى السوق وتشتري خاتم الزواج !

وغضبت أمّي لهذا المسلك ان شيئاً ما يدور في الخفاء وبدا شهاب لغزاً يحتاج إلى حلّ .

وبعد أسبوع واحد ظهرت الحقائق سافرة ، لم يكن شهاب ذلك الخجول سوى لص خطر ... لصّ مسلح سطا على كثير من محلات الصاغة ، من أجل هذا اختفى فجأة في سوق الصاغة ، ولقد قضى سنوات عديدة في السجن ، وكانت عودته من الخارج مجرد أساطير !

وأصبت بما شبه الصدمة لقد كنت على شفا هاوية ما لها من قرار ؛ لو قدّر لي

الارتباط بهذا المخلوق التافه. لقد خدعتني فريبا.. فـريبا صـديقتي الحـميمة! وعندما فتشت في تلافيف مخي عن تفسير لذلك لم أجد غير شيء واحد فقط: الحسد لقد أرادت حرماني من ذلك الشاب الطيب رضـا الذي أصـبح مـهندساً واتصلت بصديقتي آزاده وأعتذرت.

لقد مرّت ثلاثة شهور على تلك الحادثة وقد تعيّن موعد الخطوبة وسوف يأتي رضا مع أسرته.

* * *

٣٨

ثواب وعقاب!

يحكي الاصمعي انه ذهب إلى البادية حيث يعيش الأعراب ، فرأى عروساً فائقة الجمال ، ورأى زوجها وكان قبيح الوجه . فقال الاصمعي للفتاة :

ـ أنت بهذا الحسن والمال فكيف رضيت لنفسك هذا مع قبحه ؟ !

قالت : لعلّه فعل خيراً بينه وبين ربّه فكأفأه عليه وفعلت شرّاً فعاقبني !

ودهش الاصمعي لهذا الجواب ،فغادر مضارب القبيلة وفي قلبه تقدير لتلك الفتاة الحكيمة .

* * *

٣٩

الماكرة!

كانت «صفيّة» فائقة الجمال، تأسر القلوب بدلالها وتشده الناظرين بعينيها، لم يفلت من أسر سحرها شيخ ولا شاب.

ولكن ما بالها لاهية عن كل هذا السحر؟! ما بالها تبدو مسحورة هي الأخرى ساهمة النظرات؟!

لقد وقعت هي الأخرى في أسر شاب من الأنصار، شاب ملأت التقوى قلبه، لم تأسره بنظراتها، ولم يكترث لفتنتها كم مرّة تزينت لتبدو أكثر فتنة وسحراً، ثم وقفت له في الطريق فلعله يقع في شباكها، ولكن دون جدوى.

كان يمرّ قربها واثق الخطى، قلبه كجبل لا يكترث بكل تلك الفتنة الطاغية والجمال الخارق.

كانت تحبّه لحدّ الجنون ولكنها بدأت تفكر كيف تنتقم لنفسها... تنتقم لجمالها وفتنتها التي لم تفعل فعلها في الشاب الانصاري.

وقالت لصويحباتها ذات يوم: لامكرن به مكراً تتحدث به الناس، ولافضحنه حتى لا يرفع له طرف.

أما ذلك الشاب فلقد كان عاشقاً هو الآخر ولكن عشقه كان للحق حتى امتلأ به قلبه فليس في قلبه مكان لحب آخر لأن الحبّ للحق وحده هو الحبّ الحقيقي وما عداه فحبّ زائف زائل.

واستحال الحبّ في قلب صفية إلى كراهية ورغبة مجنونة بالانتقام لقد تحوّلت إلى نمرة متوحشة تترقب فرصة للانقضاض.

واشتعلت في رأسها فكرة ربّما لم تخطر في ذهن فتاة من قبل.

فلقد اتجهت إلى المسجد تجرّ اذيالها وتعول، حتى لم يبق احد الّا واستشرف ينظر ماذا حصل لتلك الحسناء.

ودخلت المسجد وهي تعول وتبكي وتصيح: من لي بهذا الفتى.. فضحني في أهلي وانتهك عرضي.

واشارت صفية إلى ثوبها فاذا عليه ما يشبه ماء الرجال! وقالت هذا ماؤه على ثوبي!

ورأى عمر بن الخطاب ما على ثوبها فلم يشك في صدقها وادعائها.

واستدعى الخليفة الشاب الانصاري وواجهه بالاتهام فأنكر وقال معاذ الله، وأقسم انه لم يلمسها ولم يمسها!

وكلّف عمر جمعاً من النسوة ان يتفحصن ثوبها فخلون بها ثم جئن يشهدن على ان ما في ثوب؛ لم يكن غير ماء الرجل.

وقرّر عمر بن الخطاب إقامة الحد بحق الشاب فأمر به أن يؤخذ.

واستغاث الفتى البريء وهتف بالخليفة ان لا يعجل بالأمر ويتريّث.

وحتى لا يصدّق أحد دعوى الشاب انخرطت صفية في بكاء مرير يقطع نياط القلوب.

وحار الخليفة ماذا يفعل بين استغاثة الفتى الانصاري وبين بكاء الفتاة، وفي كل مرّة وعندما يقع في مأزق كان يلجأ إلى علي فليس معضلة الآّ ولها أبو الحسن.

وجاء علي، فأمر باحضار ثوب الفتاة، ثم أمر بالماء أن يغلىٰ، في الاناء ثم غمس فيه الثوب، فظهرت مادّة بيضاء، وظهر ان ما ادعته الفتاة بانه مني لم يكن سوى زلال البيض، فشمه ثم ذاقه، وأدرك ان صفية مثلت ذات الدور الذي مثلته زليخا مع يوسف، يوم قذفته لدى فرار يوسف إلى الباب.

واعترضت صفية بكل شيء وظهرت الحقيقة مشرقة كالشمس تشهد للفتى بالطهر والعفاف.

وندمت الفتاة واستغفرت ربّها وطلبت عفو الفتى الأنصاري.

ووقف عمر مدهوشاً امام هذه القضية وقد ظهرت للناس جميعاً فراسة الامام وعلمه وحسن قضائه، فقد ظهرت الحقيقة على يد ابن عم الرسول ووارث علمه.

وكان للشاب موقفه المشرّف عندما أعلن عفوه عن الفتاة طلبا للأجر والثواب، فلقد كفاها ما فعلت بنفسها بين اترابها وافتضاح امرها عند الناس.

* * *

(٤٠)

المخرفة

اعتادت الأقوام والشعوب على أن تتشاءم من اشياء يرون فيها نحساً كما هو الحال في الرقم ١٣ لدى شعوب الغرب، حتى ان بعضهم يرفضون المبيت في غرفة تحمل رقم ١٣، أو يصعد سلماً مؤلفاً من ثلاثة عشر درجة.

وقبل أعوام نشرت مجلّة اوربية معروفة تدافع عن مثل هذه الخرافات نشرت هذه القصة:

ولدت بنت في يوم ١٣ من الشهر، وعندما كبرت البنت واكتشفت يوم ميلادها تشاءمت وملأ الغم قلبها وايقنت انها ولدت في يوم مشؤوم وأن حياتها محكومة بالشقاء.

وعرض الأبوان ابنتهما على طبيب نفساني، فلعلّه يعيد إلى قلب ابنتهما الطمأنينة والفرح.

وبذل الطبيب قصارى جهده في تبديد سحائب القلق والشعور بالشقاء عن ذهن الفتاة، ولكن دون جدوى وكانت حالتها النفسية تتدهور يوماً بعد آخر.

وكبرت الفتاة وتخرجت وتزوجت ورزقت طفلاً. ومع ذلك كان القلق يطاردها في

كل لحظة والشعور بالشؤم يلاحقها في كل مكان!

ورآها الطبيب الذي كان يعالجها فيما مضى رآها مع زوجها وطفلها الصغير يعبرون الشارع كان الطبيب في سيارته فتوقف قريباً وتقدّم إلى الفتاة وقال:

ـ ارأيت يا سيدتي انك كنت على خطأ في تشاؤمك الذي ملأ حياتك بالحزن؟ هاأنت الآن سعيدة مع زوجك وطفلك تعيشين في بحبوحة من الهناء!

أجابت الزوجة الشابة والتي ما تزال تعيش كابوس خرافاتها:

ـ أنا متأكدة يا سيدي الطبيب من شقائي فيما بعد!!

ان شؤم الثالث عشر ما يزال يطاردني!

ان علينا ان ندرك أن الانسان لا يولد شقياً او سعيداً وان العمل هو الذي يحدد هذا المصير كما يصرّح القرآن في قوله تعالى: ﴿قالوا إنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنّكم منّا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون﴾[1].

* * *

(١) يس: ١٨ـ١٩.

(٤١)

وافق شنٌّ طبقه!

كان «شن» من نوابغ العرب معروف بالعقل والفطنة كان يصغي إلى صاحبه ساكتاً:

ـ أليس من المؤسف أن تبقى هكذا دون زواج وأنت في عقلك وفطنتك، كيف تسمح لك نفسك أن تبقى دون ولد يحفظ اسمك ويرفع ذكرك؟

تأوّه شن وقال:

ـ وماذا افعل وأنا لم أجد بين بنات القبيلة من أرتضي عقلها ودرايتها؟ انني لا أفكر بالحسن ولا بالجمال، ولا أستطيع أن أتزوج فتاة محرومة من نعمة العقل فاضيع عمري معها.

قال صاحبه:

ـ هذا حق ولكن من تطلبها موجودة وما عليك الّا أن تبحث و«من جدّ وجد» كما يقول المثل.

ـ أجل ومن أجل هذا عزمت على السفر فلعلّي اعثر على طلبتي في غير هذه الديار.

«هكذا قرر «شن» السفر بحثاً عن الزوجة المنشودة وفي الطريق صادفه أحد

وسأله :

ـ إلى أين ؟

ـ إلى مضارب بني فلان .

ـ وأنا أيضاً أريد السفر إلى هناك فهل لي بمرافقتك ؟

ـ أجل فلا مانع من هذا .

ـ تحملني أم أحملك !

ـ يا لك من جاهل أنت على بعيرك وأنا على بعيري فما جدوى ما تقول ؟

ـ عفواً يا صاحبي لقد أخطأت .

وواصلا طريقهما حتى وصلا حقلاً من القمح قارب وقت حصاده فقال «شن» :

ـ لا أدري هل أكل الفلاحون قمحهم .

ـ يالك من جاهل حقاً كيف تقول ذلك والقمح لما يحصد بعد ولما يطحن ولمّا يخبز ؟!

ـ أرجو عذرك مرّة اخرى على ما أخطأت .

ووصلا تلك القرية ،فصادف أهلها يحملون نعشاً ويبكون وهم وكانوا يسيرون باتجاه المقبرة .

فسأل شن :

ـ لا أدري أن كان هذا الذي فوق النعش قدمات أو ما زال حيّاً ؟

وانفجر الرجل قائلاً :

ـ يا لك من أحمق ، أتسأل عمّن هو في التابوت وتقول انه حيّ أم ميت ؟!

ـ لا تغضب يا صاحبي ، لقد انتهت رفقتنا كما ترى واسترحت مني .

ـ لقد عفوت عنك ولكن شرطان تحلّ عندي ضيفاً هذه الليلة ،فأنت على كل حال

غريب في قريتنا .

ـ أنا لا أحب أن اغضبك بأسئلتي

ـ لا بأس .. لنذهب .

وذهب شن بصحبة الرجل إلى بيته ، قال الرجل لزوجته وأسرته ان معي ضيفاً فاصنعي طعاماً لقد ازعجني طول صحبتي إياه في الطريق ولكنه على كل حال ضيف .

قالت الفتاة بعد أن رأت الضيف :

ـ يا أبي ولكن لا أرى في سماته ملامح بله او خبال ، فكيف تقول عنه انه مجنون .

قال الأب :

ـ لا يخدعك مظهره ، لم ار شاباً في حمقه وجهله .

قال الأب ذلك واخبر ابنته باسئلة شن اثناء الطريق قالت الفتاة :

ـ ولكن يا أبي ان هذه الاسئلة في غاية الحكمة .

ـ كيف ؟!!

ـ تأمل يا أبي ان هذا الشاب وقد اتعبه السفر قد فرح بلقائك ، فقال لك تحملني أم احملك ؟

ومعنى هذا أيكما يبدد عن صاحبه وعثاء السفر بطرائف الحديث ؟ فالحكايات يا أبي في الطريق تخفف عن المسافر تعب الطريق .. ولكنك يا أبي لم تلتفت إلى مراده فسكت عنك .

وامّا سؤاله عن القمح وقد آن حصاده فلم ير له حاصداً فسأل هل أن أصحابه باعوه قبل حصاده فتركوه أم انهم اغنياء عنه فتركوه فسألك عن ذلك لأنك من أهل قريتهم .

وامّا سؤاله عن عن الجنازة فمراده ان الميت من أهل الأخيار فيدوم ذكره أم من غير ذلك فيموت ذكره بموته .

ودهش الأب مرّتين مرّة لتلك الاسئلة من ذلك الشاب ومرّة اخرى من حسن تفسير ابنته وفطنتها !

من أجل هذا انطلق إلى ضيفه وقال بعد أن رحب به مرّة أخرى !

ـ لقد كنت متعباً فارجأت جواب أسئلتك والآن أستمع اليّ .

ـ تفضل فكلي آذان صاغية

وهنا راح الرجل يفسّر لضيفه ويجيبه عن أسئلته في الطريق .

ادرك شن أن مضيفه لم يكن هو المجيب فسأله :

ـ أصبت ولكن هذه ليست اجوبتك

واعترف الرجل وذكر له الحقيقة وأرسل وراء ابنته فجاءت .

ولما رأى شن الفتاة قال في نفسه : الآن عثرت على ضالتي .. ان هذه الفتاة هي التي كنت انشدها وأبحث عنها .

وكان اسم الفتاة «طبقة»، فخطبها من أبيها وتم الزواج فقال من يعرف قصة شن وسفره بحثاً عن زوجة مناسبة :

ـ «وافق شن طبقة» فذهبت هذه الجملة مثلاً .

* * *

(٤٢)

جاكلين تقود الطائرة!

ما أكثر الفتيات اللائي يهزمن روحياً لدى أول مواجهة في حياتهن، وما أكثر اللائي يتذمّرن من الزمن وقسوته.

في عام ١٩٥٨م نشرت مجلة «اطلاعات جوانان» قصّة تلك الفتاةالتي ترتدي نظارت طبيّة والتي حاولت الانتحار بمجرّد تهكم بعض صديقاتها.

ان مثل هذه الحالة انما تعبّر عن ايمان ضعيف وتربية متخلفة؛ ان على الفتيات اللائي يعشن مثل هذه الحالة أن يطالعن حياة الناجحات والناجحين، فهؤلاء لم يولدوا على أسرّة من الحرير. هم أيضاً واجهوا الحياة بكل تحدّياتها ومشكلاتها، ولكنهم صمدوا بوجه العواصف.

وما حياة السيدة «جاكلين اوريفل» الّا نموذجاً حيّاً للارادة التي لا تعرف الهزيمة والتخاذل.

كانت جاكلين فاتنة تزوجت من نجل رئيس الجمهورية الفرنسية الاسبق، وكانت هوايتها الطيران وقيادة الطائرات، وفي أحد التمارين تعرضت لحادثة

كشفت عن روحها الكبيرة وشجاعتها.

لقد أجرى مراسل صحيفة «زن روز» حواراً بتاريخ ١٩٦١ تحت عنوان «أشهر قائدة طائرة في العالم» وظهر من بين المانشيتات: عروس رئيس الجمهورية الفرنسية الاسبق من أمهر طياري العالم.

كما وصفتها صحف فرنسا: حسناء باريس الخالدة وتعرضت جاكلين إلى حادثة سقوط طائرتها، وتهشم وجهها للحدّ الذي جعلها مشوّهة لم تستطع أمّها من النظر اليها.

كانت جاكلين اوريفل أول امرأة في العالم تقود طائرة بمفردها، وتشترك في عشرات المسابقات الجويّة، وحققت في ذلك ارقاماً عالية.

ولقد جعل عشقها للطيران تواجه الموت اكثر من مرّة، ولكنها لم تهب الاخطار لتكون في طليعة الطيارين الشجعان.

سقطت اربع مرّات وهي على متن طائرتها، كانت المرّة الأولى في عام ١٩٤٩ عندما كانت في تدرس في كلّية الطيران وذلك اثناء استعراض جوي فوق نهر «السين» ولقد نجت من الموت. بمعجزة، واخطرت لأن تجري لوجهها ست وثلاثين عملية تجميل وكان اطفالها يصابون بالذعر لدى رؤيتها.

ولم يصدق أحد انها ستعود مرّة اخرى لتجلس وراء مقود الطائرة.

ولكنها ادهشت العالم في عام ١٩٥١ عندما تحدّث منافستها القديمة جاكلين كوتشران الاميركية وهزمتها لتسجل رقماً قياسياً جديداً في عالم الطيران

تقول جاكلين: «لقد كان الطيران قبل حادثة السقوط مجرّد هواية.

ولكن عشقي للطيران تضاعف بعد حادثة السقوط، وبدل ان اشعر بالخوف أصبح الطيران اكبر هدف لي في الحياة. لقد كنت اشعر في بعض الاحيان وأنا بين الغيوم انني اتّحد مع طائرتي ومع السماء والغيوم.

وانني فتحت بلاداً لاكون فيها وحدي حرّة.

وامّا حادثة الطائرة فقد كانت طائرة صغيرة تسع لاربعة اشخاص وكانت اختراعاً جديداً، كنت مع الطيّار في الامام، واقلعت طائرتنا من مطار في جنوب باريس، وكان هدفنا مطاراً في الجنوب الغربي من نهر السين.

وقد خفض الطيار شيئاً فشيئاً من ارتفاع الطائرة وكنا فوق نهر السين؛ فجأة سمعنا صوتا مهيباً.

وشعرت اننا في الماء، وانني اغرق، وأدركت بعد ذلك أن يدي ورجلي قد حشرت في مكان ما وانني فقدت القدرة على الحركة تماماً.

وبذلت جهداً جباراً في انتشال يدي، وهذه الحركة هي التي انقذتني من الموت المحتم.

وشعرت بعد حادثةالسقوط بآلام شديدة في وجهي وجمجمتي.

تحسست وجهي، وشعرت بان قطعة ن اللحم مسلوخة عن وجهي ولم يبق عظم في وجهي سالماً.

فكي وانفي ووجنتي حتى حدقة عيني كانت تدور في محجرها، وفتحت فمي لاصرخ فخرجت أسناني وغامت صرختي في حنجرتي، ولم أعد أعي ما حولي.

ولقد قيل لي بعد ذلك ان كل عظام وجهي قد تهشمت كقدح زجاجي يسقط فوق الارض ويتناثر إلى قطع صغيرة.

وخلاصة القول ان حسناء باريس تحولت في لحظة واحدة إلى مخلوق مخيف!

نعم لقد أجريت لجاكلين بين العامين ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ثمانية عمليات جراحية في باريس وست عمليات في ميونيخ واحد عشر عملية في نيويورك.

وخلال تلك المدّة وفي أواخر عام ١٩٥١ سجلت رقماً قياسياً جديداً في السرعة، وأستمر رقمها مدّة عشرين سنة.

وكان اكبر انتصاراتها في عام ١٩٦٢ عندما سجلت سرعة فاقت سـرعة ميراج ٣ الاسرع من الصوت وقد صفق لها العالم».

* * *

٤٣

المكابرة

تزوجت فتاة وانتقلت إلى بـيت الزوجـية ، ولم تكـن تـعلمت شـيئاً مـن الحياة بعد .

كانت تجهل الطبخ وتجهل كيف تتعلم ذلك من الآخرين ، لم تـتعلم شـيئاً مفيداً عندما كانت في منزل ابيها .

ذات يوم أمرها زوجها ان تطبخ أكلة فيها عدس ونوع من الجزر .

وكانت الفتاة تجهل طبخها فذهبت إلى جارتها العجوز تسألها عن كـيفية طبخها .

قالت العجوز : عليك اولاً ان تنظفي الأرز وأن تغسليه بالماء .

قالت الفتاة :

ـأعرف هذا

قالت العجوز :

ـبعدها قشري الجزر ونظفي العدس من الحصى

قاطعتها الفتاة :

ـ أعرف هذا

ـ وبعد ذلك اثرمي اللحم واغسليه

ـ أعرف هذا أيضاً

أدركت العجوز التي خبرت الحياة ان هذه الفتاة مكابرة وانها لم تتلق تربية في بيت ابيها، فاستمرت تقول:

ـ فاذا رايت الماء في القدر قد نفد ؟؟

ـ وهذا اعرفه أيضاً.

ـ ما دمت تعرفين كل ذلك فضعي قطعة صلصال (طين جاف) !!

ـ وهذا أيضاً اعرفه.

وعندما عاد الزوج إلى البيت ووضعت الفتاة الطعام أمامه تناول لقمة في فمه ثم لفظها لقد كانت طيناً وحصى.

فانهال عليها ضرباً بالعصا فصرخت الفتاة:

ـ ليس تقصيري انها العجوز جارتنا علمتني ذلك!

وذهب الزوج إلى الجارة العجوز يعاتبها

فقالت العجوز

ـ انني كلما اردت تعليمها قالت: اعرف هذا! فلذا قلت لها ضعي في القدر قطعة من الطين الجاف!

* * *

(٤٤)

العصامية

ليس أمراً يسير أن يكتب المرء ذكرياته القديمة، وكيف يمكنني أن اكتب عن عذابات ما تزال آثارها في كل خليّة من كياني ؟

حتى أن عواطفي لتضيع في متاهات مفردات ثائرة، وعلى كل حال أرى من اللازم علي أن اتحرر من كل هذا العذاب.

سأبدأ من أيام طفولتي، انها الايام التي بدأت فيها حياتي المريرة.

كنت في الثالثة من عمري عندما جاءت بي جدّتي العجوز إلى المدينة.

مات أبي في حادثة، وتزوّجت أمي، وكنت سدّاً في حياتها الجديدة.

سمعت أنها كانت شابّة وجميلة ومن غير المنطقي ان توقف حياتها على طفلة صغيرة وترفض الحياة الهانئة، ومن أجل هذا أخذتني جدّتي إلى المدينة.

لا أذكر كثيراً عن تلك الفترة من الطفولة، كان خالي يعيش في المدينة. كان له ستة اطفال صغار، فجئت لأكون السابع ؟ اضافي زائد.

خالي واسمه منصور يشتغل عاملاً في أحد المصانع.

وكان مرتبه ضئيلاً، ولذا كانت حياته صعبة جداً.

ما اذكره هو وجه امرأة خالي المتعب وهي تجلس إلى جانب الحوض تغسل الثياب، اما أنا فانشرها على الحبل.

كنت أعمل من الصباح إلى المساء، وكنت اتحسّر على الموائد الملوّنة.

كنت اعيش في راحة بال ما دامت جدّتي على قيد الحياة، ولكنها كانت عجوزاً هامة اليوم أو غد؛ وسرعان ما ودّعت الحياة.

وتمرّ الأيام وأنا أكبر وأكبر، أصبحت فتاة حزينة ووحيدة، بنات خالي يتصرّفن بطيبة قلب، ولكنهن أيضاً كبرن؛ تزوجت احداهن، وأخرى انتقلت للعمل في إحدى المحافظات واما الصغيرات منهن فقد اشتغلن.

أما أنا فقد كنت في الثالثة عشرة من عمري، وفي تلك الفترة ماتت زوجة خالي، وانبعث في قلبي رعب جديد، لقد فقدت سنداً آخر في الحياة، وأصبح مستقبلي أكثر غموضاً وظلاماً.

واخذتني بنت خالي المتزوجة إلى بيتها، وفي تلك الفترة بدأت أصعب أيام حياتي وأكثرها قسوة.

كان زوجها رجلاً فظاً ليس في قلبه ذرّة من الرحمة، كان يقول عني بانيٍ منحوسة الطالع، ما ان وضعت قدمي في بيته حتى بدأت المتاعب!

ذات مرّة انهال علي بالضرب بالحزام، ولم يخلّصني من قبضته أحد، لأني لم أكن سوى فتاة غريبة.

وكانت أنّاتي تضيع في القبو، لم يكن هناك من يعرف عن تلك الفتاة الوحيدة في هذا البيت.

لم يكن لدي أمل في الحياة، حرمت من الذهاب إلى المدرسة، وكنت اعمل في البيت من الصباح حتى المساء تماماً مثل خادمة، حتى ظن الجيران انني خادمة فعلاً.

كنت أُذاكر دروسي في الخفاء، وكنت اذهب آخر السنة للامتحان.

في الطريق كنت أسمع احاديث عابرة

ـ يالحظ هذه الفتاة البائسة أليس من المؤسف انها تعمل خادمة ؟!

ـ يقال انها مقطوعة ليس لها أحد.

ـ لا أحد يدري أين يعيش أبواها.

لم تأت امي لزيارتي حتى مرّة واحدة، سمعت أن زوجها الثاني قد طلقها وانها تزوجت للمرّة الثالثة، لقد نسيت معنى المحبّة لم اتعلم سوى الحقد.. ملأ الحقد كل وجودي، أصبحت عنيدة، مرّة دفعت ابنة بنت خالي في الحوض وكان الفصل شتاءً ومتى تزال رغم مرور سنوات تعاني من الربو.

وعندما كنت أبقى وحدي في المنزل كنت أعبث باثاث البيت من أجل اغاظة زوج ابنة خالي.

وكنت اعرف عاقبة مثل هذا العمل: الضرب المبرّح.

كانت ابنة خالي لا حول ولا قوة، كانت تشتري لي ثياباً وتقول لزوجها انها من الجيران.

لم ارتدي حذاءً شتائياً ابداً، وكانت اطراف أصابعي تتجمد بسبب البرد.

أصبحت في السابعة عشرة من عمري فتاة مكتملة ؟. تشدّ انتباه الآخرين.

اخذت الثانوية، وكنت اشعر بانني أصبحت محوراً للانظار والاهتمام.

وظهر «علي» في سماء حياتي، كان مخلوقاً عجيباً والاعجب ذلك التحوّل الذي طرأ في حياتي.

كان علي من أسرة طيّبة ومعروفة، هو الآن طالب في نفس الكلية التي أدرس فيها.

وكان من السهل عليه أن يفوز بالفتاة التي تعجبه، ولكن القدر دفعني في

طريقه أودفعه في طريقي حتى لكأنه لا يعرف فتاة أخرى غيري.

وجاء علي إلى بيتنا وخطبني وفرحت ابنة خالي، وأبدت موافقتها على الفور.

وعندما جاء زوجها وحدثته ضربنا معاً إلى حدّ الموت وقال بحقد:

- انك لا تستأهلين حتى لأن تكوني خادمة لعلي.

كان يرفض زواجي لأنه لا يريد أن يخسر خادمة بالمجان.

وبدأ الشجار، وكانت أسرة علي أيضاً ترفض المصاهرة بشدّة، ووصلت الأمور إلى المحاكم وصدر الحكم بالزواج.

والآن وعندما انظر إلى وثيقة زواجي انظر اليها كوثيقة حرّية وخلاصي من مصير مرير.

انني اتذكر ذلك اليوم.. عندما طردني زوج ابنة خالي بعد أن ضربني وذهبت بصحبة علي لعقد القران شعرت لحظتها انني أولد من جديد قال لي يومذاك:

- والآن انت امرأتي، عروس لعائلة معروفة وقريباً أم لأفضل أطفال البلد، واذن عليك أن تتعلمي كثيراً من الأشياء، وأن تنسي كثيراً من الاشياء الأخرى.

كانت كلماته سهلة ولكن ادراكها كان صعباً علي... عرفت ذلك فيما بعد.

وأصبح علي مع بدء حياتي الزوجية معلماً لي وأنا تلميذته، بدأ معي أول ما بدأ كيف اتحدّث مع الناس، علّمني كيف اكون مهذّبة في الحديث.

وعلّمني كيف اكون ربّة بيت، وكان اكثر همّه أن يجتث اشواك الحقد من صدري.

لم اتعوّد أبداً أن أكون طيّبة مع الناس أو احبّهم، حتى حبي لعلي كان من نوع خاص.

كنت في بعض الاحيان أؤذيه، وكان يدرك ذلك، فيعاملني بلطف.

لقد طردونا معاً أسرته وأسرتي، ولم ار أسرته الآ بعد ثلاثة اعوام من زواجي، لم أرهم حتى شعر علي بانني قد أصبحت سيدة بكل معنى الكلمة، حصلت على الثانوية في بيت علي وساعدني في الدخول إلى الجامعة.

وكانت الجامعةأول بيئة اقمت فيها مع الناس علاقات مباشرة.

كانت علاقاتي الاجتماعية سيئة للغاية، كانت مزيجاً من الحقد والحسد.

وكانا علي يتحمل ذلك بصبر عجيب، يعاملني مرّة بلطف وأخرى بعنف، وكان كل ذلك مؤثر في تصحيح سلوكي.

لقد تكاملت في ظلاله، وشيئاً فشيئاً بدأت شخصيتي الجديدة المتزنة تتبلور، وشعرت لأول مرّة بحاجتي للصداقة مع زميلاتي في الجامعة.

وكان هذا مؤشراً جيداً وكان علي يشجعني على ذلك، وحتى بعد أن أنجبت اول طفل لي كان يأخذ على عاتقه القيام بما يلزم طالباً مني ان اتفرغ للدراسة ولقاءات الصداقة.

لقد حدثت تغيّرات نفسية كثيرة وسريعة، أصبحت امّاً حازمة وشديدة جداً، حتى انني عندما ذهبت إلى أسرة زوجي لأول مرّة فوجىء الجميع بشخصيتي الجديدة لم يصدّقوا أبداً انني تلك الفتاة التي رأوها فيما مضى.

علي لم يحدث أحداً عن ماضيي، حتى عندما كان معارفنا يحاولون بالحاح معرفة شيء ما.

كان يكتفي بعبارات مقتضبة، كان يقول مات أبواها وجاءت لتدرس في طهران تعيش في بيت ابنة خالها وتعرّفت عليها وتم الأمر.

ربما يمكن للسان ان يخفي الحقائق بيسر ولكن قلبي لن ينسى كل تلك الجراح النازفة.

في بعض الليالي كنت أعاني من كوابس مخيفة فـاصرخ، ويـهبّ عـلي ليوقظني.

كانت حياتي هانئة، انجبت طفلي الثاني والثالث، والآن أصبح لدي ثلاثة اطفال، اوقفت حياتي كلها من أجل أبنائي كنت اطبخ لهم اطيب الطعام، حـتى أصبحت مضرباً للمثل بين معارفنا، كانت مائدتي حافلة بكل ما لذوطاب وكنت البس اطفالي اجمل الثياب، وكان علي يلومني على هذا التبذير.

وكان الشيء الذي لا اتسـاهل فـيه هـو الدراسـة ان عـليهم ان يـدرسوا ويدرسوا فقط من الصباح حتى المساء.

وربما ذهبنا معاً إلى المتنزه أو السينما.

لم يحصل مرّة أن تركتهم وحدهم، وكانوا يحبونني إلى حدّ الفداء لقد كنت امّا تنزف دماً من أجل ان تصنع حياة كريمة لابنائها.

اليوم عندما جاء أصغر أبنائي من الجامعة، قال لي بعد أن حدّثني عن أحد أصدقائه.

كم أنا سعيد لأني نشأت في أسره متعلّمة انني اجزم بانك وأبي قد نشأتما في أسرة طيبة وأن أبناءنا سينشأون في نفس الظروف وهذا هو معنى الاصالة.. انني افتخر بذلك.

وشعرت بجسمي يرتجف لكلماته انّه يفتخر بأمّه التي لا يعلم عن ماضيها شيئاً، لا يعلم انّه هذه الأم الحازمة كانت في يوم ما بنتاً مليئة بالعقد عاشت حياة مريرة كانت تتحسر لدى رؤيتها الطعام.

انني افعل ذلك لارضاء ظمأ قديم، فعندما أعمد إلى ملء المائدة بـالوان الطعام فانني في الواقع افعل ذلك من اجلي.. من أجل حسرات قديمة غاصت في اعماقي. انني اشعر بالجوع حتى بعد مرور ثلاثين عاما.

لقد أصبحت اخشى الوحدة أصاب يرعب قائل بمجرّد ان أصبح وحيدة.

من أجل هذا رحت اتشبث أكثر فأكثر بابنائي وزوجي، ومن الطبيعي ان اتصرّف في بعض الاحيان بشكل خاطىء.

لقد تزوجت انني منذ اعوام ولكنها حتى الآن لم تستطع أن تنجز اعـمال المنزل بمفردها.

كنت أذهب كل يوم إلى بيتها وانجز الاعمال المنزلية في غياب زوجـها. تزوّج ابني منذ عام، وكان ينتظر من زوجته أن تكون مثل امّه، وكان من الطبيعي أن تصطدم الفتاة بهذه الرؤية.

امّا ابني الاصغر فقد نفخه الغرور وهو يذهب بسيارته الفارهة إلى الجامعة.

انني اعيش حياة هانئة، زوجي ما يزال يحبّني حتى بعد مرور ثلاثين عاماً.

أبنائي متعلمون يحترمهم الناس.

اودّ أن يقرأ الجميع قصّتي، أودّ أن يدركوا انـنا نسـتطيع الانـتصار عـلى المشكلات بالأمل والمقاومة والصبر وأننا نستطيع أن نصنع غداً أفضل.

ربّما لم يمرّ أحد بما مررت به من عذاب وألم ومعاناة... ربّما لم يعش أحد ما عشته من عقد نفسية كادت تدمّر حياتي؛ ولكنني انتصرت في النهاية، وها أنا اشعر بالسعادة.

انني اطلب من الذين يمرّون أمام منزلي المنيف أن لا يتحسّروا وليعلموا ان هذه الحياة وهذه السعادة انما صنعتها فتاة معذبة كانت ذات يوم وحيدة وغريبة ولكنها شقّت طريقها في الحياة بالمثابرة والعمل والأمل بغدٍ أفضل.

* * *

٤٥

الملاك!

عندما اقترنت باحمد اقترح علي ان نعيش السنوات الأولى من حياتنا المشتركة في بيت اهله.

لم اعترض ولكنني قلت:

ـ الا تعلم ان هذا يجرّ إلى الاختلاف

قال لي:

ـ الحق معك، ولكن يلزمنا بعض التوفير لكي نعثر على مكان مناسب، ومن الأفضل أن نعيش في بيت أبي.

وبالطبع وافقت على اقتراحه دون أن استشارة أهلي وعندما علموا بذلك قالوا:

ـ أنت لا عقل لك كيف تعيشين مع حماتك؟

قلت لأمي:

ـ وما المشكل في ذلك؟

قالت أمي:

ـ الم تسمعي المثل القائل: العروس والحماة لا يجري ماؤهما في نهر واحد».

وقالت أختي.

ـ حتى لو لم تنزعجي أنت فستنزعج هي.

عندما سمعت كلام امي وأختي تأثرت، وقلت لأحمد يومها:

ـ لن اذهب هناك.

أدرك احمد من الذي حرّضني فقال:

ـ حسناً. سنبقى مدّة قصيرة.

ـ وما الفرق في ذلك؟!

ـ لأنك ستعجزين عن طرد هذا التصوّر من ذهنك... أنت تتخيلين أشياءً لا وجود لها.

بقينا شهوراً في بيت أهله، وقد يتساءل المرء: ما الذي حصل؟

لقد واجهتني بعض المشاكل ولكني اجتزتها بيسر، وكان أحمد يتصرّف بحكمة تجعل من ظهور مشكلة، أمراً عسيراً.

لقد علّمني وحماتي أن نحلّ مشكلاتنا بانفسنا، وأن لا نصرف وقتاً في مثل هذه الأمور.

كان أحمد يحترم والدته كثيراً، وكان يحترمني أيضاً. هذا الاحترام الذي جعلني أصمم على أن اعلّمه أبنائي.

في بداية حياتنا المشتركة كانت طموحاتي اكثر من أن يتحملها المرء فكنت أضيّق الخناق على أحمد، وهو كان يتحمل ذلك بصبر.

كان يصغي إلى عتابي المرير معه، ثم يحاورني بهدوء ليثبت لي انني عندما اغير نظرتي لبعض شؤون الحياة فسيكون العيش اكثر حلاوة وسعادة.

ذات يوم كنت انتظر عودة زوجي، وكان في ذهني موضوع شغلني وجعلني أرى أحمد هو المقصّر الوحيد فيه.

لهذا وعندما دخل البيت ظهرت على وجهي ملامح غضب وعتب عـرف انني غاضبة منه.

قال وهو يصطنع المرح:

ـ سيدتي المحترمة! ما هذا العبوس؟

ـ أدرت له ظهري وقلت:

ـ انت تخدعني بكلماتك المعسولة.

وصرخت بعصبية في وجهه!

نظرت اليه كان ما يزال يحدّق بعينين بريئتين، ولكني صحت في وجهه:

ـ لقد مللت الحياة معك.. لن اتحمل اكثر من هذا!

جاءني بقدح ماء بارد، امّا أنا فقد كنت سادرة في غضبي كبركان.

راح يستمع اليّ بهدوء كامل، غادر البيت ليعود بعد نصف ساعة وهو يحمل علبة من الحلوى ومرطبات. قال وهو يبتسم:

ـ ان هذا يؤثر في تبديد الغيوم من سماء البيت!

كنت اتصور انّه سيردّ الصاع صاعين، فيتصرف بعنف.

تناول مرطباته بهدوء وأنا أيضاً.

قال لي:

ـ أنك قد أخطأت في تصوّرك عني، ولكن هذا ليس مهماً أنا أيضاً اخطىء بعض الاحيان.

راح أحمد يوضح لي الأمور وظهرت الحقيقة التي كانت خافية في ظلمات عصبيتي.

قلت له وقد هدأت تماماً.

-كيف تستطيع ان تحتفظ بهدوئك يا أحمد ؟

أجاب:

-ليس دائماً ولكني أحاول.

قلت:

-كلّا أنت هادىء تماماً وصبور جدّاً طيب كثيراً وتحترم الآخرين.. أنت انسان نادر يا أحمد.

سكت احمد لحظات وقال:

-كنت في السنة الثانية من دراستي الجامعية وكنت اعرف استاذين محترمين جدّاً أقصد انهما كانا زوج وزوجة، لم أكن اظن ان اراهما ذات يوم مهمومين.. ولكن صادف أن رأيتها بهذه الحال.

كنت في مكتب الاستاذ وقبل أن يجيب على سؤالي لمح زوجته قادمة، وبدا الغيظ على ملامح وجهه، وكان يبذل جهداًكبيراً في ضبط أعصابه، استأذنت في مغادرة المكتب ولكنه لم يسمح لي.

وتبادلا بعض العبارات الغاضبة فجأة رفع الاستاذ يده ليصفع زوجته وزميلته بشدّة!

وشعرت بان كبرياء زوجته كامرأة قد تحطم تماماً، ورأيت أستاذي يتضاءل في عيني.

لقدكان ردّ فعله عنيفاً ولا ينسجم مع شخصيته كاستاذ جامعي، كان عليه أن يتفادى مثل هذا السلوك وأن يتحمل الطرف الآخر لأن احترامه مرهون باحترام الآخرين.

لقد اكتشفت هذا في تلك اللحظات المتفجّرة، وآليت على نفسي ان لا أفعل

ذلك أبداً.

تأثرت بحديث أحمد كثيراً اكتشفت فيه الرجل الصبور والزوج المثالي .. انني سعيدة جداً بحياتي المشتركة معه .. لقد كان رجلاً بكل معنى الكلمة.

* * *

(٤٦)

المتفائلة

ـ أنا فتاة في التاسعة عشرة من العمر . قبل أن أقع في حبائل الشيطان قرأت كثيراً عن مصائر الفتيات والفتيان ممن سقطوا في مصائد ابليس ، وكنت أتأثر بشدّة لذلك كنت أحس بالشفقة والرحمة لهؤلاء فأردت أن اقدّم نصحي لمن يفتح عقله وقلبه للكلمة الطيبة :

لم أسجل على نفسي أية نقطة ضعف في أخلاقي طوال دراستي الثانوية وقبلها .

وكنت أنفر من ان يكون لي أصدقاء من الشبان وكنت على حذر في علاقاتي مع الفتيات اللائي لهن مثل السلوك .

ومع ذلك فقد ابتليت بذلك وأدركت بعدها انّه لا مفر في بعض الأحيان من الابتلاء ، وعرفت ان البعض لا يبتلى بهذه المشكلات لأنه متحلّل في ذاته بل ان هناك بعض الاسباب الأخرى .

مثلاً الاعتداد بالنفس اكثر مما ينبغي ولقد كانت نقطة الضعف الكبرى في حياتي ... ومن هنا بدأت محنتي .

بدأت حكايتي في العام الماضي، عندما حصلت على الثانوية وبدأت امتحانات القبول في الجامعة «كونكور»[1].

فشلت في الامتحان، فقرّرت البحث عن عمل ووافق أبي على ذلك، امّا أمي فكانت متحفظة ازاء محيط العمل قالت لي:

ـ لماذا تفعلين ذلك، اجلسي في البيت وادرسي للامتحان القادم فقد تنجحين في الكونكور، انت شابة ولا يصح لكل شابة أن تعمل في كل محيط.

وكانت نقطة الضعف فيّ انني معتدّة بنفسي بلا حدود وهي مسألة لم اكن انتبه لها، غطّى عليها تصميم استحوذ على وجودي بأن اعتمد على نفسي واقف على قدميّ.

وهكذا رحت اتصفح الاعلانات في الجرائد ووقعت عيني على إعلان يتضمن رقم هاتف.

واتصلت بالشركة وتقرّر موعد للمقابلة، حاولت أمّي أن تثنيني عن عزمي، ولكن دون جدوى فقد كان المرتّب المقرّر جيداً.

وهكذا الحقت بالشركة، وبعدها حالفني الحظ فنجحت في الكونكور ودخلت الجامعة.

وسنحت الفرصة لأمي لتنصحني بالانصراف للدراسة الجامعية. ولكن شخصيتي التي امتلأ بالاعتداد جعلتني اعطي أذناً صمّاء لنصائح أمي.

في عملي بالشركة كنت على حذر تام في إقامة علاقات ما.

وكان ببين العاملين في الشركة شاب في مثل عمري اسمه «فرشاد»، كان

---

(١) يعاني خرّيجو الثانوية من أصعب امتحان لدخول الجامعة وهو ما يدعى بـ«الكونكور» الذي يعني حرمان الفتيات والشباب من دخول الجامعة اذا فشلوا في زمن الامتحان ـ المترجم.

يحاول فتح الاحاديث معي بكل وسيلة، كنت اتعامل معه ببرود، ثم شيئاً فشيئاً بدأت اكترث له وكنت أجيب عن أسئلته، وعرف عني كل شيء اسمي وعنوان منزلي دراستي في الجامعة.

وشعرت فيما بعد ان فرشاد يستحوذ على ذهني وتفكيري كنت في بعض الليالي أستعيد احاديثي معه، وكنت ألوم نفسي لأنني قد تجاوزت الحدود في انسياقي معه في الحديث.

وكان من بين زميلاتي في الشركة سيدة تدعى «زيبا» متزوجة ولها أبناء، كانت كثيراً ما تتزلّف لدي وتحدّثني بمناسبة وبغير مناسبة عن فرشاد.

كان لاحاديثها الأثر في قلبي فقد شعرت ان فرشاد يملأ كل وجودي.

ووصلت علاقتنا إلى المزاح، كان يحضر معه طعاماً كل يوم وكان يدعوني لمشاركته.

وأصبحت البّي دعوته دون تحرّج، وعندما أعود إلى المنزل كنت الوم نفسي على تصرّفي، كنت أدرك ان ما اقوم به سيسر الشيطان.

وكانت السيدة «زيبا» تذكي نار العشق المزعوم بيننا.

وجاءت «زيبا خانم»[1] لتقترح علي الذهاب إلى السوق لشراء بعض اللوازم، ووافقت شرط أن تسمح لي أمي بذلك ووافقت أمي عندما عرفت ان «زيبا خانم» إمرأة متزوجة، فلس هناك ما يدعو للقلق.

واخبرت زيبا بذلك في اليوم التالي وقلت لها أنا مستعدّة للذهاب للسوق.

وفوجئت باعتذار زيبا عن عدم ذهابها بسبب بعض المشاغل وانها قد كلّفت فرشاد بذلك.

---

(١) خانم = سيّدة، المترجم.

انخطف لوني، ولكنها بدأت تتحدث عن متع الذهاب مع شاب ورضيت بذلك لأنني كنت معتدّة بنفسي.

ومرّت ساعات لأجد نفسي وجهاً لوجه مع فرشاد في مطعم نتحدّث.

وهكذا أصبح لي صديق شاب لا اعرف عنه سوى اسمه ولقبه.

اتممنا تناول الطعام وقد بدأ المطر ينهمر، وبدت الطبيعة تتظافر لتفتح أمامي طريق السقوط.

وانتهز فرشاد حالة الطقس ليقترح عليّ الذهاب إلى منزله القريب من المطعم.

رفضت ذلك بدءً، ولكن الشيطان وسوس لي أن هذا العمل أفضل من المطر!

عندما وصلت بيته، أدركت أن أحداً من أهله غير موجود وأن المنزل خال شعرت برعب وقلت:

ـ يجب أن أعود إلى البيت بسرعة لقد وعدت أمي بذلك.

عرف فرشاد اني خائفة فأكد لي بانه سيوصلني بمجرّد أن يتوقف المطر:

قدّم لي بعض الفاكهة على طبق، ثم غاب في إحدى الغرف.

وقلت لنفسي: ماذا تفعلين هنا مع شاب غريب في بيت مهجور ألم تعدي أمك بانك ستذهبين إلى السوق مع امرأة متزوجة وها أنت في منزل خال إلى جانب رجل شاب.

انتبهت إلى وجود مجلّات مبعثرة عرفت من خلال صور اغلفتها ما تحتويه تلك المجلات، كانت صوراً خليعة ومبتذلة تنمّ عن ثقافة مبتذلة هابطة.

ونظرت إلى فرشاد بقلق، ورأيت ابتسامة الشيطان ترتسم على شفتيه.

قال بمكر:

ـ تصفحي هذه المجلّات ريثما أعدّ القهوة وشعرت بالرعب يحاصرني،

وشعرت لوهلة انني لن أستطيع التحمل أكثر من هذا، ولكي لا يظهر من خلال ردّ فعلي شيء مريب ابتسمت له، فمضى مطمئنا إلى المطبخ، وفي تلك اللحظة قفزت من مكاني وغادرت المنزل لاتنفس الصعداء في الشارع وشعرت بانني قد نجوت من فخ رهيب.

في المساء تدهورت حالتي، وجاءت امي لتجلس عند وسادتي حاولت أن تعرف ماذا حصل!

أصبت بالحمّى وتصوّرت ان ذلك حصل بسبب نزلة برد بسبب المطر.

في الصباح لم أجد في نفسي رغبة في الذهاب إلى الشركة، فاتخذت من المرض ذريعة في لزوم البيت.

وفي اليوم الذي ذهبت فيه لتسوية الحساب مع الشركة، وددت أن تقع عيناي على تلك السيدة ذات الاسم الجميل والنفس القبيحة وذلك الشاب الحقير.

كنت اشعر بالخوف حقاً، ولم أرهما ذلك الصباح، ولدى خروجي من الشركة سألت البواب عنهما فاخبرني بانهما خرجا في وقت متقارب، وحدست بانهما قد ذهبا إلى ذلك المطعم المشؤوم.

فذهبت إلى هناك، ورحت اراقب من خلال كابينة الهاتف.

كانا يجلسان سويّة على ذات الطاولة، وكانت أصداء ضحكاتهما لا تصل إلى اذني وكنت اشعر فقط بلسعاتها.

وفكرت في طريق عودتي بالورطة التي كدت ان أسقط فيها وبحثت عن جذور لهذا المسلك مني، هل هو الأعراض عن نصائح الوالدين؟

هل هو الاعتداد بالنفس اكثر مما ينبغي؟

أم هو الجهل بالبيئة التي نحيا فيها؟

أم هو الانخداع بالمظاهر التي تبدو عن بعد وقورة؟!

وربّما تتظافر كل تلك العوامل لتدفع بالمرء إلى السقوط في الهاوية، ولكن الله سلّم.

وتساءلت عن تلك الفضيلة التي حفظني الله بسببها من السقوط؟

وأدركت انها نظرات امي ودعواتها لي باستمرار، فانزل الله علي أمطار رحمته لتغسل قلبي ونفسي من كل أدران السقوط.

وشكرت الله على ان منحني أمّاً كأمّي، فقد جعلت من منزلنا عشّاً طاهراً مفعماً بالسلام.

أجل أيها الأصدقاء، يا من تنشدون في الحياة الطهر والعفّة انتبهوا إلى ابليس الذي يتربص بالجميع الدوائر، وقد نشر حبائله في الطرقات.

انتبهوا جيداً وكونوا عى حذر.

لتبق ثيابكم بيضاء ناصعة تتألق عفة وطهراً[1].

* * *

(١) جريدة كيهان العدد ١٥٢٤ الخمس ٧٣/٩/١ هـش.

٤٧

ولقد كنت بلهاء

كنت طالبة في الثانوية، وكان لي أخ واخت وأبوان طيّبان.

في عصر أحد الأيام وفي طريق عودتي من المدرسة لم أجد في البيت غير أختي وهي أصغر مني.

في تلك اللحظة رنّ جرس الهاتف، ورفعت السماعة ؟ وكان شابٌ على الخط، حيّاني وقدّم نفسه اليّ.

شعرت بقشعريرة، تسري في جسمي وتصبب جبيني عرقاً واحمرّ وجهي.

لم أكن لاسمح لنفسي بالتحدث مع الغرباء، من هذا الذي يريد التعرف عليّ، اطبقت سماعة الهاتف ومضيت لانجاز عملي اليومي.

ومرّة اخرى رن الجرس، ورفعت سماعة الهاتف متردّدة، وكان نفسه وقال بوقاحة:

ـ لماذا قطعتي الخط .. أريد أن اتحدّث اليك!

وكان أول اخطائي انني سمحت له بالتحدّث يعني سكتّ ومعنى هذا انني أسمع له.

ورحت أفكر في هذا الشاب ترى من يكون ؟ ما هي غايته وأسئلة اخرى ؟

كانت أيام الشباب حيث تموج آلاف الأماني والافكار، وكان حبّ الاستطلاع يمور في اعماقي، لقد كنت شابة في مقتبل العمر وريعان الصبا.

ومضت ايام وكان الوقت قريب الغروب عندما رن الجرس.. جرس الهاتف، رفعت السماعة، وبدا لي انّه يعرفني منذ سنوات، هكذا كان يتصرّف وهكذا كانت توحي كلماته!

قال ان اسمه خسرو، وانّه الابن الوحيد في أسرته وانّه انهى خدمة العلم وأنه يقصد خطوبتي.

وخدعت، لجأت اليه وإلى كلماته وتعلّق قلبي به، وأصبحت مهاتفاته امراً عادياً بالنسبة لي.

واذا صادف ولم يتصل هاتفياً فانني أجنّ ولم يكن أحد ليكتشف سرّ تلك اللحظات المجنونة.

ولم تبق الحقيقة خافية واكتشف اهلي هذا العار ولذا حذّرني الجميع ألّا العب بالنار! ولكني لم ارضخ لأحد ولقد كانت وقاحة مني.

وتماديت اكثر من هذا، لقد اهملت دراستي وغسلت يدي من الدرس والمدرسة؛ كنت مستعدّ لعمل اي شيء يريده.

واجهت أهلي جميعاً، وكنت اذهب معه ندور في الشوارع وجلبت العار لأهلي من وراء ذلك.

وفي تلك الأيام جاء جيراننا، جاءوا ليخطبوني من أهلي لابنهم المعوق.

كان ذلك الشاب انساناً طيباً مهذباً، وكان من الذين يتقون الله ويخافون.

كانا فدائياً[1] وكان صديقاً حميماً لأخي، ولكن قلبي كان مع خسرو ولهذا قلت بوقاحة :ـ ان ابنكم معوق وأنا لا أستطيع أن اعيش مع ..

وشعرت بان قلب الشاب قد تحطّم تماماً.. كاناء بلوري.

وما حصل بعد ذلك أن أسرة ذلك الشاب وأسرتي قد قطعوا علاقتهم معي.

وجاءت أسرة خسرو لتخطبني إلى خسرو ووقف أخي سدّاً قال:

ـ لقد حققت في مسلكه انّه انسان فاشل ومدمن على المخدّرات وعاطل عن العمل.. انّه لا ينفعك.

ووقفت في وجه الجميع وصحت سأتزوج من خسرو وقلت لأخي انت تفعل ذلك لأني رفضت صديقك قال أخي:

ـ أن لا تستأهلين ان تكون زوجة لذلك الانسان الرفيع.. وسوف تندمين اذا ما تزوّجت من خسرو، وعندها لن ينفعك الندم.

قال أخي ذلك وغادر المنزل غاضباً، وبعدها بعث رسالة من الجبهة، طلب فيها من أهلي الموافقة على طلب خسرو.

وهكذا تزوجت في غياب أخي، وكانت أيام سعادتي الزوجية هي الاسبوع الأول فقط.

وبعدها اكتشفت حقيقة خسرو انّه لم يكن سوى ذلك الذي وصفه أخي.

فزوجي لم يكن سوى رجل عاطل وفاشل يمضي نهاره في التسكع وليله مع شلّة من امثاله.

وشعرت بالندم العميق فاضطرررت لأن انطوي على نفسي لقد اخترت هذا المصير بنفسي.

---

(١) يطلق الايرانيون على معوقي الثورة والحرب لقب الفدائي ـ المترجم

مرّ أحد عشر شهراً على تلك الحياة، وذات يوم واذا برجال الشرطة يقتحمون المنزل ويضعون القيود على معصمي خسرو.

وامضى خسرو خمسة ايام في السجن ليموت في اليوم السادس بسبب ادمانه على المخدّرات.

هكذا غاب خسرو عن حياتي بعد أن ترك بين يدي بنتاً يتيمة الأب.

لقد مرّت أعوام على تلك الحادثة، وكبرت ابنتي، وراحت تمطرني باسئلتها عن الأب الذي سافر ولم يعد!

فهل اقول لها انّه كان مدمناً متسكعاً في الشوارع خارجاً على القانون والمجتمع والاخلاق ؟!

أنا الذي اخترت هذه الحياة المحطمة بارادتي، ولقد تمنيت لو أن أهلي رموني في حجرة واغلقوا علي الباب فلا اتزوج من خسرو!

ها أنا الآن في الثامنة والعشرين من عمري أرملة ليس لها في الدنيا سوى بنت يتيمة تبحث عن ابيها.

آه ليتني كنت فكرت بحكمة .. آه ليتني كنت انتصرت على اهوائي وعلى عنادي الفارغ[1].

* * *

(١) جريدة كيهان العدد ١٥٥٦٢ الخمس ٧٤/١١/١٢.

(٤٨)

الكاذبة

اعرف فتاة مصابة بمرض الكذب .. وحالتها من النوع الذي يستعصي على العلاج .

عندما كانت في السابعة من عمرها كانت تذهب إلى الصف مع عشرين تلميذة اخرى .

وكانت ممرضة تأخذها كل يوم إلى المدرسة وتراقبها وكانت مهمتها مراقبة البنت في اداء واجباتها المدرسية ، وخلاصة القول انها مسؤولة عن تربيتها .

في ذلك الوقت كان ترتيب نسبة التفوق في نظام التربية التعليم يجري حسب الحصول على درجة في الامتحانات التحريرية ، وهكذا يتعين الأول والثاني و.. ولهذا كانت الممرضة تستجوب البنت كل يوم ، وكانت تجيب كنت الأولى أو الثانية .

وقد حصل مرّة ان أصبحت البنت الثالثة ثلاث مرّات على التوالي .وهو أمر جيد في صف يتألف من عشرين تلميذ .

ولكن الممرضة ليست من النوع الذي يقدّر هذه الحقيقة ، لقد تحملت في

المرّة الأولى وصبرت على مضض في الثانية،

أمّا في الثالثة فقد انفجرت في وجه البنت:

ـالا تنتهي هذه الثالثة؟ يتوجب عليك أن تكوني الأولى غداً! هل فهمت؟!

لقد كان أمراً صعباً استحوذ على ذهن البنت، جعلها ساهمة طـوال اليـوم التالي في المدرسة، كانت شاردة الذهن ومع ذلك فقد قامت بواجباتها المدرسية على احسن وجه.

كل مسائل الجمع والطرح اجابت عنها بدقة ولكنها اخطأت في امـتحان الاملاء أربع مرّات، وهكذا صنفت الثالثة أيضاً.. وهذه طامّة كبرى!

عندما رن جرس المدرسة معلناً انتهاء الحصّة الأخيرة، كانت الممرضة وقد تحفزت لالقاء السؤال.

ـكم هو ترتيبك؟

ولأول مرّة اطفأ الخوف ملكة الصدق في قلب البنت أجابت.

ـكنت الأولى!

وهكذا كانت البداية (١)

* * *

---

(١) نحن وأبناؤنا / ٦١ ريموند بيتش.

(٤٩)

المعذبة

هذه رسالة من بنت معذبة مقهورة إلى أب قاس وهي تنشد حكم وجدانه :

أبي! هذه أول وآخر رسالة اكتبها لك ، ورجائي الوحيد ان تتأمل فيها ، فلعل ضميرك يستيقظ فتكتشف كم أنت أناني ولئيم .

أبي : اني أكرهك ، أكرهك للحدّ الذي لا أريد فيه أن أرى وجهك العابس .

أنت لا تستأهل أن أخاطبك يا أبي ، لأن الأبوة كلمة مقدسة .

انك لا تليق بهذا الشرف لأنك أسأت إلى معنى الأبوة .

أنت عديم العاطفة ، انك لست اباً فحسب بل لست انساناً .. أنت يا أبي عفريت .

لقد حرمتني منذ طفولتي من كل شيء ، لقد اذبلت جسمي وروحي ، واغلقت كل ابواب الفرح في وجهي إلى الأبد .

لقد طلّقت امي الحبيبة ، وهي أم ابنتك الوحيدة ، فرقت بين بنت وأم وأم وبنت وحطمت تلك العلاقة المقدسة بينهما .

من هو القلب الأكثر عاطفة من قلب الأم ، واين النبع الذي يتدفق حناناً غير

قلب الأم ؟!

انني لن انسى تلك اللحظة المشؤومة .. يوم عدت من المدرسة لأجد أمي تبكي وهي تحمل حقيبة ثيابها، وتنتظرني عند الباب.

احتضنتني بشوق وامتلأ وجهي بدموعها، وجئت أنت ايها الأب القاسي لتنتزعني من حضن أمّي، لتقذف بي بعيداً عنها وإلى الابد.

ولتضربني فيما بعد لأني ارتكبت جريمة! وجريمتي انني احب امّي.

اني لا أكتب أوهاماً انني اكتب حقائق مريرة اكتب قصّةمحنتي امّي ... كان أبي بطلها الوحيد!

أبي! لقد كان ذلك أولى خطاك في الطريق الذي دفعتني اليه.

ومن ذلك اليوم لم أر أمي أبداً لقد مضت نحو مصير مجهول.

ولم أكن لأعرف بعدها هل هي ميتة أم على قيد الحياة، ولا أدري اين تعيش، وماذا جرى لها بعد ذلك، وكل ما أعرفه هو انك مسؤول عن مصيرها.

ويا له من مصير للأمومة المفجوعة بالحرمان، من ابنتها الوحيدة لقد تزوجت يا أبي مرّة أخرى، وكانت يا أبي تشبهك تماماً في كل الصفات المنحطة.

ومنذ ذلك اليوم أدركت كم انا بائسة، ولقد طلبت مني أن انهض بكل اعباء المنزل لوحدي، حتى تلك الاعمال التي لا يمكنني القيام بها، ولكنك كنت تضربني مع امرأتك لتجبرني على القيام بها قسراً.

كنت انزوي في زاوية المطبخ وكنت اشعر بالانجماد من شدّةالبرد، بينما انت وزوجتك وابنك الصغير في غرفة دافئة مستغرق في المزاح والضحك.

لقد كنت خادمة في واقع الأمر ... خادمة لك ولزوجتك وابنك ولكن يا أبي ليس هناك من يعامل الخادمات هذه المعاملة القاسية والمذلّة.

لقد كنت مجبرة على أستيقظ في الساعة الرابعة فجراً لكي يمكنني أن اعدّ

لكم غداءكم واذهب إلى المدرسة.

ولقد كنت اتأخر كثيراً عن موعد بدء الدراسة وأصل المدرسة متأخراً.

وكانت معلمتي والمديرة والمرشدة يلمنني، وربّما تعرّضت للعقاب ولذا كنت احس بالصغار أمام زميلاتي.

وربّما حاصرتني الهموم فلا أجد تنفساً، غير الدموع اذرفها غزيرة ساخنة.

امّا أنت يا أبي فتتهمني بالعشق.. آه يا أبي انك حرمتني حتى من التنفيس عن آلامي بالبكاء.

أنت مجرم يا أبي مجرم بكل ما للكلمة من معنى!

اتذكر يا أبي يوم صحت علي وأنا في المطبخ وقلت:

ـ أبشرك يا بنت! سمعت اليوم أن امّك قد ماتت المسكينة ماتت كمداً عليك.

وعندما رأيتني أبكي ركلتني، ثم رحت تقهقه أما أنا فلم أع ما يجري حولي.

ربّما افقدتني الصدمة مشاعري، وغرقت في يأس مرير بعد أن فقدت الأمل في رؤية أمي إلى الأبد، وبكيت بكيت وتركت لدموعي العنان.

كم أنت قاس يا أبي انني لا أستطيع حبس دموعي لا أستطيع أن اخنق عبرتي. أنت تطلب مني المستحيل الا يحق لي أن أبكي من أجل أمي ؟! ألا يحق لي أن أجلس في مأتم الطفولة المعذبة واليتم والحرمان من نبع الحنان؟!

انني لن أستطيع أن اتحمل بعد الآن مواقفك ومعاملتك لي انني الآن في التاسعة عشرة لم أر خلالها يوماً سعيداً لكأنني أحمل كل هموم العالم، ها هي يداي تتصلبان من كثرة العمل كيدي عجوز وأنت تنعم في مسرّاتك.

لا أذكر انك اشتريت لي شيئاً، حتى اللوازم الضرورية، فكنت اضطر إلى

ارتداء ثياب زوجتك العتيقة، وإلّا بقيت عريانة.

كنت أنام في الصف من شدّة الاعياء، وكانت زميلاتي يسخرن منّي، انهن في غفلة عمّا يجري علي من مصائب، كم أنا بائسة ومقهورة.

ان أحداً لن يصدقني اذا اخبرته بمعاملتك لي!! ان أحداً لن يصدّق عذابي وآلامي .. اين عاطفة الآباء وهذا اليوم عندما تأخرت عن احضار قدح الماء الذي طلبته زوجتك! لقد ضربتني إلى الحدّ الذي لم يبق في بدني مكان خال من اثـر ازرق ..

لقد ضربتني إلى حدّ الموت.

الآن والساعة تشير إلى العاشرة والنصف .. اكتب لك رسالتي هذه .. وحيدة في المنزل أما أنت وزوجتك فلم تعودا من السينما بعد.

أبي انني لن اطيق البقاء في بيتك بعد الآن، أنت لست سوى جثة متحركة، وأنا لم أعد غير شمعة تحترق بسرعة وتذوب .. لم أعد سـوى مـخلوقة بـائسة تنسحق تحت ركلاتك وحذائك الثقليل.

انني سأغادر البيت فجراً عندما تكون أنت غارقاً في نومك الهانيء ... نعم سأغادر هذا البيت المشؤوم، لا تتصوّر اني سأنتحر .. لن ادعك تحتفل بموتي مع زوجتك.

سوف ابقي حيّة وسأقاوم .. كما قاومت من قبل كل المصائب.

ولكن يا أبي هل تدري لم سأقاوم؟ لم سأبقى حيّة .. لشيء واحد فقط هو الانتقام .. الانتقام من ذلك القلب القاسي الذي لا يعرف معنى العاطفة ولا الأبوّة .. انني اريد الانتقام لأمي ..

وانني على يقين ان الله لك بالمرصاد.

انني سأقاوم، لأعلن على الملأ قسوتك وظلمك وانعدام الرحمة في قلبك ..

من أجل أن أجعل ذلك عبرة للآباء والأمهات حتى لا ينسوا مسؤوليتهم الالهية اريد أن أصرخ صرخة الطفولة ..انها تنشد الحب والعاطفة والحنان تنشد الأبـوة والامومة ولا شيء غير ذلك، أريد أن اقول: ايها الآباء ايتها الامهات ان أبناءكم لا يفرّون من البيت الاّ عـندما يـتحول ذلك العش الدافـىء إلى جـحيم لا يـطاق، وعندها يضيعون في دروب الحياة.

انهم ثمار حياتكم فكونوا طيبين ليكونوا طيبين[1].

* * *

(١) احبك يا أبي / ٤٣٤ بتصرّف.

٥٠

المخدوعة

رأيت ذات صباح في مركز الشرطة فتى وفتاة وبينهما وقف الشرطي، كانت آثار خوف تموج في وجه الشاب وكانت الفتاة تتعثر خجلاً فكأن شعور بالعار يضطرم في اعماقها.

كانت الفتاة تتصرّف بطريقة توحي بانها تحاول الفرار من ذلك الشاب الذي ظهر وكأنه لا يبالي بحركاتها ولا يكترث لها.

تقدمت أستفسر عمّا حصل فاجهشت الفتاة بالبكاء وراحت تروي حكايتها من البداية.

ولدت قبل ستة عشر عاماً ولدت في أسرة متعلّمة، كنت الطفل الأول في حياتهما الزوجية، وأعقب ذلك ان ولد طفلان آخران وتضاعف دفء أسرتنا.

كان أبواي موظفين، ولهذا فهما يمضيان معظم وقتهما خارج المنزل، فاذا عادا من عملهما، عادا متعبين، لا يجدان في نفسيهما رغبة في التحدّث معنا، ان اكثر ما يشبع روح الابناء هو احاديث الآباء انّه يروي نفوسهم ويملأ قلوبهم بالثقة والأمل.

كنت أعود من المدرسة أنا وأختي وأخي وكلّنا شوق إلى ان نجلس في حضرة والدينا، أو نذهب معهما للتنزّه في الحدائق.

حتى يوم الجمعة يمرّ مثل سائر الايام لأن أبي وأمي يحتاجان إلى استراحة بعد عناء العمل طوال ايام الاسبوع.

كان أبي أو أمي يسألاني عن الدرس والدراسة فاذا جاء الدور لاتحدّث عن نفسي، أظهرا عدم رغبة بذلك فاعتصم بالصمت.

لقد تعلمت من والدي أن أدرس وأدرس فقط لأكون الأولى في المدرسة.

كنت أدرك مدى سعيهما من أجلنا وكنت اقدّر عناءهما لهذا كنت اغض النظر عن رغباتي وأسكت.

لقد كنت اتوق إلى اليد التي تمسح فوق رأسي، لقد وفرا لنا كل شيء نحتاجه الّا الحنان الذي كنّا نتعطش له، ولكنّني لن أجرأ ابداً على أن أقول لأبي أو امي أن الحياة ليس في توفير المستلزمات المادّية.

وشيئاً فشيئاً بدت آثار ذلك تتبلور في تكويني الروحي... أن اي فتاة في مثل ظروفي سوف تكون عرضة للوقوع في أول فخّ ينصبه ذوو الكلمات المعسولة عن الحب والمحبّة والدفء العاطفي من اولئك الذين يصنعون من السراب ماءً يحسبه الظمآن ماء!

كنت متفوّقة في الثانوية، وتركت لقلمي العنان ينفس عن كل ما يموج في أعماقي من رغبات.

بالرغم من أن مدرستي تكتظ بالبنات الّا اني لم ارافق سوى اثنتين فقط، وكان كبريائي يمنعني في أن أبادر إلى اقامة علاقات.

وذات يوم صادف درس الأدب وطلبت المدرسة ممن لديها خاطرة أو شعر أن تقرأه، وكان هذا فرصة لي لأبوح عما يضطرم في اعماقي.

واخترت موضوعاً في دفتري ورحت اقرأ على زميلاتي ما سطر يراعي من عواطف ومشاعر وأحاسيس. وكان الموضوع كله يدور حول المحبّة وينبوع الحنان!

ونال الموضوع اعجاب الجميع لقد كان يعبّر عمّا يموج في اعماق الكثيرات.

لهذا ما ان رنّ جرس انتهاء الحصّة حتى وجدت نفسي وسط حلقة كبيرة من زميلاتي، وكلهن يطلبن استعارة دفتري.

كان دفتري هذا في الواقع دنياي التي تزخر بكل الرغبات والاحلام والأماني. وأصبح فيما بعد الفخ الذي وقعت فيه.

لقد أصبحت وأنا الفتاة المنزوية فيما مضى شمعة الصف وكان دفتري يدور بين زميلاتي حتى عاد اليّ عن طريق زميلتي «سيما».

وراحت «سيما» تطري «دفتر الاحلام» وتثني على أسلوبي في الكتابة، وذكرت انها تهوى الأدب.

وهكذا بدأت علاقتي وصداقتي مع سيما وكنت اطلعها على كل ما اكتبه.

صرت اقترب منها يوماً بعد آخر وكنت في الواقع اقترب من الفخ الذي نصبه لي القدر.

قالت لي ذات يوم بلهجة فيها خجل:

ـ لقد اطلعت أخي على دفترك، ومع الأسف فقد سجّل بعض ملاحظاته دون أذن مني أو منك.

قلت لها: لا باس بذلك.

وعندما أخذت دفتري منها وجدت معه دفتراً آخر قلت لها:

ـ ما هذا؟

قالت:

ـ دفتر أخي هو أيضاً كتب بعض الخواطر وطلب مني أن اطلعك عليها.

أخذت الدفتر منها بقصد الانتقام من أخيها.

وعندما قرأت ماكتب اكتشفت انّه عرف عني الكثير وعن أسرتي من خلال ماكنت اكتب، لقد عرف مصدر ظمأي وعرف طموحاتي وكل رغباتي واحلامي، لهذا عرف كيف يطرق قلبي.

لقد وضع «حميد» أصبعه على جراحي، راح يكتب عن الحبّ والصداقة عن الحياة المفعمة بالمحبّة والمودّة، وعن كل ما كنت اطمح اليه.

شيء واحد ظلّ خافياً عليّ ان ما يكتبه حميد لم يكن يصدر عن قلب يؤمن بالحبّ والصداقة، لقد كان ذئباً يتظاهر بانه حمل بريء.

مرّ شهران على صداقتي مع سيما، وذات يوم دعتني ولبّيت الدعوة، وذهبت إلى منزلها لأرى حميد وجهاً لوجه ولأول مرّة.

كان يبدو طيباً ومهذّباً وهكذا أراد أن يبدو أمامي.

كان المساء قد خيّم عندما غادرت منزل صديقتي، شيعتني سيما إلى الباب، وطلب حميد أن يرافقني حتى منزلي، وعندما وصلنا إلى بداية الزقاق قال لي حميد وهو يحدّق في:

ـ وداعاً؛ وإلى اللقاء.

وهكذا بدأت صداقتي مع حميد، وراح يراسلني من خلال اخته، وأصبح لحياتي معنى آخر، وبدأت اشعر بالارتواء من سراب الحبّ الكاذب.

وكان حميد يحدّثني عن الحبّ والمستقبل وعن العش الدافىء وفي حياة مشتركة!

من أجل هذا احببت حميد بكل وجودي... كل خليّة كانت تصرخ بحبّه

أصبح حاضري ومستقبلي وكل كياني واحلامي.

قبل أسبوع ذهبت إلى منزل سيما لآخذ كرّاسة الكيمياء، طرقت البـاب، وفتح لي حميد، دخلت إلى باحة البيت كعادتي.

وطلب حميد إلى أن ادخل البهو قال:

ـان الجو باردٌ

رفضت وقلت:

شكراً لقد جئت لآخذ كرّاسة الكيماء من «سيما» قال:

ـسيما ذهبت مع أمي إلى الطبيب.

قلت:

ـاذهب اذن فاذا جاءت اخبرها بذلك.

ولكن حميد تضرّع اليّ أن ادخل إلى البهو رفضت في البداية ولكنه اصرّ على دخولي ولو للحظات وقال أنه يريد ان يطلعني على البوم صوره.

ودخلت ثم بدأ معي لعبته راح يعزف عـلى اوتـار الحبّ وشـعرت بأنـي سكرى .. وبعدها وقع الذي ينبغي الّا يقع.

وأدركت فيما بعد أن أحد الجيران عرف دخولي في البيت لهذا أسرع إلى والدي ليطلعهما على ذلك.

وعندما أسرعا بالحضور كانت الفضيحة قد حصلت.

خرج الجيران للنظر الي .. إلى الفتاة المخدوعة لم اشعر بوقع الكارثة لأنّي كنت واثقة من عهود حميد، الذي قطع على نفسه وعـداً انّـه لن يـتخلّى عـنّي وتحمّلت كل لوم أبي وأمّي وكل لوم اللائمين ليقولوا كل ما شاؤا، ان حميد لن يتركني وحيدة في هذا العذاب.

وجاء بلاغ الشرطة يطلب حضوري مع أبي.

وخلال الاستجواب سئل حميد:

ـ هل أنت مستعدّ لعقد قرانك مع «شيوا»؟

وهنا شعرت بالصاعقة تدمّر كل احلامي، قال حميد بكل وقاحة وقسوة.

ـ كلّا

وشعرت أن الأرض تهتز تحت قدمي، وبكيت.. بكيت كما لم ابك من قبل. صرخت بحميد.

ـ أين كل حكايات الحبّ، وأين الأماني والأحلام، والحياة في عش دافىء.. هل نسيت ذلك سريعاً؟ الم تقل لي انني احبّك وان الله خلقني من أجلك فكيف تتركني وحيدة وسط العاصفة؟!

قال حميد ببرود:

ـ نعم كنت احبك ولكن عندما رأيتك مسلوبة الارادة، شعرت بانك لا تستحقين الحياة!!

كانت الفتاة المغلوبة على امرها تروي قصّتها المريرة وتبكي.

ولكن هل تنفع الدموع؛ قلت لها: كنت كمن يستجير من الرمضاء بالنار، لقد فررت من مشكلة لتسقطي في طامّة كبرى ولقد كان عليك ان تصارحي والديك بما يموج في قلبك، لا أن ترمي بنفسك في هاوية السراب.

قالت وهي تكفكف دموعها:

ـ ولو أن الآباء والامهات التفتوا قليلاً إلى أبنائهم وسمحوا لهم أن يفتحوا قلوبهم لما انطووا على عقدهم، يحملونها في اعماقهم يبحثون عمّن يحلّها لهم ولما سقطوا في شباك المخادعين لقد جئت لاجئة إلى القانون ليقتص لي ممن سلبني عفتي وجعلني أعيش مرارة الفضيحة بين أهلي.

ليت الفتيات يستمعن إلى قصّتي، فيكنّ على حذر ولا ينخدعنّ بالمظاهر، وينظرن بعمق إلى حقائق الحياة.

٥١

ثم وجدت طريقي

انّني اروي قصّتي الآن، وقد غمرني شعور بالندم... أرويها وأنا أستغفر من الماضي، فيما تتطلع روحي إلى المستقبل، فلعلّي اقترب من منابع النور.

انني افتتح حديثي بذكر الله فهو الذي انتشلني من أعماق الظلمات... ظلمات الضلال.

ولدت قبل سبعة عشرة سنة في أُسرة تنعم بالرخاء ولا ترى سعادتها الاّ في العلم والثراء.

ما إن فتحت عيني على الدنيا الاّ وأنا أرى ذلك شعاراً في الحياة، فلقد تعلمت أن اجعل العلم والثروة قرطين اعلقهما في أُذنيّ، وبهذا فقط يمكنني الاحتفاظ باصالة أسرتي وعراقتها!!

امّا الاسرة التي تنصهر في أواصر من المحبة والمودّة والتفاهم فلا وجود لها بالمرّة!

انني اذا أردت أن اعدّ الجلسات العائلية حيث تجتمع الأسرة فانني اجزم بان ذلك لا يحصل الاّ مرّات محدودة في العام!

يملك أبي محلّات عديدة لانتاج الالبسة داخل وخارج البلاد فهو في سفر دائم، وطالما يردد بانه غارق في هموم العمل حتى هامته، وان وجوده في البيت هو مجرّد تضييع للوقت، وهذا يعني تأخر معاملاته التجارية!

أمي أستاذه في الجامعة، وغالباً ما أحرم رؤيتها، فهي غارقة في بحوثها وتحقيقاتها، ويلزمها الهدوء دائماً لأداء عملها.

لي أخت في حدود الرابعة والعشرين من عمرها طالبة في الجامعة تعيش حرّة بعيداً عن اشراف الوالدين.

وهكذا نشأت، فأنا الآن طالبة في الثانوية في السنة الثالثة، ولقد كنت أتمنى كما هي أختي أن نتخلص من هذا الوضع بأسرع ما يمكن.

لهذا اتفقت أنا وأختي على أن ننتقل إلى منزل عمتنا.

لم يكن لعمتنا أولاد، وقد توفي زوجها حديثاً فهي تعيش وحيدة.

عمّتنا تملك منزلاً ذا ثلاث طوابق، تسكن الطابق الأول منه ولذا أوكلت الينا الطابقين الآخرين.

لم يكن الوضع أفضل مما كان عليه سابقاً، اذ وصلت علاقتنا العائلية إلى مستوى الصفر، ولم اكن التقي عمّتي التي أصبحت مسؤولة عنّا الّا في أوقات تناول الطعام.

كان الوضع بالنسبة لأختي مثالياً، ذلك انها ترى نفسها فتاة متعلّمة ومن طبقة راقية، وكانت تمضي أوقاتها مع صديقاتها، وقد عرف الجميع انها ستسافر إلى انگلترا، وقد وعدها أبي بانه سيتحمل نفقات دراستها في الخارج.

لم تكن الحياة على هذا النحو لتروق لي، ولم يكن في مقدوري ان اتحمل كل هذه الضغوط، وبالرغم من عدم رؤيتي لوالدي قد أصبح عادياً، اذ اننا افترقنا منذ شهور وأصبح هذا الوضع عديم التأثير بالنسبة لي.

ولقد أصبحت الدراسة أيضاً أمراً لا مفرّ منه لملء تفكيري إلى حدّ ما.

ولكنّ الفراغ الذي كنت أستشعره ناجم عن احساس مدمّر بتفاهة الحياة وهذا ما واجهته في تلك المرحلة الحساسة من حياتي.

كنت في أمسّ الحاجة إلى انسان يشبع عواطفي ويعوض عن ذلك الحرمان، ويقودني إلى طريق الحياة السليم من أجل أن ابني نفسي وأسمو بروحي في مدارج السمو والتكامل الانساني.

ولقد ادّى غياب ذلك المرشد في الحياة بعيداً عن دور الآباء الذين يتصوّرون أن واجبهم الوحيد هو توفير مستلزمات الحياة المادّية قد ادّى ذلك إلى أن افتح قلبي على مصراعيه للاصدقاء، وأن أجد مثل أختي الكثير من الاصدقاء والرفاق.

صديقاتي ينظرن عن بعد إلى حياتي، فيغرهنّ ظاهرها البرّاق ويتحسّرن على هذه الحياة الممتعة! وكن يتهافتن بمجرّد أن ادعوهن لزيارتي، وعندما اتحدّث عن تفاهة مثل هذه الحياة كن يتضاحكن، ويعتبرن انفسهن غير لائقات بمثل هذه الحياة.

ولقد تعوّدت أن املأ فراغي بعد الانتهاء من مذاكرة دروسي بالانسياق وراء تلك الحياة مع شلّة من تلك الفتيات. اللائي أصبحت في نظرهن النموذج والمثال!

وشيئاً فشيئاً وجدت نفسي اعاشر وارافق أصدقاء أولاد ولم تكن أسرتي لتنظر باستنكار إلى هذاالنوع من العلاقات بل انه امر عادي جداً في نظر أُسرة منفتحة كأسرتي.

وهكذا كنت أمضي في الحياة، وكان بال أبي فارغاً إزائي حتى انه اشترى لي جهاز لالتقاط الأمواج عبر الاقمار الصناعية ملقياً علي محاضرة في مواكبة

التقدم والاّ أكون متخلفة عن ركب الفتيات في الأسرة.

لقد كان في مقدوري أن أستمتع بكل ملاذ الحياة بحيث لا تبقى فرصة كما تقول صديقاتي للتفكير بغصص الحياة.

وفي المدرسة كانت الفتيات يتضرعن لأخذ مواعيد في التفرّج على قنوات الارسال عبر الاقمار!

ذات يوم جاءت اختي والقت الي بقصاصة من جريدة «كيهان»[1] وخاطبتني بلهجة ذات مغزى:

ـإحذري أن تكوني بطلة القصّة!

كان عنوان القصّة «صلاة الحب» وعندما قرأتها حتى النهاية لم أصدّق وقرأتها مرّة أخرى، تأكدت انها تلك الفتاة التي تعرّفت عليها في إحدى الحفلات الصغيرة، وكانت بحق نجمة الحفل وحديث المحتفلين، وعندها عرفت سرّ اختفائها كل هذه المدّة إذ انني لم أصادفها بعد تلك الحفلة.

وفي تلك اللحظة دوّى في اعماقي نداء: يجب أن التقيها.

ضغطت زرّ الجرس وما أسرع أن انفتح الباب لأجد نفسي وجهاً لوجه أمامها، كانت ترتدي ثوباً في غاية البساطة وابتسمت لي بوجهها البريء، ودعتني للدخول، طلبت منها أن تروي لي قصّتها.

وراحت تلك الفتاة الطيبة تروي لي تجربتها المثيرة، كانت تتحدث بخجل عن ماضيها وتتكلم بأمل عن مستقبلها.

ورحت أتأمل وجهها المضيء.. يا إلهي كم هو بريء وطاهر، يا لروعة! الكلمات وهي تنساب كنهر هادىء وشعرت أن النور الذي اضاء في قلبها يتألق

---

(١) كيهان جريدة ايرانية وتعني «العالم».

في أعماقي ويكاد يضيء قلبي.

فاذا قلت أن وجهها يتدفق نوراً لم أبالغ، لقد تحدثت وتحدثت عن الطريق الذي اكتشفته.. الطريق الذي جعلها تسبح في عالم من نور شفاف عن الحياة الطيبة التي تحياها ناعمة البال لكأنها تطير في عوالم زاخرة بالنجوم.. تحدثت عن الصلاة التي ترفعها عالياً باجنحة بيضاء إلى سماوات بعيدة.

في تلك اللحظات احسست اني لن أستطيع مغادرة المنزل أن شيئاً ما يشدّني اليها، ومع ذلك فقد نهضت وودعتها وكان قلبي يتعلق بها أكثر فأكثر.

في اليوم التالي وجدت نفسي تهفو اليها كطائر يحنّ إلى عشّه الدافىء في يوم مطير.

وفتحت قلبي وصدري لكلماتها، ان نبعاً من الايمان يتدفق في اعماقي.. لكأنه قادم من السماوات.. من جنّات الفردوس.

سكتت لحظات رجوتها أن تتحدث حتى لا يتوقف النبع عن التدفق.. حتى لا تنطفىء الشمعة الي توقدت وأضاءت ظلمات روحي.

ومن ذلك اليوم أصبحت تلميذة في حضرة معلم، كانت بحق مرشدتي ومنقذي أوقفت كل وجودها من أجلي كل يوم كانت تستقبلني بنفس الدرجة من الشوق وربّما اكثر كل يوم كانت ابتسامتها لي تتألق.

كنت اقترب منها يوماً بعد آخر، وكنت اشعر بروحي تفرّ من تلك الحياة الخاوية التي ضيعت فيها سنيناً من عمري.

كل يوم كانت روحي تسبح في رشاش من الايمان.. روحي تتألق بالنور.

ولم تمرّ تجربتي بسلام.. ها أن أصدم بأسرتي.. ها هم يقفون في وجهي جميعاً.. لقد خرجت عن مسار الاسرة وتقاليدها..

حتى أمي ضحكت وهي تراني.. قالت: دعوها انها تجربة على كل حال

وسوف تصحو وتعود الحياة إلى ما كانت عليه!

اختي قطعت علاقاتها معي على الأقل خارج المنزل، ان الحجاب يثير تهكمات أصدقائها من الجنسين!

لم يعد هذا مهماً بالنسبة لي ليقف الجميع ضدّي ان الله معي ، ها أنا انعم في ظلال الايمان الوارفة...

لقد سافر أبى مع والدتي وأختي إلى الخارج وأصرّوا علي أن ارافقهم.. امّا أنا فاخترت قرية نائية لأمضي العطلة في بيت قريبة لنا طيبة.. وكانت فرصة لبناء نفسي من جديد..

ها أنا أعيش في بيت قروي صغير ولكنه دافىء.. تعيش فيه أسرة فقيرة ولكنها غنية بما وهبها الله من نعمة القناعة بالحياة.

آه ليتني أفقد كل ثروتي في مقابل العيش في بيت ينعم بالطمأنينة والحب والسلام..

فما فائدة أن يربح الانسان العالم كلّه إذا خسر نفسه؟

* * *

٥٢

بأيّ ذنب قتلت؟

لم تكن للمرأة لدى عرب الجاهلية قيمة تذكر، وكان بعضهم يعمد إلى دفن البنت فور ولادتها.. يدسّها في التراب دون أن تطرف له عين.

ثم ظهر الاسلام فكان الشمس التي امدّت العالم بالنور والدفء وتحرّرت المرأة من قيود الجاهلية لترتفع إلى مصاف الانسانية لتأخذ مكانها الطبيعي إلى جانب الرجل فكلاهما انسان.

وما أجمل ما قاله سيدنا محمد (ﷺ): «الجنّة تحت اقدام الامهات».

وهل الامهات الّا البنات قبل عقدين من الزمن.

وما هذه الحكاية الّا واحدة من عشرات الجرائم المروّعة والتي لم يسجّلها التاريخ.

ذات يوم تشرّف قيس بن عاصم[1] في المثول بين يدي رسول الله (ﷺ) وكان النبي في جمع من أصحابه، وسأل أحدهم قيساً عن بناته فأجاب:

---

(١) من زعماء بني تميم.

ـ لقد وأدتهن جميعاً ولم يخفق قلبي الّا لواحدة.

وراح قيس بن عاصم يستعيد حوادث الماضي..

كان قيس في سفر له طويل، ووضعت امرأته في غيابه حملها وكان بنتاً، وخشيت الأم المسكينة ان يكون مصيرها كمصير أخواتها فأودعتها لدى أخت لها.

ويعود قيس من سفره فيسأل عن الحمل قالت المرأة:

ـ وضعته ميتاً ودفنته.

وهكذا تمرّ الاعوام تلو الأعوام، وتشبّ البنت يموج في عينيها بريق الحياة لكأن نسائم الصحراء نحتت وجهها لتهبه الصفاء والأمل.

وذات يوم كنت جالساً في البيت، فجأة دخلت صبيّة، وراحت تبحث عن امّها.

كانت صبية حسناء شعرها مظفور وفي جيدها قلادة، وسألت زوجتي عنها قلت لها: من تكون هذه البنت؟

وتجمعت في عينيها الدموع وهي تقول انها ابنتك، اخفيتها عنك لمّا ذهبت في سفرك ولذت بالصمت.. الصمت الذي فسّرته زوجتي على انه رضى، تصوّرت انني لن اقتلها.. لن أدسّها في الثرى كما فعلت بغيرها من قبل ـ لقد كبرت البنت وأصبحت جميلة ومحبوبة.. لهذا خرجت من المنزل دون أن يساورها الشك.

وفي تلك اللحظات أستيقظ في صدري حقد قديم..

فأخذت بيد ابنتي وانطلقت بها إلى عمق الصحراء ورحت أحفر في الأرض.. وأنا أحفر كانت ابنتي تسألني: لماذا تحفر الأرض يا أبي؟

انتهت الحفرة أصبحت جاهزة دفعت ابنتي داخلها ورحت أهيل عليها التراب.. غطّى التراب وجهها وصغيرتها.. ولم أصغ إلى أنّاتها... إلى توسّلها

وتضرعها وهي تقول لي: اتتركني يا أبي في هذا المكان الموحش وتعود؟!..

لم أصغ إلى كلماتها إلى انّاتها.. ولكن لأول مرّة شعرت بان قلبي يعتصره ألم عميق.

وعندما انهى قيس حديثه نظر إلى رسول الله (ﷺ) كان النبي يبكي حزناً وقال: ما اقسى قلبك يا قيس.. ان لك يوماً طويلاً.

وسأل قيس: وماذا افعل يانبي الله.

قال النبي: اعتق عن كل بنت وأدتها رقبة جارية.

* * *

٥٣

الذكية

دخل القاضي «ابن أبي ليلى» ذات يوم على المنصور، وتساءل المنصور فيما اذا كانت لديه قصّة كالتي تصادف القضاة.. قال القاضي: أجل.. سأحدثك عن أعجبها.

جاءتني ذات يوم امرأة عجوز طاعنة في السن وراحت تبكي وتولول وتشتكي الظلم الذي وقع عليها.

سألتها: وممّ تشتكين؟

قالت: ابنة أخي ايها القاضي.

فأمرت باحضارها وجاءت ووقعت عيناي على فتاة حسناء.. لكأنها من حوريات الجنّة، فطلبت منها أن تحكي قصّتها مع عمّتها! فقالت:

أيها القاضي، أنا ابنة أخ لهذه العجوز فهي عمّتي كما يقال وكنت صغيرة يتيمة توفي والدي، وأنا طفلة فنشأت في أحضان عمتي هذه ولم تقصّر عمّتي في تربيتي، حتى بلغت سنّ الرشد والكمال.

وذات يوم جاء رجل صائغ وخطبني، وتزوجت بعد أن اقنعتني عمّتي بذلك.

كانت حياتي مع زوجي طيبة هانئة وكنت سعيدة، فحسدتني عمّتي وندمت على زواجي منه.

كانت تتمنى لو انها زوّجت ابنتها منه فكانت تزينها وتجمّلها وتعرضها أمام زوجي، وفي النهاية خدع زوجي فخطبها، واشترطت عمّتي أنها لا ترضى حتى يكون طلاقي بيدها، ووافق زوجي على ذلك وهكذا تم الزواج ولم تمض مدّة يسيرة حتى طلقتني عمّتي.

وكان زوج عمّتي في سفر، فلما عاد من سفره جاءني يوماً يسلّيني فتجملت له وتدللت عليه حتى استحوذت على فؤاده، فاقترح عليّ أن اتزوّج منه فاجبته شرط أن يكون طلاق عمّتي بيدي فوافق، ولمّا تم زواجنا طلّقت عمّتي، ولم تمض مدّة حتى توفي زوج عمّتي الذي أصبح زوجي.

ولم تمض مدّة حتى جاء زوجي الأول وعرض علي الزواج منه وقال أنه ما يزال يحبّني، وانه حاضر لاستئناف حياته الحلوة معي فاشترطت عليه أن يكون طلاق ابنة عمّتي في يدي فلم يعارض، فتزوّجنا من جديد، ولمّا كان أمر زوجته الثانية بيدي وهي ابنة عمّتي طلقتها منه، والآن ايها القاضي هل تجدني مذنبة أم اني انتقمت من حسد عمّتي؟!

* * *

(٥٤)

تجربة في الحبّ؟

ولدت في أسرة ثرية، كان أبواي ومنذ طفولتي يسعيان في حمايتي من الانحراف والضلال. بعد أن انهيت دراستي في الثانوية، رحت اعدّ نفسي لامتحانات القبول في الجامعة، ولم أفكر طوال تلك المدّة في الخروج على التقاليد والاخلاق وهذا نابع بالطبع بثقة أبوي فيّ.

كان أبواي يطمحان في أن اتزوّج في الوقت الذي ادخل فيه حرم الجامعة، ولهذا رحت افكر بشريك الحياة في المستقبل وكانت في ذهني صوره لفارس الاحلام ذاك.

ذات يوم وعندما ذهبت إلى المتنزّه القريب من منزلنا رأيت بعض صديقاتي في زاوية منه وهن يتحدّثن فالتحقت بهن، مضت مدّة عندما لاح لي شابّ وسيم، كان ظاهره ينمّ عن وقار وأدب، وكان يحمل في يده كتاباً، قفزت في ذهني فكرة أن هذا الشاب هو الآخر يعدّ نفسه لامتحان القبول بعد دقائق ودّعت صديقاتي، وفي طريق عودتي كنت افكّر في ذلك الشاب.

بعد أيام صادفته في المتنزّه وكنت حينها وحدي، اقترب مني وحيّاني

قائلاً:

ـ أريد أن اتحدّث معك:

ارتبكت قليلاً ولم أدر ما أقول ولكني وجدت نفسي اقول له:

ـ دعه لوقت آخر.

ثم أسرعت بمغادرة المتنزّه... ولكني لا أدري لم فكرت في منتصف الطريق بالعودة، التفت فوجدته ما يزال يلاحقني بنظراته.

في الأيام التالية استغرقت في المطالعة بارادة حديدية، لهذا سعيت في الّا اشغل ذهني في موضوع آخر غير الجامعة واقنعت والديّ بان موضوع الجامعة أهمّ من أي شيء آخر في الوقت الحاضر.

ومضت الشهور تباعاً وفي اردیبهشت[1] وبدأ امتحان القبول (كونكور)! وقد شعرت بانني حرّة تماماً بعد انتهائه وبعد الامتحان توجهت إلى المتنزّه، ورأيت مجموعة من صديقاتي، فدردشنا حول أسئلة الامتحان، ثم عدنا بعدها إلى المنزل.. وفي الطريق رأيته عرفني وعرفته تحدّث اليّ وطلب مني ان أصغي اليه، وفهمت انه يريد أن يطلب يدي، قلت له: ينبغي أن نتعرّف على بعضنا أكثر فاذا كان هناك انسجام في آرائنا عندها أطلع والدي على الموضوع وهكذا افترقنا.

وبعد ذلك اللقاء أصبح من المعتاد ان التقيه يومياً، ساعة على الأقل نتحدث خلالها حول مختلف القضايا وعن المستقبل، وهكذا مضت الايام وأخيراً اطلعت والديّ وكانا ينتظران ان يتقدّم سعيد لخطوبتي.

ظهرت نتائج الـ«كونكور» وظهر اسمي في حقل الهندسة الكيميائية في

---

(١) الشهر الثاني في السنة الايرانية، وهو الشهر الثاني أيضاً من فصل الربيع.

احدى المحافظات، وذهبت لتسجيل اسمي هناك.

وبعدها التقيت سعيداً في نفس المتنزّه بعد عودتي إلى طهران، وقد ذهلت لمرآه في حلّة سوداء ومعه مجموعة من رفاقه يرتدون ذات الشكل واللون، وظننت للوهلة الأولى انهم ينوون الذهاب إلى أحد الاندية الرياضية وعندما لمحني سعيد قال لرفاقه: انصرفوا إلى عملكم.

تقدمت نحوه وتبادلنا عبارات عادية واخبرته بقبولي في الجامعة وقلت له انه قد آن الأوان لأن نتحدّث بجدّية اكثر، ولكنه كان مرتبكاً وكان يحاول تغيير مسار الحديث كان تصرّفه غير عادي تماماً، وانتابتني هواجس وشكوك وكنت افكر وأنا في طريق عودتي إلى المنزل بحقيقة سعيد.

تقرّر دخولي حرم الجامعة في النصف الثاني من السنة الدراسية وكانت هذه فرصة للتحقيق في مسألة سعيد، ورحت أراقبه عن بعد ورأيته ذات يوم مع مجموعة من رفاقه وهم يتبادلون المخدّرات، شعرت لوهلة انني في حلم.. ولكني صحوت على حقيقة مرّة، حقيقة كادت ان تعصف بحياتي وتدمّر مستقبلي، احسست بعمق فجيعتي، لو أنني اقترنت بسعيد وعشت معه تحت سقف واحد، لقد كان سعيد يعمل في عصابه توزّع المخدّرات وكان مقرّها في ذلك المتنزه.

فكّرت أن انقذ سعيد من هذه الهاوية التي ينحدر فيها، التقيته مرّة في المتنزّه واخبرته بصراحة انني قد اكتشفت حقيقته وحذّرته من التمادي في عمله اللاانساني هذا، في البدء انكر ثم لم يصمد أمام الحقيقة، فاعترف بلا اكتراث لم يصغ سعيد لنصائحي بل دعاني بوقاحة إلى قيادة العصابة!

شعرت بجسمي يرتجف غضباً ونفضت يدي عنه إلى الأبد.

كانت قصّتي معه اشبه بذكرى موحشة ومريرة، أستعيدها بين حين وآخر وأنا مشغولة في دراستي.

أجل فعندما يتم التعارف في الزقاق والشارع وداخل سيّارة التاكسي أو في محطة الباص والمتنزّه ويبدأ الحب لأول نظرة فان من الطبيعي أن تكون لهكذا تعارف نتائجه المريرة.

ان الحبّ الحقيقي انما ينهض على أسس صلبة من الخلق الرفيع والسرائر البيضاء الطاهرة .. انني اكتب هذه القصّة من أجل ان تكون عبرة لغيري من الفتيات اللاتي ينظرن إلى الحب بسذاجة، فيقعن ضحية بين أنياب الساقطين[1]».

* * *

(١) جريدة كيهان / العدد ١٥٦١٣ الخميس ٧٥/١/٢٢.

٥٥

رحلة العمر!

كانت تبكي .. تذرف دموعها بعبرة، امّها تهمس في اذنها بكلمات معزّية، أما والدها فكان مطرقاً برأسه، يحدّق في الأرض يتحسّر ويهزّ رأسه بين الحين والآخر.

الثلاثة كانوا جالسين على مقعد خارج قاعة المحكمة ينتظرون دورهم.

عندما أعلن السكرتير وهتف باسم الشابة، نهضوا ساكتين وولجوا إلى القاعة ليتخذوا مقاعدهم قبالة القاضي. نهض الأب وكان يزحف نحو الشيخوخة فيقول متأوّهاً:

ـ أنا مذنب، انا الذي لعبت بمصير ابنتي وحطمت سعادتها، لقد تزوّجت باصرار مني، انا الذي كنت أملي عليها كيف تحدّد معايير السعادة والشقاء، وها نحن ثلاثتنا نشعر بالندم!

ونهضت العجوز لتقاطع زوجها وتستأنف ذات المرارة قائلة:

ـ لقد خُدعنا... خدعتنا المظاهر البرّاقة، خدعنا صهرنا بمظهره كان يمثّل علينا .. ظنّنا انه سيسعد ابنتا.. لقد اخطأنا التفت القاضي إلى الفتاة قائلاً:

ـ ما هي شكواك يا سيدة حميراً؟

نهضت حميرا التي تبلغ من العمر ٢٥ سنة كانت الدموع تموج في عينيها قالت بعبرة:

ـ لقد حطم سعادتي واحلامي وداس كرامتي بل لقد عذّبني، انني لا اعتب على والدي، اعرف انهما كانا يقصدان إسعادي وينشدان لي الحياة الكريمة، لقد أخطأ بسبب جهلهما.

أسمح لي يا سيادة القاضي ان اشرح قصّتي:

لقد بذل أبواي جهوداً في سبيل إكمال دراستي، وحصلت على الليسانس، ثم حصلت على وظيفة وعينت مديرة قسم في أحد المصانع في الطريق بين «طهران وكرج».

كنت راضية وسعيدة بعملي، خطبني شبّان عديدون ولكنّي لم أجد الذي يناسبني في حياتي المشتركة.

وذات ليلة جاء أبي ومعه شريط فيديو وقال:

انظرا اليه بدقّة ثم قولا رأيكما!

كان القلم يصوّر حياة رجل ايراني يقيم في «كندا» وكانت المشاهد تعكس حياة طيّبة ومرفهة..

سألتني امّي عن رأيي، قلت بعدم اكتراث: انه كغيره من الايرانيين الذين يذهبون إلى الخارج ليعيشوا حياة المظاهر البرّاقة ولا أحد يعلم من اين يحصلون على المال؟

صرخ أبي بعصبية قائلاً: انت مخطئة.. إن هذا الرجل يعيش حياة مرفهة ويحصل على المال بطرق مشروعة.. انه سيحقّق لك السعادة!

وقالت أمّي:

ـ الحق يا ابنتي ان أصل القضية هو أن امرأة في محلّتنا تدعى ربابة خانم، تبحث عن فتيات لهن أصل وسمعة طيّبة تعرّضهن لعوائل تهتم بتزويج أبناءها، وقد ارسلت ربابة هذه صورتك إلى كندا وهذا الرجل الذي رأيتيه في شريط الفيديو قد ارتضاك له زوجة، ولهذا بعث بهذا الشريط لتتعرّفي عليه بهذه الطريقة، فاذا وافقت نبحث مع موكّله قضية العقد ومسائل الزواج، ثم بعدها تسافرين اليه.

وتقول ربابة خانم ان السيد جلال هذا مهندس في الكامبيوتر، وانك ستكوني محظوظة في الزواج منه!

لم ارضخ لمطالب أبي وأمي.. ورفضت فكرة الزواج من رجل يعيش في الخارج بالمرّة، ولكن حياتنا أصبحت بعد ذلك مريرة فقد أصرّ أبواي على الزواج وغضبت مني امّي وقالت انها لن ترضى عني الّا اذا وافقت على الزواج، واخيراً رضيت من أجل ارضاء والديّ!

تم زواجي في طهران باجراء مراسم العقد وبحضور موكّل زوجي الذي وقع العقد بالنيابة عنه.

وبعد شهور سافرت إلى كندا، وتمنّيت إنني لم اضع قدمي في تلك الارض ولم اعرف تلك البلاد؛ لم تمرّ سوى أيام حتى انكشف كل شيء عرفت حقيقة زوجي.

لم يكن مهندساً ابداً بل انه لم يحصل على الثانوية؛ وكان يحصل على المال بطرق ملتوية وغير مشروعة.

وعرفت ايضاً ان البيت الذي رأيته في الشريط بطهران لم يكن سوى بيت لأحد أسياده.. وكانت الحقيقة انني قد تزوّجت من شاب عاطل وماكر لم يستطع أن يوفر لي حتى حياة الكفاف.

تمنّيت أن أكمل دراستي ولكن زوجي هذا وقف في طريقي سدّاً واجبرني

على العمل خادمة في بعض المنازل من أجل تغطية نفقات حياتنا ،

وكان ينهال عليّ بالضرب اذا رفضت الذهاب إلى مثل هذه الاعمال .

ما تزال يا سيادة القاضي آثار سياطه على جسمي ، وما تزال جراح سكينه التي كان يرهبني بها ، كان يقول لي عليك أن تعملي لتنفقي على نفسك والاّ فان مصيرك سيكون الموت جوعاً .

ومرّ عام قضيته في عذاب ومرارة ثم صمّمت على الفرار ، تحملت الحياة جوعاً عدّة شهور لأوفر لنفسي ثمن بطاقة السفر والعودة إلى ايران ، وهكذا فررت وها أنا يا سيادة القاضي أطلب من العدالة ان تفصل في قضيتي خاصّة وان شرط الطلاق من حقي وهو مسجّل في عقد الزواج .

وتداولت هيئة الحكم وصدر حكم الطلاق غيابياً ، اضافة إلى الحكم على الزوج بالسجن سنة اشهر وبجلده ٧٤ سوطاً بسبب اقدامه على تعذيب زوجته .

وجه القاضي نداءً إلى العوائل أن لا يرسلن بفلذات الاكباد إلى بلاد الغربة اعتماداً على صورة أو فلم لا يعكس سوى المظاهر فقط ، وشدّد على أن وشدّد أكثر الزيجات كان مصيرها الفشل ويكون مصير الفتيات الضياع[1].

* * *

---

(١) جريدة ايران العدد ١٤/٢٤٦ .

(٥٦)

المظلومة

ولج عمر بن الخطاب وهو في أيام خلافته المسجد ولمّا وضع قدمه في المحراب رأى فيه غلاماً نائماً، فلما أراد ايقاظه وجده يرتدي ثوباً ترتديه النسوة فظنه امرأة من الانصار جاءت تتهجد في الليل فغلبها النوم، فاراد ايقظاهها ولكن دون جدوى، فلما كشف عن الوجه اذا به يرى غلاماً مقتولاً يرتدي ثياب امرأة.

كانت الدماء ما تزال تقطر من رقبته، أمر عمر بوضع القتيل في زاوية من زوايا المسجد ريثما تنتهي صلاة الفجر.

وبعد الصلاة وقف عمر حائراً أمام تلك القضية واستعصى عليه أن يفهم سرّ القتل، ولم يجد بدّاً من الاستنجاد بباب مدينة العلم.

وأحيط الامام علماً بما جرى، فأمر بدفن القتيل والانتظار عدّة اشهر، وقال لعمر انه سيجد بعد تلك المدّة وليداً في المحراب يبكي.

مرّت تسعة شهور واذا بعمر وهو يدخل المسجد يسمع صوت بكاء وليد يرتفع من جهة المحراب، وجاء عمر الاطلاع الامام على ما حصل؛ فأمر الامام امرأة من الانصار بحضانته.

ومرّت تسعة شهور أخرى ولما اطلّ عيدالفطر، أمر الحاضنة باحضار الطفل، وقال الامام لعمر دعه في المصلّى فستأتي امرأة تقبله وتقول له يا مظلوم يابن المظلومة يابن الظالم فجيئوا بها إليّ.

وفعلت الحاضنة ذلك، ولم تمرّ سوى ساعة حتى جاءت فتاة حسناء رضيئة، واقسمت على الحاضنة أن تحتضن الطفل، سلّمت الحاضنة الطفل للفتاة التي راحت تمطره بقبلاتها وتقول: يا مظلوم يابن المظلومة يابن الظالم.. لكم تشبه ابني الذي خطفة الموت مني!

وأعادت الفتاة الطفل إلى حاضنته وأرادت الانصراف، أدركت الحاضنة ان هذه الفتاة هي المطلوبة، فامسكت بها.. وتوسلت الفتاة للحاضنة ان تدعها وشأنها فقالت الحاضنة: لا والله حتى آخذك لعلي بن أبي طالب.. توسّلت الفتاة وتضرّعت وقالت لا تفضحيني بين الناس ولكن الحاضنة أصرّت على موقفها.. حينئذٍ قالت الفتاة: تعالي معي إلى البيت وسأعطيك حلّتين يمانيتين وثلاثمائة درهم... فرحت الحاضنة وذهبت معها واستلمت ما وعدتها به الفتاة!

قالت الفتاة ان لك مثلها في عيدالاضحى اذا جئتيني بالصبي ووافقت الحاضنة على ذلك فرحة.

انتهت مراسم عيدالفطر وعاد الناس إلى ديارهم ورأى الامام الحاضنة فقال لها: يا عدوّة الله ماذا فعلت؟!

قالت الحاضنة الم يأت أحد.

قال الامام: بل كذبت ثم اشار إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وقال: وحق صاحب هذا القبر لقد جاءتك واعتنقت الطفل ولكنها رشتك فقبلت.

واعترفت الحاضنة بكل شيء وقالت: سأحضرها حالاً.

قال الامام: بل دعيها إلى عيدالاضحى كما وعدتيها.

اطلّ عيدالاضحى وجاءت الفتاة على وعدها، فـاعتنقت طـفلها وراحت تشمّه ثم قالت للحاضنة تعالي معي لأعطيك ما وعدتك به!

أمسكت الحاضنة بثوبها وقالت: لن ادعك حتى آخذك إلى علي بن أبـي طالب.

نظرت الفتاة إلى السماء وقالت: يا مغيث المظلومين ويا مأوى الخـائفين مالي أحد سواك.

قالت الشابة ذلك واستسلمت لارادة الحاضنة التي أخـذتها إلى الامـام، وراحت الفتاة تروي قصّتها قائلة: انا فتاة مـن الانـصار، أبـي عـامر بـن سـعد الخزرجي قتل مع رسول الله في إحدى غزواته، وفارقت امّي الحياة في خلافة أبي بكر وبقيت وحيدة ولا أنيس لي الّا نساء من جاراتنا.

ذات يوم وقد كنت في جمع من نساء المـهاجرين والانـصار إذ جـاءت عجوز وفي يدها مسبحته وتتوكأ على عصا؛ حيّتنا وسألتنا عن أسمائنا واحدة واحدة فلما جاءني الدور وسألتني قلت:

ـأسمي جميلة

ـابنة من؟

ـابنة عامر الانصاري

ـلك اب؟

ـلا!

ـلك بعل؟

ـلم اتزوّج بعد

وتظاهرت العجوز بالشفقة والرحمة وتباكت قائلة:

ـالا تريدين إمرأة تؤنسك وتخدمك؟

ـ نعم.

ـ سأعيش معك وأكون لك امّاً

وسررت لما سمعت كلامها وقلت لها:

ـ يكون البيت بيتك والأمر أمرك!

وجاءت إلى بيتي وطلبت ماءً للتوضأ، واحضرت لها خبزاً وتمراً ولبنا، ودعوتها لتناول طعامها: فلما نظرت اليه بكت فسألتها عن علّة بكائها قالت: ان طعامي كسرة خبز من شعير وقليل من الملح! ثم بكت مرّة أخرى وقالت هذا وقت صلاة لا وقت طعام دعيني أصلي العشاء!

ولمّا صلّت العشاء وجلست للمائدة طلبت، رماداً فخلطته مع الملح وتناولت ثلاث لقمات ونهضت تصلي حتى طلع الفجر.

وفي الفجر قبلتها وقلت أسألي الله ان يغفر لي فدعاؤك مستجاب.

قالت العجوز: انت بكر حسناء وأخشى عليك البقاء وحيدة كما انك تحتاجين إلى من هي في مثل سنك وأنا عندي فتاة عاقلة وتقيّة تكبرك قليلاً فان شئت أرسلتها اليك، تؤنس وحشتك.

فقلت لها: وهل هذا يحتاج إلى سؤال ؟!

غابت العجوز ساعة ثم جائت بمفردها فقلت لها: وأين اختي ؟ قالت: ان ابنتي لا تحبّ اختلاف النساء اليك فيصرفها ذلك عن العبادة.

قلت لها: اعاهدك اني لا افتح الباب لأحد ما دامت في البيت. فغابت العجوز ساعة وعادت ومعها امرأة قد غطّت وجها بنقاب، قلت لها ادخلي فلم تجبني، قلت لها لماذا لا تدخلين ؟!

اجابت العجوز: ان الفرح قد عقد لسانها.

فذهبت وأغلقت الباب ووضعت القفل. فلما عدت إلى المرأة ومددت يدي

لاكشف عن وجهها النقاب فاذا أنا أمام رجل مخضب اليدين والقدمين!

فصرخت به أن اخرج من البيت، ألا تخشى غضب عمر؟!

وأردت أن أهرب ولكن الرجل أمسك بي فكنت عصفورة في مخالب نسر، ولم يتركني حتى افتض بكارتي، ثم سقط إلى جانبي وهو سكران، فرأيت سكيناً في حزامه فأخذتها وطعنته في رقبته، وقلت: الهي أنت تعلم أن هذا الرجل قد ظلمني ودنّس عفتي، يا ربّ فاسترني مالي أحد سواك.

فلما حلّ المساء أخذت القتيل إلى المسجد ورميته في المحراب.

ومضى زمن على ذلك فشعرت بالحمل في بطني، فلما وضعت حملي اردت أن ألحقه بابيه ولكن رأيته بريئاً من كل ذنب وجريرة، فقمطته وجئت به ووضعته في المحراب.

ولما سمع عمر بن الخطاب ذلك اثنى على الامام قائلاً: اشهد اني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «انا مدينة العلم وعلي بابها»

ثم التفت إلى علي وقال: فما حكم هذه المعضلة يا أبا الحسن

قال: امّا المقتول فلا دية له فقد جاء عظيماً من الأمر وامّا المرأة فليس عليها من العقاب شيء لأنها أكرهت على الفحشاء، والتفت الامام إلى الفتاة وقال: واجبك أن تعرّفي العجوز لننزل بها حكم الله.

واستمهلت الفتاة الامام ثلاثة ايام لتأتي بالعجوز، وفي تلك المدّة أمر الامام باعادة الطفل إلى امّة، فاعتنقته وانطلقت به إلى بيتها.

وفي فجر اليوم التالي راحت الفتاة تبحث عن تلك العجوز الماكرة حتى عثرت عليها وجاءت بها إلى الامام.

قال الامام: انك لتعلمين انني ابن عم الرسول وارث علمه، فاصدقيني القول.

انكرت العجوز وقالت: انني لا أعرف هذه الفتاة؟!

قال الامام: فهل تقسمين على ذلك

قالت: نعم

أمر الامام العجوز ان تضع يدها على قبر النبي وتقسم ومرّت لحظات مثيرة اذا بوجهها يسودّ!

فأمر الامام أحدهم ان يحضر مرآة لترى ما حلّ بوجهها!

ونظر الامام إلى السماء وقال: اللهم ان كانت صادقة فيما تقول فبيض وجهها وقد ظلّ وجه العجوز مسوداً، وكانت عاقبتها أن أمر عمر برجمها خارج المدينة.

* * *

٥٧

القلادة المباركة

عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: صلّى بنا رسول الله (ﷺ) صلاة العصر فلما انتقل جلس في قبلته والناس حوله.

فبينا هم كذلك اذا اقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلل وأخلق ولا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فاقبل عليه رسول الله (ﷺ) يستحثّه الخبر فقال الشيخ: يا نبي الله! أناجائع فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فارشني!

فقال (ﷺ) أما أجد لك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه انطلق إلى حجرة فاطمة (وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله) وقال يا بلال: قم فقف به على منزل فاطمة.

فانطلق الاعرابي مع بلال، فلما وقف على باب فاطمة نادى باعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، ومختلف الملائكة ومهبط جبريل الروح الامين بالتنزيل من عند رب العالمين قالت فاطمة: عليك السلام فمن أنت؟

قال: شيخ من العرب اقبلت من ابيك السيّد البشير من شقة، وأنا يابنت

محمد (ﷺ) عاري الجسد جائع الكبد، فواسيني يرحمك الله!

وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال ورسول الله (ﷺ) ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله (ﷺ) ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين فقالت: خذ هذا ايها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير منه.

قال الاعرابي: يابنت محمد شكوت اليك الجوع فناولتني جلد ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب؟!

قال (جابر): فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبدالمطلب، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الاعرابي وقالت: خذه وبعه، فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه!

فأخذ الاعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله (ﷺ) والنبي جالس في أصحابه فقال: يا رسول الله اعطتني فاطمة هذا العقد فقالت: بعه فعسى الله أن يصنع لك:

قال (جابر): فبكى النبي (ﷺ) وقال: كيف لا يصنع الله لك وقد أعطتك فاطمة ـ بنت محمد سيّدة بنات آدم؟

فقام عمار بن ياسر (رض) فقال: يا رسول الله أتاذن لي بشراء هذا العقد؟

قال: اشتره يا عمار: فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار.

فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟

قال: بسبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية استر بها عورتي وأصلّي بها لربّي، ودينار يبلغني إلى اهلي.

وكان عمار قد باع سهمه الذي نقله رسول الله (ﷺ) من خيبر ولم يبق منه شيئاً، فقال: لك عشرون دينار ومئتا درهم هجرية وبردة يمانية، وراحلتي تبلغك

أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الاعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل!

وانطلق به عمار فوفاه ما ضمن له

وعاد الاعرابي إلى رسول الله (ﷺ) فقال له رسول الله (ﷺ):

اشبعت وكسيت؟

قال الاعرابي: نعم واستغنيت بابي أنت وأمي قال: فاجز فاطمة بصنيعها.

فقال الاعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كل الجهات، اللهم اعط فاطمة مالا عين رأت ولا اذن سمعت.

فامّن النبي على دعائه، وأقبل على أصحابه فقال: ان الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلي. وعلي بعلُها ولولا علي لما كان لفاطمة كفؤ أبداً وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما، سيّدا شباب أسباط الانبياء وسيّدا شباب أهل الجنّة.

وكان بازائه مقداد وعمار وسلمان، فقال: وأزيدكم؟

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: أتاني الروح -يعني جبريل- أنها إذا قبضت ودفنت يسألها المكان في قبرها: من ربّك؟ فتقول: الله ربّي فيقولن: فمن نبيك؟ فتقول: أبي.

فمن وليّك؟

فتقول: هذا القائم على شفير قبري.

الا وازيدكم من فضلها؟ ان الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها، وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها، وعند قبرها، وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى ابيها وبعلها ونبيها. فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي ومن زار فاطمة فكأنما زراني، ومن زار علي

ابن أبي طالب (عليه السلام) فكأنما زار فاطمة ، ومن زار الحسن والحسين فكأنـما زار علياً ، ومن زار ذرّيتهما فكأنما زارهما .

فعمد عمّار إلى العقد فطيّبه بالمسك ولفّه في بردة يمانية وكان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر ، فدفع العقد إلى المملوك وقال له : خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتـى بـه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بقول عمار .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله) انطلق إلى فاطمة فـادفع اليـها العـقد وأنت لهـا ، فـجاء المملوك بالعقد واخبرها بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذت فاطمة العـقد واعـتقت المملوك .

فضحك الغلام ؟ فقالت : ما يضحكك ياغلام؟

فقال : اضحكني عظم بركة هذا العقد ، اشبع جائعاً ، وكسى عرياناً ، واغنى فقيراً واعتق عبداً ورجع إلى ربّه[1].

* * *

(١) بحار الانوار ٤٣/٥٦.

٥٨

«ايمي سامپول»

ولدت ايمي سامپول في قرية «اينجرسيل» بالقرب من مدينة «انتاريا» في كندا، وعندما بلغت السابعة عشرة من عمرها تزوجت من واعظ سيّار وكانت ترافقه وتشاركه في نشاطاته الوعظية.

لم يكد يمرّ عامان حتى فارق زوجها الحياة، وتركها مع طفلها في الصين.

عادت الزوجة الأرملة إلى نيويورك لتتزوج من بقال شاب، ولكنها تطلقت بعد ست سنوات لتضع طفليها في عربة وتولّي وجهها شطر الغرب.

وبعد معاناة مريرة وصلت عند الغروب «لوس آنجلوس» أو مدينة الملائكة، وفي تلك المدينة حصل ما لم يكن في الحسبان.

لقد وصلت المدينة وهي لا تملك من حطام الدنيا شيئاً؛ لا صديق يعرفها ولا قريب تعرفه كل ما لديها هو مئة دولار وطفلان وعربة قديمة! ولكن لم يمض على قدومها سوى ثمانية عشر شهراً فقط حتى أصبحت المرأة الأكثر شهرة في كاليفورنيا.

وأصبحت ثروتها مليون دولار لقد اشتغلت ايمي واعظة في المدينة،

وكانت تتحدث إلى الناس عن الدين، وكان الناس يجتمعون اليها وقد بلغ من الرخام في بعض الأحيان أن تتخذ الشرطة تدابير أمنية.

لم تشهد «مدينة الملائكة» في عمرها إمرأة كهذه، فلم تمض سنة حتى بنى انصار الراهبة ايمي معبد انجلوس بقيمة مليون ونصف دولار وتم اهدائه اليها، وفوّضت إدارته كما تشاء.

أصبح المعبد مشهوراً وبلغت شهرته ان أضحى قبلة لآمال الناس وقد وهب الله ايمي قدرة على الوعظ في بيان يأخذ بالالباب.

وفي يوم ٢٨ حزيران من سنة ١٩٢٨ ذهبت الراهبة ايميي إلى شواطىء المحيط لتسبح في المياه وتستحم، ولم تمض سوى مدّة قليلة حتى اختفت بين الامواج.

وانتشر النبأ في كل انحاء كاليفورنيا وكان صداه مدوّياً، فقد هرع الناس إلى الشواطىء واضرموا النار، وعلا البكاء وكان الجميع يصلّي ويتضرع إلى الله، واستمرت المآتم مدّة ثلاثين يوماً وليلة.

وانطلق الصيادون للبحث عن الجسد في المياه، وكانت الطائرات تحلّق هي الأخرى فوق المحيط وعانق أحد الغواصين الموت في اثناء رحلة للبحث، فيما اقدمت فتاة شابة على الانتحار.

لم يشهد تاريخ أميركا امرأة بهذه البساطة نالت من الشهرة وأصبحت رمزاً للناس وموضعاً لحبّهم وتقديرهم.

* * *

٥٩

الملاك الذي رحل!

ولدت قبل عشرين سنة في أسرة ثرية ومع الاسف غير متديّنة، لا تؤمن بالدين، فتحت عيني لأجد نفسي في رفاهية من العيش فكل شيء متوفّر ولم اكن اطمح لشيء لا أستطيع تحقيقه.

وكبرت لأجد أمامي طرقاً عديدة للتسلية واللعب والحياة، ولقد كنت حرّة بحيث كنت اقيم علاقات صداقة مع أيّ أحد فكانت لي علاقات مع الاولاد.

ولم يكن أبواي يمانعان في مثل هذه الصداقات بل كانا يعلّماني وعلى حدّ قولهما آداب المعاشرة.

عندما دخلت الثانوية بدأ فصل جديد في حياتي، اقمت علاقة خاصّة مع إحدى زميلاتي.

كنت ذات يوم وحدي في الصف ولم يكن معي أحد سواها كان ذلك في مطلع السنة الدراسية.. كنت انتظر جرس المدرسة عندما شعرت بيد على كتفي.. التفت فاذا هي تقدّم لي قطعة بسكويت تناولتها بشوق وهكذا كانت بداية الصداقة.

كانت ليلى فتاة طيّبة مؤدبة، ومجتهدة في دروسها وكانت مؤمنة بكل معنى الكلمة، وكانت في رأيي مثلاً أعلى بسببَ ما اجتمع في شخصيتها من الصفات.

ولهذا اطلقت عليها لقب «الملاك» كانت طاهرة الثوب، تشع نفسها بالقيم الاخلاقية، في بيئة كانت تعتبرني مثلاً أعلى في الحياة السعيدة المرفهة!

لم يخطر في بالي انني أستطيع أن اقيم علاقة حميمة مع هكذا فتاة، وقد شعرت وقتها أن خيطاً خفياً يشدّني اليها وكانت علاقتنا تشتدّ يوماً بعد آخر، حتى وصل بي الأمر أن يكون هو في حضوري في المدرسة هو من أجل لقاء ليلى.. لقد أصحبت كل حياتي.

لقد حلّت ليلى في أجمل رؤاي، وبدل أن اقلّد موضة اليوم رحت اقلّد ليلى، ادركت معنى الحياة من خلالها وعرفت الله معها، وأضاءت قلبي كلماتها، حتى راحت أسرتي تشعر بالقلق، كانت تخشى علي الخروج على معاييرها.

لقد أعادت اليّ صداقتي حبي للدراسة والمدرسة فتقدّمت كثيراً.. فكنت وبمساعده ليلى أحصل على المرتبة الثانية طبعاً بعد ليلى التي كانت تحتل المرتبة الأولى دائماً.

وهكذا استمر الحال كانت العطلة الصيفية وحدها تفرّق بيننا إلى حدّ ما.

وكان علي أن اتجرّع كل مرارات ما تخططه أسرتي من برامج لامضاء ايام العطلة الطويلة حتى يعود الخريف لالتقي ليلاي.

عندما اجتزت السنة الثالثة من الثانوية وجاء موسم العطلة الصيفية كنت قد وضعت لنفسي برنامجاً خاصّاً لامضاء ايامها وفي تلك الفترة دفعني القدر في مواجهة شابّ كان يلاحقني ويظهر لي ودّه واعتبرني حلمه ومستقبله وكل حياته!

لم اكترث في بداية الأمر وكنت أؤمن أن هكذا علاقة لا يمكن ان تولد في الشارع والزقاق!

ولكن ابتعادي عن ليلى أوقعني في وحده مطلقة، ولم يكن لدي من ابثّه همومي وأسراري أو يمدّ لي يد العون.

وهكذا تضافرت العوامل لأسقط فيما يبدو في حبائل الشيطان.

بدأت أصغي لوساوسه بالرغم من محاولتي المقاومة، ولكن عقائدي التي رسختها ليلى في أعماقي بدأت تهتز بشدّة.

كنت اشعر بالوحدة والبعد عن أسرتي وكان. كوروش. يمثل علي دور الفارس المنقذ.. لقد وقعت أسيرة لكلماته العذبة ووعوده المعسولة.

وهكذا بدأت قصّتي.. وكنت انتظر حلول الخريف لالتقي ليلى.

وجاء موسم الدراسة والتقيت ليلى وحدّثتها بماحصل، وفوجئت ليلى وظننت انني امزح معها، وكانت تعتقد ان بناءً كهذا سينهار، لأنه أساسه اعوج وهشّ.

ولكني كما قلت قد وقعت أسيرة بيد مخادع ماكر، لقد كان ثرياً الجمتني هداياه الوفيرة ووعوده الكثيرة، وخطبني بعد انهائي الثانوية وتمّت زيجتنا.

كان كوروش قد وعدني باستكمال دراستي في امريكا وأنه لا جدوى من انتظار نتائج الكونكور لدخول الجامعة.

كانت ليلى حزينة من أجلي.. وأعلنت مرّة ان زواجاً يولد في الشارع لن تكون له نتائج طيّبة.

بعد ثلاثة شهور تحدّد موعد سفرنا إلى امريكا وودعتني ليلى في المطار وزفّت اليّ بشرى دخولها كلّية طب الاسنان ووعدتها أن ادرس الطب في امريكا وأننا سنلتقي مرّة أخرى.. قالت ليلى وهي تشدّ علي يدي: اتمنّى لك النجاح.

بعد أيام غادرت تركيا نحو امريكا واستأجرنا شقة في إحدى المدن الاميركية، وبدأنا حياة اللذة، وكان كوروش يبذر ميراثه من المال.

أصبحت حياتنا اياماً متصلة من السفر والتجوال هنا وهناك وكـان يـردد يجب أن نعيش شهر العسل ونستمتع بكل لحظاته ولا نفكر باي شيء آخر.

مرّت على ذلك اربعة اشهر بعدها أصبح كل شيء بالنسبة لي عادياً السفرات الحياة العابثة الفارغة من كل شيء حقيقي.

واستيقظت على قلق كوروش ان نقوده على وشك أن تنفد وراح يشجعني على الرقص في الحانات والمراقص فهو على كل حال فن ثم انه يمكن أن يفتح لنا مصدراً للمال نستمر من خلاله في استمرار حياتنا العابثة.

وانتبهت على حقيقة مرّة، فهذا الشاب الذي بنى لي بكلماته المعسولة قصراً خيالياً من السعادة ليس سوى انسان فاشل أخفق في دراسته في ايران فجاء إلى اميركا وأراد أن يجرّ معه انساناً آخر إلى حياته الفاشلة تلك.

وحاولت ان اثنيه عن طريقه ولكنه كان جامحاً، وتعيّن عـلي أن أصـبح جليسة البيت وانتظر قدومه بعد منتصف الليل سكران لا يعي بوجودي أبداً يمضي الليل ثم يعاود خروجه بعد ظهر اليوم التالي.

وجعلتني الوحدة أن افكر بمصيري بذكرياتي التـي خـلّفتها ورائـي فـي الطريق. تذكرت ليلى كلماتها نصائحها، وأدركت حينئذٍ الهاوية التي انزلقت فيها إلى القرار.

وشاء القدر أن التقي احد الايرانيين وكان يعرف تماماً من هو كـوروش، واتخذت قراري: يجب أن أعود إلى ايران.

وذات ليلة وعندما كان كوروش غارقاً في سكره غادرت قصر احـلامي المزيف باتجاه كندا وهناك وبمعونة من السـفارة الايـرانـية عـدت إلى ايـران، ولأتقدّم فوراً بطلب الطلاق.

وقد كنت أعيش أزمة روحية مدمّرة لم تخمدها الاقراص المهدّئة وكـان

أول من فكرت بالاتصال به هو ملاكي الوحيد ليلى ؛ لقد كنت في حاجة إلى القلب الذي يصغي إلى همومي وما تضطرم به روحي المعذبة .

ورفعت سماعة الهاتف ليرنّ الجرس في منزل ليلى وكـان عـلى الطـرف الأخر أمها وسألت عن ليلى وجاء الجواب مخنوقاً :

ـ لقد سافرت ، تعالي ... تعالي إلى بيتنا يا ابنتي .

لقد كنت في شوق لاسمع عن ليلى ولهذا وجدت نفسي في الحافلة تشق طريقها إلى منزلها .

وعانقت دون وعي أمها وتركت رأسي يستريح على صدرها ، واجتاحتني رغبة بالبكاء ، فبكيت وانهمرت الدموع تذيب ما تراكم من غيوم على قلبي .

كنا نبكي معاً ، لقد كنا نبكي من أجل ليلى دون اشعر ..

وسألت عن ليلى قالت الام وهي بعد لم تقطع بكاءها لقد سافرت يا ابنتي ولن تعود .

ولمحت صورتها صورة ليلى في اطار على المنضدة وشريط أسـود فـي الزاوية اليمنى .

وصدمتني المفاجأة ، وسقطت على الأرض لا أعي شيئاً حولي .

لا ادري كم مضى من الوقت عندما فتحت عيني لأرى والدة ليلى تذرف الدموع وتتمتم : يا رب لا تفجع الامهات بفقد افلاذ اكبادها .. تعالي يا ليلى تعالي بثياب عرسك لقد جاءت صديقتك للقائك .

وروت الأم المفجوعة الحكاية .

لقد تزوجت ليلى قبل شهر ، وعندما سافرا لقضاء شهر العسل لقيا مصرعهما في حادث سيّارة .

وفي اليوم التالي انطلقت إلى مقبرة بهشت زهراء .

وضعت باقة ورد عى رخامة منقوش عليها بيت شعر رقيق ورتشت مـاء الورد على القبر بعد أن غسلته بالماء الذي مزجته بدموعي.

وجلست اتحدّث مع المزار الابدي لعروسين لم يخلعا بعد ثياب العروس البيضاء ومرّت أمام خاطري كل الذكريات يوم كنت في المدرسة.

ما يزال صدى كلماتها يدوّي في اعماقي.

ونهضت أجرجر حطامي وأفكر فـي المـلاك الذي رحـل وهـو فـي أوج سعادته.. كانت ليلى مثالاً في الطهر والبساطة.. رحلت إلى بارئها نـقية الثـوب مفعمة بالصفاء كقطرة نذى..

امّا أنا المثقلة بالخطايا.. الاسيرة في قصر الأماني الكاذبة.. إلى من اشكو همومي؟ أين ليلى؟..

من أجل هذا اذهب كل خميس إلى مقبرة بهشت زهراء للقاء الملاك الذي رحل[1].

* * *

(١) جريدة كيهان العدد ١٥٢٢٤٦ ٧٣/١٠/٨ بالاستناد إلى مذكرات سوزان ـ ف.

٦٠

الغادرة

حكي ان احد العيّارين كان يقوم بمفرده بسلب القوافل والغارة على أموال السلطان، وقتل بعض قادته، وكان السلطان فرصد له من يقتله ولكن دون جدوى.

وشاء القدر ان يقع اللص في قبضة سلطانه فقال له:

أيها اللص الحقير كم سفكت من الدماء وقتلت الابرياء؟ الآن سآمر بشنقك.

وتم شنقه وأمر السلطان بعض الحرّاس بمراقبة المكان والمبيت فيه حتى لا يأتي من يأخذ جثمانه.

وذات ليلة وكان رئيس الحرس قد ذهب في عمل له فلما عاد لم يجد الجسد؛ فخاف انتقام السلطان فذهب إلى المقبرة علّه يجد قبراً حديثاً فينبشه، فرأى من بعيد نوراً يومض بين القبور، فذهب باتجاه النور فرأى فتاة حسناء وكان وجهها يتألق كالقمر وقد جلست عند القبر.

قال الرجل مشدوهاً بجمالها: ايتها الفاتنة هذا ليس بمكان تجلسين فيه.

قالت الفتاة انه قبر زوجي وكان بي رحيماً ولي محبّاً، وشاء القدر أن يختطفه مني،

وتركني أعيش لوعة الفراق فجئت أسقي قبره بدموع الوفاء.

قال الرجل: هذا عمل غير العقلاء، لقد خلق الله النكاح وجعله سنّة بين الرجال والنساء، فاذا غاب زوج المرأة حلّ لها الزواج من غيره.. وأنت بهذا الحسن والفتنة تجدين من يعشقك ويتزوّجك، بل انه يصبح أسيراً بين يديك لا يفكر الاّ في رضاك.

أصغت الفتاة لكلماته ولان قلبها، فنهضت من القبر وسارت مع الرجل الذي عرض عليها الزواج.

توقف الرجل مهموماً فقالت الفتاة: مالي أراك مغتماً لعلك ندمت على الزواج مني؟

قال الرجل: كلا ولكن.. انني أخشى السلطان...

وراح الرجل يقصّ عليها حكايته مع الجسد المسروق.

قالت الفتاة: لا ارى لك الاّ ان تنبش قبر زوجي فقد دفنّاه اليوم فتجعله مكان المشنوق.

فبادر الرجل إلى ذلك وأخرج جسد الرجل الميت، فلما رأى رئيس الحراس وجهه قال بأسف: ولكن هذا عنده لحيه والمشنوق حليق الذقن.

قالت الفتاة: ليس هناك ما هو أسهل من هذا قالت ذلك وراحت تنتف لحية زوجها الميّت.

وأخذ رئيس الحراس الجسد فشنقه مكان اللص وتزوّج من الفتاة وعاش معها مدّة من الزمن، ولمّا مرض الرجل وأشرف على الموت كتب في وصيّته ان تتزوج امرأته بعد وفاته وأن لا تعتكف على قبره ولا تنبشه ولا تنتف لحيته[1].

---

(١) جوامع الحكايات / ٢٤٠ بتصرف.

(٦١)

كانت تنشد السعادة

تزوّجت ولكنها أصيبت بخيبة أمل بسبب نزاعها مع زوجـها، فـحاصرها شعور بانها لن تكون سعيدة مادامت تعيش إلى جانبه، وقد كتبت ذلك إلى والدها تستشيره فلعلّها تستعيد شعورها بالسعادة المفقودة.

وهذه القصّة رسالة جوابية بعثها الأب إلى ابنته لكأنها مرسلة إلى كل الفتيات اللائي انتقلن إلى بيت الزوجية او اللاتي هن في الطريق:

ابنتي العزيزة! تسلمت رسالتك صباح اليـوم.. كـتبت اليّ انك لم تـعودي سعيدة إلى جانب زوجك. ولعلّ زوجك هو الآخر لديه ذات الشـعور ولعـلكما وصلتما معاً هذه النتيجة! وهي: أن الطلاق قد بات الطريق الوحيد الذي يخلصكما من هذا المأزق.

انني اشعر بالفرحة لأنكما تذكرتما ان لكما اباً قد وضع كفيكما الواحدة في الأخرى قبل خمسة اعوام.

نعم انني اتذكر قسمكما قبل خمس سنوات انكما لن تفترقا حتى الموت وانكما ستبقيان صديقين، وها انتما تريدان الآن أن تنكثا ذلك الميثاق المقدّس! لماذا؟

ذلك أنكما تفتقدان الشجاعة والتسامح اللازمين في استمرار الحياة الزوجية.

تقولان انكما لم تعودا سعيدين تحت سقف واحد، هل تظنان ان الانفصال سوف يعيد لكما السعادة المفقودة ؟!

هل تظنّان ان الانسان يمكنه الحصول على السعادة كاملة في هذا العالم ؟

هل ما زلتما تفكّران بطريقة ساذجة الم تتعلما بعد هذه الحقيقة البسيطة ؟

وهي أن الحياة الزوجية لابد وأن تواجه حالةٍ من الاختلاق في وجهات النظر، وان النزاع أمر حتمي ؟

ابنتي ! ان الاختلاف سوف يرافق حياتكما الزوجية ليس لخمس سنوات فحسب بل إلى آخر العمر، وان ما يتغيّر فقط هل نوع الاختلاف.

انكما لن تستطيعان حل مشكلاتكما في حياتكما الزوجية في يوم واحد.

ثم لنفترض انكما تمكنتما من حل تلك المشكلات فماذا ستكون النتيجة ؟

حياة زوجية رتيبة ومملّة، يعيشها غريبان متشابهان، فالغرباء وحدهم الذين لا يختلفون ولا يتنازعون !

ان علاقاتك مع زوجك اذا ما وصلت إلى حافة الطلاق، فمعنى هذا انه تقصيركما معاً.

ذلك انكما تريدان السعادة لكما وحدكما فقط، لانكما تفكران في انفسكما فقط تريدان من الشيء ان يكون لكما خالصاً. لا تريدان ان تمنحا بعضكما البعض.

ان السعادة الحقيقية تحصل عندما يفكر كل واحد منكما ان يبذل ما في وسعه لاسعاد الآخر.

انتما مع الاسف تنتميان إلى الجيل الذي اعتاد التفكير بتحقيق كل ما تصبو

اليه نفسه، وعندما تجري الرياح بما لا تشتهي السفن فـانه يـصاب بـالاحباط ويرفض الحياة.

وفي رأيي ان هذا اللون من التفكير، هو مرض روحـي شـائع فـي هـذا العصر.. وهو مرض خطير، والأخطر من ذلك ان تفكر فتيات وفتيان هذا الزمان بهذه الطريقة:

«اننا نسعى إلى الاتفاق في الحياة الزوجية فاذا اخفقنا فالحل هو الطلاق!»

لماذا الاخفاق؟ لماذا العجز، لماذا هذا الشعور بالفشل في أول مواجهة؟

اذا فشل الزوجان في الاتفاق اذا عجزا عن احتمال احدهما الآخر فكيف سيكون موقفهما يا ترى في علاقاتهما الاجتماعية؟!

ابنتي! هل تتصوّرين ان الناس يتحدّثون عن الطلاق بهذه البسـاطة قـبل أربعين أو ثلاثين سـنة؟!، هـل كـانت الأسـر فـي ذلك الزمـان تـعيش حـالة اللااختلاف؟ اجل كانت الحياة الزوجية وما تزال ترافقها الاختلافات.

ولكن الناس قبل اربعين سنة وعـندما يـحتدم الاخـتلاف فـي حـياتهما الزوجية لا يذهبون إلى محاكم الطلاق.

الناس قبل جيل يعتقدون ان الزواج ميثاق مـقدّس، وان الاخـلال بـهذا الميثاق يعدّ ذنباً كبيراً، ذنباً أمام الله والمجتمع الانساني والاطفال.

انني اوافقك على وجود قطيعة كاملة قد تحصل بين الزوج الزوجة يتعذر عندها الاتفاق والوئام؛ وفي هذه الحالة يمكن القول ان الزيجة قد نهضت أساساً على أساس واه، ولكن ما يخصّ الحالة التي تعيشانها لم تصل إلى هذه الدرجـة المتردّية، ذلك انني متأكّد من حبكما ذات يوم.

كتبت اليّ انكما تودّان لقائي واستشارتي، حسـناً انـني فـي انـتظاركما الاسبوع القادم ولكن بشرط: هو أن تعيشا هذه التجربة اليّ ساشرحها لكما، لقد

انقذت هذه التجربة زيجات شابّة من هاوية الطلاق .

اريد منكما وفي غضون الايام الستة القادمة ان تمنحاني نصف ساعة من وقتكما ، وبالطبع ليس هذا بالشيء اليسير انها تجربة مرّة ولكن اطلب منكما القيام بهما ليس من اجلكما فقط بل من أجل اطفالكما .

انني متأكد انكما ستكتشفان معاً واقع الحياة وستدركان ان انفصالكما سيفجعكم جميعاً انتم ايها الاشخاص الخمسة .

اريد منكما اليوم ان تحضرا ساعة ذات جرس وتضعاها عى رفّ يتسنّى لكما رؤيتها معاً وأنتما في خلوة داخل الحجرة ، ليكن في الحجرة كرسيّان متقابلان تجلسان عليه، نظما الوقت بحيث يدق الجرس بعد نصف ساعة والآن نبدأ التجربة .

نقسم النصف ساعة إلى دقائق ، نخصص الدقائق الخمس الأولى للتفكير في المستقبل ، يجب أن تجري عملية التفكير في صمت كامل : والآن يسأل كل منكما نفسه : كيف ستكون حياتي بعد الانفصال ؟

انني اعرف تماماً الجواب : ان الرجل بعد ان يفارق زوجته سوف لن يخسرها وحدها فقط بل أنه سوف يخسر أسرته ككيان ، سوف يخسر شعوره بالاستقرار شعوره بالأمن والطمأنينة والحب الاطفال وبعبارة واحدة كل الاشياء الجميلة ، سيخسر احترام اطفاله ايضاً .

وسيخسر الرجل ـ اموالاً طائلة ، لأن الرجل العازب ينفق في حياته اليومية اكثر مما لو كانت له زوجة وسيهتز اعتباره الاجتماعي كذلك ، فالمجتمع ـ وهذه صفة طيّبة ـ لا ينظر بعين الرضا للرجل المطلق وحينئذٍ سيفقد الرجل كثيراً من أصدقائه وستقف الغالبية إلى جانب المرأة !

اما المرأة اذا ما انفصلت عن زوجها فان الأمر سيتخذ شكل الكارثة لأن

المرأة اكثر حساسية ازاء هذه المشكلة ستكون اكثر حزناً واعظم همّاً

فقد يستطيع الرجل أن يسلّي نفسه بالعمل الاداري والسفر ولكن المرأة عادة لا تتوفر لها مثل هذه الوسائل.

كما أن المرأة ومهما كان عدد اطفالها قليلاً فان أملها في الزواج الثاني هو الآخر سيكون ضعيفاً.

واذن يمكن القول ان الطلاق بالنسبة للمرأة سيكون نهايتها تقريباً.

والآن لنترك الدقائق الخمس الأخرى للمحاكمة الوجدانية: لنسعى في هذه المدّة إلى نسيان الطرف الآخر، واجراء محاكمة ذاتية لنسأل أنفسنا: هل أنا بريء تماماً؟

ألم أحاول تضخيم عيوب شريكي في الحياة الزوجية؟ الم أكن أنانياً أو أنانية؟

واذا كان لدينا فكرة الزواج الآخر فهل أكون اكثر سعادة؟

ومن اين لي هذا الضمان؟

وهل يمكنني الحصول على الأفضل؟

وهل سيضمن الزواج الثاني مستقبل الاطفال ووضعهم النفسي والروحي؟

والآن جاء الدور للدقائق الخمس الثالثة، وهي مختصة بالاطفال، لنفكر الآن بهم وحدهم، انتما ايضاً من الذين يعتقدون انه من الافضل ان يخسر الاطفال أحد والديهم من أن ينشأوا في بيت يسوده الاختلاف والنزاع الزوجي!

وربما تتوهمان بان الاطفال يتألمون اقل في حالة الطلاق ويفضلون ذلك على بيت يعكّر صفوه الشجار بين الوالدين.

انني اتصوّر ان هذا الاتجاه من التفكير خاطىء؛ ويجانب الواقع، انني اعتقد ان البيت الذي يخلو من أحد الوالدين لهو أسوأ بكثير من البيت الذي يسوده الاختلاف.

ابنتي: انني اتصوّر انك كامرأة تتحملين مسؤوليه أكثر في الحؤول دون الانفصال والطلاق، ان امّك تشاطرني هذا الرأي وتقول: «ان مسؤولية النساء هي صيانة الاسرة وحفظ استقرارها، وان على المرأة ان تجعل من البيت واحة استقرار في هذه الحياة المليئة بالمتاعب».

فهذا العالم الذي نشهد فيه سبّاقاً للمرأة مع الرجل في كل الحرف والوظائف وكل حقول العمل والحياة، في مثل هذا العالم فان امّك ما تزال تعتقد أن اعظم وظيفة للمرأة هو الزواج وإدارة الاسرة وحمايتها وتوفير الأمن لاعضائها.

والآن نترك الدقائق الخمس الرابعة لحالة من الصمت العميق العميق ولنردّد في اعماقنا بقوّة: «الحبّ الحقيقي لا يعرف الاندثار.. الحب الحقيقي هو اجمل واقدس علاقة تربط بين انسانين، الحبّ الحقيقي يتحمل كل شيء.. أجل يتحمل كل شيء»!

انني متأكّد انكما ستكتشفان عيوبكما، وستكتشفان معاً مواقع الخلل في حياتكما المشتركة.

والآن حان وقت الدقائق الخمس الخامسة، ولنخصصها في إجراء لعبة حلوة وشاعرية وقد أسميتها «تذكر.. والآن ليسع كل منكما في أن يتذكر اللحظات الحلوة والجميلة الي مرّت في حياتكما المشتركة، بعدها على كل منكما أن يكون شهماً في استعادتها وتذكير صاحبه بها.

طبعاً من المستحيل ان تخلو حياتكما من الذكريات الحلوة ومن لحظات فرح عشتماها معاً.

ومن المؤكد ان استعادة تلك الذكريات سوف يثبت قدرتكما على صنع الحياة المفعمة بلحظات الفرح.

والآن جاء الدور للدقائق الخمس الاخيرة.

انظرا إلى السماء توجهاً إلى الله بقلبيكما بثّاه همومكما ، ان احساسكما بالله وسوف يخفف عنكما الهموم سيضيء قلبيكما .

اطلب منكما أن تهتفا من كل وجودكما وبكل صدق .

تساءلا عن السبب الذي يكمن وراء برودة البيت العائلي ، وعن مسؤوليتكما عمّا حصل .

ابنتي ! انني واثق ان هذه التجربة سوف تردم الهوّة التي تفصل بينكما .

ومع كل هذا اذا رأيتما ان من الضروري ان تأتيا اليّ فأنا أعلن استعدادي في استقبالكما وسأعمل على لقاء يضمّ بدفء يديكما وقلبيكما[1].

* * *

(١) «احبك يا أبي» / ٣١٠.

(٦٢)

شجاعة امرأة دارمية

حج معاوية سنة من سنيه فسأل عن امرأة يقال لها الدارمية الحجونية ـ كانت امرأة سوداء كثيرة اللحم ـ فأخبر بسلامتها فبعث اليها فجيء بها، فقال لها: كيف حالك يا ابنة حام[1]؟

قالت بخير وليست لحام، انما أنا امرأة من قريش من بني كنانة تمت من بني ابيك.

قال: صدقت «هل تعلمين لم بعثت اليك؟

قالت: لا، يا سبحان الله وانّى لي نعلم ما لم اعلم؟!

قال: بعثت اليك أن أسألك علام أحببت علياً وابغضتني؟ وعلام واليتيه وعاديتني؟

قالت: أو تعفيني من ذلك؟

قال: لا اعفيك، ولذلك دعوتك.

---

(١) حام بن نوح واليه تنسب احدى السلالات البشرية وهو تقال لمن لا يعرف نسبه أو الحط من شأنه.

قالت: فامّا إذا ابيت فاني احببت علياً على عدله في الرعية وقسمه بالسويّة، وابغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله (ﷺ) من الولاية وحب المساكين واعظامه أهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا.

قال: صدقت، فلذلك انتفخ بطنك، وكبر ثديك وعظمت عجيزتك.

قالت: يا هذا بهند[1] ـ والله ـ يضرب المثل لا أنا.

قال معاوية: يا هذه لا تغضبي فإنا لم نقل الّا خيرا، انه ان انتفخ بطن المرأة ثمّ خلق ولدها واذا كبر ثديها، حسن غذاء ولدها، واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها، فرجعت المرأة فقال لها: هل رأيت عليّاً؟

قالت: إي والله لقد رأيته.

قال: وكيف رأيته.

قالت: لم ينفخه الملك، ولم تصقله النعمة[2].

قال: فهل سمعت كلامه؟

قالت: نعم.

قال: فكيف سمعته؟

قالت: كان والله كلامه يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صداء الطست.

قال: صدقت، هل لك من حاجة.

قالت: وتفعل إذا سألت؟

قال: نعم.

---

(١) أم معاوية.

(٢) أي ظل على بساطته في العيش.

قالت: تعطيني مئة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها.

قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: أغذو بها الصغار، واستحني بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين عشائر العرب.

قال: فإن أنا أعطيتك هذا احلّ منك محل علي بن أبي طالب؟

قالت: يا سبحان الله! أو دونه أو دونه فقال معاوية: اما والله لو كان علياً ما اعطاك شيئاً.

قالت: اي والله ولا برّة واحدة من مال المسلمين يعطيني[1].

* * *

(١) بلاغات النساء لابن طيفور.

٦٣

طلاق وزواج

تزوّج عبدالملك بن مروان أم البهاء بنت عبدالله بن جعفر فقالت له يوماً: لو استكت[١].

قال: امامنك فاستاك، فطلقها

فتزوجت علي بن عبدالله بن عباس وكان اقرع، فكانت القلنسوة لا تفارقه، فوجّه عبدالملك جارية وقال لها: اكشفي رأسه بين يديها ففعلت الجارية ذلك فقالت (ام البهاء): قولي له (اي لعبدالملك): هاشمي أصلع أحبّ اليّ من أموي أبخر.

فابلغنه فقال (عبدالملك): ويلي عليها لو علمت لم أطلقها[٢].

* * *

(١) كان عبدالملك أبخر (رائحة كريهة تخرج من الفم).

(٢) بلاغات النساء: ١٠٥.

٦٤

جيران

كانت جيران فتاة شجاعة وحسناء، من «إيل قاجار» في مازندران. خطبها من أبيها شاب يدعى محمد حسن خان قاجار رئيس طائفة «اشاقه باش» وكان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة وتم الزواج في مراسم واحتفالات مشهودة.

وكانت طائفة «اشاقه باش» يسكنون بحسب طبيعتهم صحراء تركمن بالقرب من نهر «اترك».

مرّ عام على الزواج وحملت جيران، وذات يوم عاد محمد حسن خان من سفر له كان متعباً جداً تناول طعامه وأخلد للنوم ولكنه هبّ من نومه بعد ساعة على انّات زوجته جيران، وادرك ان زوجته تعيش ساعات المخاض.

لم تكد الشمس لتشرق بعد حتى ولدت جيران صبياً سمّياه محمداً.

وأولم الأب ودعا كبار رجال الطائفة التي يرأسها، ولمّا انتهى القوم من تناول الطعام وانصرفوا إلى مضاربهم تجمّعت في السماء الغيوم وبدأت الامطار تهطل بعد منتصف الليل حتى غروب اليوم التالي.

وبسبب غزارة الامطار طغت المياه في نهر اترك، وفي فروعه، وبدأ السيل يجتاح الصحراء.

من أجل هذا قرر محمد حسن خان ـ ومن أجل توفير مكان هادىء لزوجته المجهدة ولابنه الوليد ـ ارسالهما إلى «استراباد» في «گرگان».

لهذا هيأ لها «تختاً» وأمر بعض فرسان اشاقه باش، بمرافقتها إلى تلك الديار في بيت «سيد مفيد» وهو أحد معارفه ريثما ينظر في الأمر فيما بعد.

وحلّت جيران وابنها ضيفة في منزل «سيد مفيد» الذي استقبلها بحرارة وهيأ لها مستلزمات الراحة.

كان حاكم استراباد رجلاً يدين بالولاء لناصر الدين شاه، ولم تكن للملك علاقات طيّبة مع طائفة اشاقة باش ولذا اوصى محمد حسن خان زوجته بعدم لقاء الناس لان الحاكم سوف تذهب به الظنون في وجود دسيسه أو مؤامرة تدبّرها الطائفة.

وهكذا ودّع محمد حسن خان زوجته جيران، وعاد إلى مواجهة السيول التي اجتاحت مضاربهم وتهدّدهم بالفناء.

حلّت جيران ضيفة في «استراباد» وسرعان ما انتشر الخبر عرف الناس ذلك من ابهة المركب الذي جاء بها من تلك الديار.

وتناهت الاخبار إلى «سبز علي بيك» حاكم الديار فارسل إلى سيّد مفيد يسأله عن هويّه ضيفه.

وأجاب المضيف انها زوجة محمد حسن خان وزعيم طائفة اشاقه باش اجتاحت ارضهم السيول، فارسل زوجته التي انجبت حديثا إلى استراباد حتى تنحسر عن ارضهم مياه السيل.

ارسل حاكم استراباد نسوة من أسرته للقاء جيران، فاستقبلتهم على احسن وجه. ولمّا عادت النسوة إلى الحاكم كن يلهجن بالثناء على حسن جيران وأدبها.

وأراد الحاكم رؤيتها، فانتهز مجيء جيران لردّ الزيارة، وعندما وقعت عيناه على جيران لم ير حسناً كهذا.

كان جمالها من النوع الذي يبهر الانسان ، انه لم ير امرأة بهذا الجمال من قبل ، واشتعلت في قلبه رغبة في امتلاكها من أجل هذا راح يخطط للحؤول دون مجيء محمد حسن خان إلى استراباد : لأنه في هذه الحالة سوف لن يحصل على مراده .

وكانت أول مكائده انه ارسل امرأة عجوز تدعى زبيدة لخداع جيران .

جاءت العجوز وراحت تحوك شباكها قالت : لجيران : يالحظك العاثر وانت بهذا الجمال والحسن كيف تعيشين وحدك ؟ ان زوجك لا يفكر فيك ، ولو كان بحبّك ما تركك كل هذه المدّة !

قالت جيران بحزم : ان زوجي يحبّني ولكنه زعيم لقبيلة كبيرة وقد طغى النهر وجرفت السيول مضاربنا ؛ فارسلني إلى هنا وسوف يأتي ليصطحبني في أول فرصة .

قالت العجوز الشمطاء وقد عجزت عن التلميح فعمدت إلى التصريح : ان حاكم استراباد له رغبة فيك فما هو رأيك يا جيران ؟

قالت جيران بغضب : كيف تقولين ذلك لامرأة في مثل سن حفيدتك .

قالت ذلك ثم أمرت الخدم بطردها .

صرخت العجوز واستغاثت ، وجاء سيّد مفيد ليستطلع ما حدث ولمّا علم بمكائد حاكم المدينة قال لجيران : ان هذا الرجل لا يتورع عن فعل كل شيء في الحصول على مراده ، ونصيحتي لك أن تعودي إلى قبيلتك بسرعة .

وهيّأ سيد مفيد مستلزمات السفر وشاع الخبر في استراباد وعندما علم سبز علي بيك عزم على خطفها في طريق العودة .

لهذا أمر بعض جلاوزته بان يرتدوا زي رجال التركمن وأن يتنقبوا ويقطعوا الطريق على جيران واختطافها !

كانت الخطة أن يهاجم أربعة من التركمن المزيّفين الركب وعندما يشاهد الرجال الموكّولون بحراسة جيران ذلك فانهم سيفرّون وستبقى النسوة الخادمات فقط وعندها سوف تسقط جيران في قبضتهم.

كان حدس الحاكم في محلّه فعندما هاجم جلاوزة الحاكم الركب. فـرّ الرجال فهناك رعب قديم في نفوسهم من رجال التركمن الاشدّاء سوف يقتلونهم بلا رحمة.

كانت جيران مسلحة ببندقية علّقتها قرب الرج، وكان القربوس يـختلف تصميمه وليس معدّاً لاشتباك الفرسان في القتال.

وضعت جيران غدّارتها في حزامها واستوت على فرسها وحملت رضيعها بعد ان شدّته بالشادور ليكون قريبا منها عندما يحين وقت الرضاع.

سارت القافلة منذ الفجر وحتى الظهر، حتى وصلوا نهراً تحفه شـجيرات الطرفاء.

فطحّوا حطّ الركب رحله في المكان لتناول طعام الغداء والاستراحة.

جلست النسوة عند جيران وتناولن طعامهن، وأرضـعت جـيران طـفلها وهوّمت عيناه بالنوم.

مضت ساعة وقال أحد الرجال: يجب أن نستأنف السـير، وتـهيأ الركب للسير.

حتى اذا وصلوا سهلاً فسيحاً يتوسطه طريق القوافل ثار في الصحراء غبار كثيف، وخاف الرجال.

من بعيد لاح «التركمن» وصاح رئيس الركب: انهم رجال التـركمن، ولم يكن هناك وقت للتفكير فقد فرّ الرجال بعدأن امتطوا خـيولهم وظـلّت النسـوة وحيدات.

كانوا خمسة فرسان، أدركت جيران ان افراسهم ليست أصيلة بينما التركمن لا يمتطون سوى الخيول الاصيلة.

والتركمن اذا ما أرادوا الغارة فانهم ينتخبون افضل أفراسهم كـي يـمكنها تحمل مشاق الصحراء.

وعندما أصبح الفرسان على مقربة من النسوة صاحت جيران تعرّف نفسها بلهجة تركمنية.

ـ هاي! دوقان[1]! أنازوجة محمد حسن خان كبير اشاقة باش، لقد اخطأتم في مرادكم عودوا من حيث اتيتم.

لم يكترث المهاجمون. صاحت مرّة اخرى:

ـ أنا جيران زوجة محمد حسن خان رئيس اشاقة باش وعـندما احـاط الفرسان بالقافلة فرّت النسوة ذعراً من رؤية الفرسان المـنقبين، وهـم يـتجهون صوب جيران.

صاحت الفتاة:

ـ هاي دوقان! ماذا تفعل؟!

قالت ذلك وشهرت غدّارتها بوجه أحدهم واطلقت النار فأردته صريعاً.

ثم وجهتها باتجاه آخر فسقط بعد أن اخترقت الرصاصة قلبه.

وهكذا سقط اثنان في لحظات، انحنت جيران واستلّت بندقيتها وصوبتها باتجاه الفرسان الثلاثة الذين انهاروا فجأة لدى رؤية رفـاقهم، فـولّوا الادبـار، ظلّت جيران شاهرة بندقيتها باتجاههم خشية عودتهم ولكنها رأتهم قـد فـضلوا الفرار لا يلوون على شيء.

---

(١) أي: يا كبير القوم.

فدعت خادماتها للعودة بعد أن فرّ المغيروون.

ورأى رجال الركب الذين فرّوا ما حلّ بالمغيرين فعادوا فرحين وراحوا يمتدحون شجاعة جيران وبأسها.

وعنّفتهم جيران على فرارهم وقالت: هذا ليس من الرجولة في شيء.

وظلت القبيلة تمتدح شجاعة جيران الفتاة التي صمدت عندما فرّ الرجال.

* * *

(٦٥)

بنت الشهيد

امّي العزيزة: حتى لو لم يصدّقني أحد، فانك ستصدّقيني، ففي احضانك الدافئةنشأت وكبرت وتعلّمت، انت لم تعلميني الكذب وتعرفين ايضاً انني لا احتاج لأن اكذب، وهل انتهى الصدق ؟ثم لماذا أريد أن يصدّقني الناس ؟ الناس يصدّقون ما يرون بانفسهم وهذا ليس بشيء.

ان المهم هو أن يصدّقوا الاشياء العجيبة.

في ذلك اليوم قالت الناظرة في المدرسة: ورقة العلامات يوقعها الآباء فقط!

رفعت يدي وقلت: وإذا غاب الأب يا حضرة الناظرة ماذا نفعل ؟

قالت الناظرة: أصبري حتى يعود ابوك ،وفي كل الأحوال الأب وحده الذي يوقع الورقة.

سألت: والأم ؟ الا يمكنها أن توقع.

أجابت الناظرة بعصبية: هل تتصوريني حمقاء يا بلهاء هل أنت عاجزةعن فهم ما أقول ؟

ضحكت التلميذات .. تصوّرت بعضهن أنني بلهاء لا أفهم ما تقول الناظرة ، ولكن كيف اكون بلهاء وأنا قد حققت معدّلاً جيداً خلال ست سنوات متوالية .. لهذا قلت للناظرة : انني أفهم ما تقولين يا سيدتي .. من أجل هذا سألت .

أصبحت الناظرة مثل نمرة جريحة هجمت عليّ وانتزعتني من المقعد ورمت بي إلى خارج الصف ؛ وقفت المعلمة مثل التمثال لم تدافع عني أمام هذه الاهانة !

عندما عدت إلى البيت سألتيني يا أمي : لماذا أنت حزينة ؟!

لم أجب لأنني لم أُحب ادخال الحزن على قلبك ، أردت اخفاء حزني ، ولكن قلبي كان مكسوراً ... مكسوراً للدرجة التي لا ينفع فيها حتىٰ البكاء .. ولكني لا أملك غير أن أبكي .

وعدت إلى غرفتي حيث توجد صورة لأبي على الرف اخذت الصورة ووضعتها على السجّادة ، اخرجت ورقة العلامات وقلت لأبي : انظر يا أبي إلى معدّل ابنتك ..

وقع يا أبي .. ان المدرسة لا تقبل سوى توقيع الآباء ... ألم تقل لي من قبل : ان الشهداء أحياء ؟

نعم يا أبي! لقد كان في مقدوري مثل الآخريات . أن أقول : ليس لي أب .. لقد استشهد أبي .. وهكذا أكون قد ارحت واسترحت . لو أنك مت يا أبي لفعلت ذلك ولكنك شهيد ، ولا أريد أن يحترمني الآخرون بسبب تضحياتك .

لا أريد أن يكون احترامي لدى الآخرين بسبب دمك القاني الذي سقيت به الأرض .

من أجل هذا سعيت أن يكون سلوكي مرضيّاً حتى لا تستدعي المدرسة أبي اذا ما حدثت مشكلة ، ومن ثم يكتشف الجميع انني ابنة شهيد ، ومن ثم يصدر عفو

بسبب ذلك.

ان هذا لا يليق يا أبي بابناء الشهداء.

نعم لا أتذكر يا أمي ماذا قلت لأبي، كل اما اذكره انني كنت أبكي .. كنت ابكي بمرارة.

لا أدري هل استغرقت في النوم أم لا ولكني احسست ان شذى طيباً يدور في الفضاء وكان يشتد كل لحظة، لا أدري أي نوع من العطور كان ياأمي.

كان العطر يشبه رائحة الورود الحمراء ولكنه اكثر لطافة! كان من النـوع الذي لم يشمّه أحد من قبل.

أنت تعرفين يا أمي كم احبّ شذى الورود الحمراء، ولكن هـذا العـطر لا يمكن مقارنته بما احسسته آنذاك.

وانفتح الباب يا أمي وظهرت كتلة من البياض تشبه الضباب مثل سحابة بيضاء اكتنفت الباب، ظللت احدّق في الباب ورأيت أبي يرتدي حلّة بيضاء، كان وجهه كقمر مضيء، وكان عنقه الذي ضربته شظيّة اكثر اضاءة من وجهه، فكأن وجهه يستمدّ النور من مكان الاصابة.

نعم كانت منطقة الاصابة اشبه بقمر مضيء تحفّه هاله.

كان وجهه ـ ياأمي ـ شفّافاً مضيئاً لا يستطيع المرء ان يقبله هيبة له.

كان رأسه معصوباً بشريط احمر كتبت عليه بأحرف من نور: «نحن عشّاق الشهادة».

ومثل برعم يتفتح كانت بسمة تشرق في فمه، وتحرك أبي ... تقدم بهدوء سحابة بيضاء في السماء جلس عند صورته، لم يكن يشبه الصورة ...

امسك بورقة العلامات وراح يتأمّل في درجاتي، ثـم وضـع يـده داخـل قميصه الابيض وأخرج قلماً نفس القلم الذي كان يكتب به، ثم وقع أسفل الورقة.

التفت اليّ، وضع كفّيه على وجهي، وقبّلني في جبيني، ما أزال حتى الآن يا أمي احسّ لثمته وقبلت نحره في المكان الذي حلت بيني وبين رؤيته.

وشعرت بالطمأنينة تملأ قلبي، وعانقت أبي، وامتلأ صدري بشذى الورد الاحمر.

تعلّقت بحلته البيضاء الأكثر لطافة من الحرير قلت له:

ـ لا تذهب يا أبي.. لا تتركنا وحدنا!

أخذ أبي كفّي ووضعهما بين كفّيه الدافئتين وقال:

ـ أنتم لستم وحدكم يا مريم.. ان الله معكم، وعندما تكونوا مع الله فانكم لا تكونوا وحيدين... ثم اني لا اذهب بعيداً أنا بينكم دائماً.. سلي امّك هل مرّ يوم ولم نتحدّث معاً؟

قلت لأبي:

ـ اذن فكر في «ناهيد» ما تزال طفلة.. انها تظنك ذهبت في سفر وستعود تحمل اليها الهدايا.. كلما يرن جرس تهبّ كمن صعقها تيار الكهرباء.. تتعجب منّا كيف لا نهب معها؛ تقول لنا:

ـ لماذا الجلوس ؟! لقد جاء أبي.. هيا افتحوا الباب أمي تختنق بعبرتها وتقول:

ـ ان اباك لا يدق الجرس هو يفتح الباب.

ولكن ناهيد تقول:

ـ ربّما يحمل الكثير من الهدايا بحيث لا يستطيع أن يفتح الباب.

عندما قلت ذلك لأبي تجمعت الدموع في عينيه وقال:

ـ أعرف ذلك يا مريم.

قلت لأبي:

ـ أشكرك يا أبي لانك وقعت ورقة العلامات لقد هدأ قلبي ، ولكن ماذا افعل بقلب ناهيد ؟

قال أبي :

ـ الله سيملأ قلبها بالطمأنينة والأمل .

قال أبي ذلك ونهض كشيء شفاف وخفيف ، فجأة انتهبت إلى نفسي ورأيت مكان أبي خالياً ، ركضت صوب الباب فتحته وهتفت :

ـ بابا !..بابا!

ولكن أبي كان قد مضى وجئت اليّ .

فهاك يا أمّي ورقة العلامات وهاك رائحة أبي[1].

* * *

(١) مجلة رشد معلم السنة الرابعة العدد ٢/ ٣٨.

(٦٦)

حكاية قديمة

من الحكايات القديمة ان رجلاً مرّ في زقاق فرأى فتاة في ريعان الشباب تبكي وهي مستندة إلى جدار بيت. فسأل الرجل الفتاة من سرّ بكائها، فقالت:

ـ استحلفك الذي تعبد ايها الرجل.. اناشدك في رجولتك ان تساعدني.

قال الرجل:

ـ اذا كان في وسعي ذلك فلن اتأخر.

قالت الفتاة:

ـ أنت ملاك يا رجل أرسلك الله اليّ لنجاتي..

ان لي زوجاً سيء الخلق بخيلاً جعل حياتي نكداً في نكد، ولأني ما ازال شابة فقد تقدّم لخطبتي كثيرون ولأني أحرص على سمعتي فقد اضطررت للزواج من أحدهم؛ ولأني لم أجلب ورقة الطلاق فان القاضي سيشك فيّ ويا لبؤسي لأنني ضيعتها ولم أعثر لها على اثر ولهذا عدت إلى زوجي السابق لآخذ ورقة أخرى بطلاق ولكن لسوء حظي انه مات قبل شهر.

فرأيت الدنيا وقد اظلمت حولي، فلهذا ابكي، فهيّا معي يا شهم إلى القاضي

وقل انك زوجي السابق واشهد بطلاقي وانقذني من هذه الورطة.

سمع الرجل ما قالته الفتاة ورق قلبه لها وذهب معها إلى القاضي.

قالت الفتاة أمام القاضي:

إنّ هذا الرجل زوجي وهو لا ينفق عليّ وأنا أطلب الطلاق.

وقال الرجل للقاضي:

ـ انني رجل فقير وليس عندي ما أنفقه، وقد برمت من عتابها وأريد ان اطلقها.

فامضى القاضي طلاقها وسلّمها ورقه الطلاق، وقالت المرأة انني وهبته المهر واحمل عنه تكاليف القضاء.

قالت المرأة ذلك ووضعت كيساً من النقود أمام القاضي ثم أخرجت من تحت عباءتها رضيعاً مقمّطاً وسلّمته للرجل وقالت:

ـ وهذا ابنه سالم معافى فأنا عاجزة عن تغذيته وتربيته.

قالت ذلك وغابت فجأة.

وقف الرجل مبهوتاً ولم يستطع الانكار، فاحتضن الطفل وذهب إلى منزل صديقه له نادماً منكسراً يطلب منه حلّا لورطته.

قال صديقه: لا ارى لك إلّا أن تنطلق فجراً إلى المسجد وتضع الطفل في المحراب، فلعلّ احد المذنبين يحنّ عليه ويتبنّاه.

فعل الرجل ما اشار عليه صديقه، وصادف أن بكى الطفل وانتبه خادم المسجد فتعلّق بثياب الرجل المسكين وصاح به:

ـ ايها الملعون الخبيث، هذا ثاني طفل تأتي به إلى المسجد اتحسب المسجد مكان للرضع.

قال ذلك وجاء بطفل الليلة الفائتة وقال له:

ـ خذهما وإلّا فضحتك بين الناس ويكون مصيرك الحبس.

خاف الرجل المسكين الفضيحة والعقاب فحمل الطفلين معاً وغادر المسجد عائداً إلى منزل صديقه.

قالت امرأة الصديق التي اطلعت على مشكلته حديثاً:

ـ لقد انجبت فلانة الثرية توأماً، وهي تنوي الذهاب إلى الحمام فخذ الطفلين إلى الحمام الفلاني وقل لصاحبة الحمام أن فلانة ستأتي إلى الحمام على أثرهما.

فعل الرجل ما أشارت عليه زوجة صديقه، وسلمّ الطفلين إلى صاحبة الحمام.

وفرحت صاحبة الحمام طمعاً بالمكافأة، وفي لحظة توارى الرجل وقد نجا من ورطته[1].

* * *

(١) تمثيل ومثل ج / ٢٠.

٦٧

المخدوعة

«رضا، هو ابن خالة امّي، يدرس في جامعة شيراز وفي السنة النهائية في فرع الهندسة، وكان من المقرّر أن يتقدم إلى خطبتي قبل خوض امتحانات القبول في الجامعة.

لقد سمعت همساً بهذا المعنى، وكنت متأكدة من أن أبي وأمي راضيان عن هذه الخطبة، وبالطبع فأني لم أكن لأنزعج من ذلك فلقد كان رضا فتى متديناً وطيباً، ولعلّ الكثيرات من قريباتي كن يتمنين الزواج منه.

ولكن حدث أن تغيّرت نظرتي اليه وتبدّل فيه رأيي وكان السبب هو اقتراح «وحيد» الزواج مني.. كان وحيد صديقاً لأخ زهرة.

عرّفته: زهرة، على انه شاب طيب، رأيته لأول مرّة في الاسبوع الاخير من سنة ٧٣[١] كان الجو مظلماً، والشوارع مزدحمة بالمارّة فعيد نوروز على الأبواب، وكان من المتعذر أن أجد سيّارة أعود بها إلى البيت، خرجت أنا وزهرة من الصف

---

(١) سنة ١٣٧٣ هـش وتقابلها في الميلادي سنة ١٩٩٤م.

ووقفنا في الشارع ننتظر سيارة تاكسي.

وانتظرنا نصف ساعة ولكن دون جدوى، لهذا قررنا ان نقطع جزءً من الطريق مشياً على الاقدام، فلعلنا نصادف سيّارة فيها مكان.

لم نكد نقطع منه خطوات حتى توقفت إلى جانبنا سيّارة فارهة، في البداية لم اكترث لها، ولكن زهرة شدّتني من يدي نحوها وظهر انها تعرفه، تبادلا التحية وركبنا السيّارة التي اوصلتنا إلى مكان قريب.

عرفت من زهرة ان وحيداً هذا من رفاق صادق ابن اخيها.

وفي الأيام التالية صادفته في الشارع، ولأني اخبرت امّي بما حصل فقد سمحت لي ركوب سيّارته.

كان وحيد يأتي في كل مرّة بسيارة جديدة، وتصوّرت انه يعيش في رفاهية من الحياة، ولهذا دفعني حب الاستطلاع لاعرف بعض التفاصيل عن حياته.

كنت أرغب أن أعرف ما هو عمله، وأين يعيش، وصادف أن التقيته وحدي وصعدت سيّارته، في البداية ظلّ معتمصاً بالصمت ثم راح يحكي عن نفسه قائلاً:

أن أباه يملك معرضاً للسيّارات وانه سوف يرسله إلى المانيا لاستكمال دراسته شرط أن يتزوّج قبل السفر وانه ينتظر طلبية من المانيا في الوقت الحاضر.

قبل أن اترجّل من السيارة طلب مني وحيد الآ اتحدّث بهذا الموضوع أمام زهرة ووعدته ذلك.

وقد اكتشفت في حديثه سرّ السيارات الجديدة التي يقودها ولقائي ايّاه كثيراً فقد كان المعرض يقع قريباً من مدرستي.

مضيت أيام والتقيته مرّة اخرى، وكنت هذه المرّة وحدي أيضاً، بعد أن قطعنا مسافة سألني عن أسرتي وأنا اجبته اخبرته بان أبي يعمل موظفاً في

الوزارة، وانني حصلت على الثانوية في العام الماضي، وانـني البـنت الوحـيدة لأبوي.

هيمن الصمت ،وعندما توقفت السيارة وحاولت النزول لأودعه طلب مني العنوان وقال انه سيأتي مع أسرته ليطلب يدي من والدي.

شعرت بالفرحة الممزوجة بالدهشة لماذا اختارني وحيد من بين الفتيات.

ولم تطل دهشتي فقد كان ذهني مشغولاً بالمستقبل السعيد الذي ينتظرني .. المستقبل الذي لن يستطيع أن يصنعه لي رضا حتى بعد عشـرين سـنة! انـه لن يستطيع أن يأخذني إلى الخارج كما لن يستطيع ان يشتري سيّارة

ان زواجي من وحيد سيفتح لي نافذة على الحياة سوف اذهب إلى المانيا واستكمل دراستي، ومع كل هذا فقد امتنعت عن اعطائي العنوان في الوقت الذي كنت ابذل جهداً كبيراً في السيطرة على فرحتي التي هزتني من الاعماق.

وصلت البيت واخبرت امّي على الفور، ولكنها صدمتني باستقبالها البارد للنبأ وذكرتني بانها وأبي قد وافقا ضمناً على استقبال رضا الذي تقرر ان يتقدم لطلب يدي.

كنت اتوقع ان امّي سوف تتحمس لخاطب في مثل وضع وحـيد، ولهـذا رحت اخطط لاحباط مساعي رضا واعلنت بعصبيةواضحة انني لن اتزوج مـنه أبداً!

حاولت امّي ان تثنيني ولكن دون جدوى لهذا اضطررت لاطلاع أبي على حصل.

وعندما رأى والدي أصراري تقرّر أن يحضر وحيد بعد أسبوع من حضور رضا.

انتهت امتحانات «الكونكور» وجاء رضا مع أسرته لزيارتنا.

قال رضا بعد أحاديث عادية ؟ ان كل ثروته هي تحصيله الدراسي ، وانـه سيسعى جاهداً لتوفير حياة كريمة لزوجته وانه سيعمل على اسعادها .

استمر اللقاء ثلاث ساعات وادرك رضا وأسرته انني غير راغبة ابداً فـي الزواج .

حاول أبي بعد أن غادر رضا وأسرته المنزل اقناعي ولكن لا فائدة لقد كان جوابي الوحيد انني لن اتزوج سوى وحيد .

وجاء اليوم الموعود .. جاء وحيد مع أسرته ، وكانت اول صـدمة انـهم لم يأتوا كما توقعت بسيارة فارهة !

بل ان مظهرهم كان يدلّ على خلاف ماكنت أتصوّر أخذ الضيوف أماكنهم ، ومضت نصف ساعة على تبادل احاديث عادية ومجاملات ، ثم دخل الأب صلب الموضوع .

كان الأب في غاية الدماثة والأدب ويدلّ منطقه على خبرة في الحـياة ، كانت كلماته تطفح بالصدق ، قال كل شيء .

وظهر انه موظف متقاعد ، وأن ابنه وحيد يعمل في معرض للسيارات .

وهكذا صحوت على دويّ الحقائق ، لهذا غادرت غـرفة الاسـتقبال إلى غرفتي ، واجتاحتني رغبة في البكاء حتى انني لم آت لتوديعهم عـندما نـهضوا للانصراف .

حبست نفسي في الغرفة حتى اليوم التالي ، وتركني ابواي إلى همومي ، لقد ادركا انني اعيش حالة من الندم العميق .. الندم الذي يعبّر عن تحطّم صروح من الخيال الفارغ.

* * *

(٦٨)

الغيرة

حكوا ان شاباًكان شديد الغيرة، فلما تزوّج سدّ على زوجته منافذ البيت حتى لا يقع عليها نظر غريب أو قريب.

فلما مضى على ذلك الوضع زمان وهي لا تطيق هذا الحبس قالت لزوجها: لماذا حبستني وضيقت عليّ عيشي؟

ان المرأة اذا لم تعفّ فان اي شيء لن يمنعها عما تريد ان تفعله، وان المرأة العفيفة لا ترغب بغير زوجها، فاطلقني بالله من هذا الحبس وهذا السجن فان لي من نفسي ما يصونني.

غير ان الشاب لم يكترث لزوجته بل وضاعف عليها الحبس، فأرادت الفتاة ان تثبت لزوجها خطأ ما يفعله، فمكرت مكراً، وأرسلت وراء عجوز من جاراتها، فلما حضرت قالت لها اذهبي إلى الشاب الفلاني وقولي له اني متيمة به واني لا صبر لي على فراقه.

فلما سمع الشاب بذلك فرح وقال للعجوز اخبريها اني عاشق لها ولكن ماذا افعل وزوجك معروف بغيرته؟

فأرسلت الفتاة اليه ان «الحيلة في ذلك يسيره، أخبر زوجي انك تنوي السفر وأصنع صندوقاً يكفيك وقل له ان خادمي سيأتيك بصندوق فيه جواهر وأشياء ثمينة واني لا أثق الا بك فهي امانة عندك حتى أعود.

فعل الشاب ذلك ووافق زوج الفتاة وجاء الخادم بالصندوق.

عندما دخل الخادم البيت ووضع الصندوق وانصرف، قالت الفتاة لزوجها: ما هذا الصندوق.

اجاب الزوج: انه لصديق لي سافر واودعه عندي أمانة فقالت الفتاة: ليس هذا من العقل في شيء! كيف تأتي بصندوق مقفل لا تعرف ما فيه، فان جاء غداً وادعى ان فيه من الذهب والجواهر كيت وكيت فماذا انت قائل له؟! لا احسبك الّا أن تذهب إلى القاضي وتحلف له انك ما فتحته ولا رأيت ما فيه، ولكن هل تسلم من لسانه وظنون الاخرين، فان ايّدك واحد وقف عشرة ضدك.. أرى يا زوجي ان تفتحه لتعرف ما فيه.

اقتنع الزوج بما قالته زوجته، فأمر الزوج خدمه بفتح الصندوق فلما فتح الصندوق فاذا فيه ذلك الشاب الذي كاد يموت خجلاً.. اما الزوج فقد وقف مبهوتاً.

حينئذٍ قالت الفتاة: ان هذا الشاب بريء يا زوجي العزيز لقد مكرت مكراً لتعرف ان المرأة لا يحجزها عمّا تريد الّا وازع من نفسها فلا تسيء الظن وتضيق عليّ العيش.

ولقد قلت لك مراراً وتكراراً، ان المرأة لا يحفظها من عمل السوء حافظ لأن بليسَ إذا ارادت ـ ينجدها وان التقوى وخشية الله، هي التي تحرس المرأة وتصون عفتها[1].

---

(١) جوامع الحكايات بتصرّف.

(٦٩)

عقدة نفسية

كتبت فتاة في دفتر مذكراتها: كانت امّي شديدة في تعاملها معي، لم تكن تسمح لي بتبادل الزيارات مع صديقاتي.

حتى انني لا اذكر انني دعوت صديقاتي في المدرسة إلى منزلي. ولم تكن امّي لتضنّ ان لي صديقات ورفيقات.

كنت اتمنى أن احفظ كرامتي ولو مرّة بدعوة صديقاتي إلى البيت انني انسانة لي كرامتي وعواطفي.

ذات مرّة اشتريت ببعض النقود التي كانت معي مرطّبات لصديقاتي! وعندما علمت أمّي ذلك هاجت وصرخت في وجهي، ولم تكتف بذلك بل جاءت إلى مديرةالمدرسة وشكتني لديها. كما تشاجرت مع صديقاتي اللائي اشتريت لهن مرطبات! صديقاتي قلن: نسدد ثمنها!

وشعرت بالألم والخجل في آن واحد. وتمنيت الموت، لهذا انقطعت عن المدرسة.

ومرّت على تلك الحادثة خمسة عشر سنة، وما تزال تلك الذكرى المريرة تعذبني لا أستطيع نسيانها.

وعندما التقي! إحدى زميلاتي في الثانوية كنت أهرب بعيداً وينخطف لوني بل اذا ذكرت امامي المدرسة او تحدّث احد عن الامتحان فان مرارة تلك الذكرى تتجدّد فتعذّب روحي!

ترى هل يحق للمربيّة أو الأم أن تسدد لابنتها مثل هذه الحربة من أجل بعض النقود فتبقى تتعذب طوال العمر؟

ألم يكن الأفضل أن تغض امّي الطرف عن تلك القضية البسيطة، فلا تخلق لي هذا البلاء، أليس الأحرى بأمّي أن تدرك عواطفي فلا تخلق لي هذه العقدة الدفينة؟.

* * *

(٧٠)

كرامة

ظهرت في ايام المتوكل امرأة تدّعي أنّها زينب بنت فاطمة بـنت رسـول الله (ﷺ) فقال المتوكل:

أنت امرأة شابّة وقد مضى من وقت رسول الله (ﷺ) ما مضى من السنين؟!

فقالت:

ـأن رسول الله مسح عليّ وسأل الله أن يردّ عليّ شبابي في كل اربعين سنة، ولم اظهر للناس إلى هذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت اليهم.

فدعا المتوكل مشايخ آل أبي طالب وولد العبّاس وقريش وعرّفهم حالها، فروى جماعة وفاة زينب في سنة كذا.

فقال لها:

ـما تقولين في هذه الرواية؟

فقالت:

ـكذب وزور، فان امري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت.

فقال لهم المتوكّل:

ـهل عندكم حجّة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟

فقالوا:

ـلا

فقال:

ـهو بريء من العباس إن لا أنزلها عمّا ادعت الاّ بحجة.

قالوا:

ـفاحضر ابن الرضا فلعلّ عنده شيئاً من الحجة غير ماعندنا.

فبعث اليه، فحضر فاخبره بخبر المرأة فقال:

ـكذبت فان زينب توفّيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا.

قال:

ـفان هؤلاء قد رووا مثل هذه وقد حلفت ان لا انزلها الاّ بحجّة تلزمها.

قال:

ـولا عليك فههنا حجّة تلزمها وتلزم غيرها.

قال:

ـوما هي؟

قال:

ـلحوم بني فاطمة محرّمة على السباع فأنزلها إلى السباع فان كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها.

فقال لها:

ـما تقولين؟

قالت:

ـ انه يريد قتلي

قال:

ـ فههنا جماعة من ولد الحسن والحسين، فانزل من شئت منهم.

(قال الراوي):

فوالله لقد تغيّرت وجوه الجميع فقال بعض المبغضين:

ـ هو يحيل على غيره! لم لا يكون هو؟!

فقال المتوكل (وقد طمع في قتل الأمام من دون مسؤولية):

ـ يا أبا الحسن لم لا تكون أنت ذلك؟

قال:

ـ ذاك إليك

قال:

ـ فافعل!

قال:

ـ افعل

فأتي بسلّم وفتح عن السباع، وكانت ستة من الأُسد فنزل أبو الحسن اليها فلما دخل وجلس صارت الاسود اليه فرمت بانفسها بين يديه، ومدّت بأيديها ووضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح على رأس كل واحد منها، ثم يشير اليه بيده إلى الاعتزال فتعتزل ناحية حتى اعتزلت كلّها وأقامت بإزائه.

فقال له الوزير:

ـ ما هذا صواباً فبادر بإخراجه قبل أن ينتشر خبره.

فقال له:

ـ يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً وانما أردنا أن نكون على يقين ممّا قلت،

فأحبّ أن تصعد، فقام وصار الى السلّم وهي حوله تتمسح بثيابه.

فلما وضع رجله على أوّل درجة التفت اليها واشار بيده أن ترجع، فرجعت وصعد.

فقال:

ـكل من زعم انه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس.

فقال لها المتوكل:

ـانزلي

قالت:

ـالله الله .. ادّعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضرّ على ما قلت.

فقال المتوكّل:

ـالقوها إلى السباع.

فاستوهبتها والدته[1].

* * *

(١) مختار الخرائج: ص ٢١٠، ٢١١ بالاستناد إلى البحار ١٤٩/٥٠.

٧١

الخنساء

كانت الخنساء شاعرة شهيرة وصحابية جليلة قدمت؛ على النبي (ﷺ) مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم، وكان النبي (ﷺ) يعجبه شعرها.

ولما قدم عدي بن حاتم وحادثه فقال: يا رسول الله إن فينا أشعر الناس وأسخى الناس وأفرس الناس.

قال: سمهم.

قال: امّاشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد (يعني أباه) وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب.

فقال رسول الله: ليس كما قلت يا عدي. أما اشعر الناس فالخنساء بنت عمرو وأما أسخى الناس فمحمد (يعني نفسه) وأما أفرس الناس فعلي بن أبي طالب.

وكانت الخنساء قد اشتهرت برثائها أخيها صخر وكان مما قالت فيه:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وكانت الخنساء من المخلصات للاسلام، فقد حضرت حرب القادسية،

ومعها بنوها وهم أربعة رجال فقالت لهم: يا بني أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله الا هو إنكم بنو إمرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيّرت نسبكم، وقد تعلمون ما اعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين. ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى: ﴿**يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وحللت ناراً على أرواقها، فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة.

وفي المعارك الضارية استشهد بنوها جميعاً، فلما بلغها ذلك قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[1].

* * *

---

(١) اعلام النساء ١/٣٦٠.

(٧٢)

الزرقاء

كانت الزرقاء من ربّات الفصاحة والبلاغة، وقفت إلى جانب علي (ﷺ) في صفين، ولم آل الحكم إلى معاوية قال لأصحابه:

أيكم يحفظ كلام الزرقاء؟

فقالوا: كلنا.

قال: فما تشيرون عليّ فيها؟

قالوا: نشير عليك بقتلها.

وأمر معاوية باحضارها، فلما جاءت قال لها معاوية: مرحباً وأهلاً خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة.. هل تعلمين لم بعثت اليك قالت: سبحان الله انّى لي بعلم ما لم أعلم، وهل يعلم ما في القلوب الّا الله.

قال: بعثت اليك أن أسالك الست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين بين الصفين توقدين الحرب وتحرّضين على القتال فما حملك على ذلك.

قالت: يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذوغير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعد الأمر.

قال معاوية : صدقت فهل تحفظين كلامك يوم صفين ؟ قالت : ما احفظه .

قال : ولكني والله احفظه.. لله أبوك لقد سمعتك تقولين : ايها الناس انكم في فتنة عشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن الحجة ، فيا لها من فتنة عمياء صمّاء تسمع لناعقها ؛ ولا تسلس لقائدها ، أن المصباح لا يضيء في الشمس وان الكواكب لا تنير مع القمر وإن البغل لا يسبق الفرس وإن الزف لا يوازن الحجر ، ولا يقطع الحديد

إلّا الحديد..

الا من اشترشدنا ارشدناه ومن استخبرنا اخبرناه ، ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبراً يامعشر المهاجرين والانصار .. ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ..الا أن خضاب النساء الحنّاء ، وخضاب الرجال الدماء ..

قال معاوية : والله يا زرقاء لقد شركت علياً في كل دم سفكه !

فقالت الزرقاء : أحسن الله بشارتك مثلك من بشّر بخير

قال : وقد سرّك ذلك ؟

قالت : نعم ، والله لقد سرّني قولك فأنّى لي بتصديق الفعل .

قال معاوية : والله لوفاؤكم له بعد موته[1]

أحبّ اليّ من حبّكم له في حياته[2].

* * *

(١) يعني علياً(عليه السلام).

(٢) بلاغات النساء ٣٤/٢.

٧٣

ابنة العلّامة

كان ملّا أحمد، رجلاً فقيراً، لهذا قال لابنه «ملّا صالح» ذات يوم: انني لا أستطيع الانفاق عليك يا بني فاحتل لنفسك.

لهذا فكّر ملّا صالح بالسفر إلى اصفهان والاقامة في إحدى مدارسها.

وكانت المدرسة تمنح طلابها مرتباً حسب مرتبته العلمية؛ ولهذا فلم تكن تدفع لملّا صالح شيئاً ذا بال.. شيئاً لا يكفي في سدّ ضروريات الحياة.

لهذا كان عاجزاً عن شراء قنديل يطالع في ضوء في الليالي فكان يجلس في ضوء أحد قناديل المدرسة التى تسرج عادة في الليل.

ومع ذلك فقد ظلّ يجدّ ويجتهد في دراسته حتى أصبح من تلامذة العلّامة المجلسي» الأول بل وأصبح من أبرزهم جميعاً.

وفي تلك الأيام فكّر الشاب في أن يحرز نصف دينه وهو سنة النبي (ﷺ) في الزواج، وعندما اكتشف المجلسي رغبة تلميذه في الزواج قال له ذات يوم بعد أن غادر التلاميذ حلقة الدرس:

ـ ان شئت اخترت لك زوجة تناسبك.

فاطرق الشاب حياء وعرف الاستاذ أن تلميذه راض.

عندما عاد المجلسي إلى منزله استدعى ابنته «آمنة بيگم» وكانت فتاة، عاقلة وعلى قدر رفيع من الكمال فقال لها:

ـ ابنتي العزيزة لقد وجدت لك زوجاً في غاية الصلاح ولكنه في غاية الفقر، فإن شئت تزوجت وإن شئت أعرضت!

قالت ابنة العلّامة: ان الفقر ليس من عيوب الرجال.

وفي لحظة فرح تم عقد الزواج، وفي ليلة الزفاف وجد ملّا صالح زوجته في غاية الحسن والكمال والأدب فشكر الله وحمده.

وانصرف ملا صالح الزوج السعيد إلى مطالعة دروسه وذات ليلة واجـته مشكلة عويصة لم يستطع حلها.

وكانت آمنة بيگم تحيط بذلك علماً، فلما أصبح الصباح وانصرف ملّا صالح إلى حضور درسه جاءت العروس وراحت تكتب شرحاً وافياً للمشكلة وحلّت بذلك المعضلة العلمية!

فلما حلّ المساء وحان وقت المطالعة في الليل وجد الزوج المشكلة العويصة، وقد اشبعت شرحاً فظلّ يقرأ مدهوشاً، ثم نظر إلى السماء شاكراً أنعم الله، ثم هوى ساجداً يعبد الله حتى الفجر.

وعندما زار المجلس بعد ثلاثة أيام بيت العروسين ولم يجد آثار العرس قال لصهره:

ـ اذا لم تعجبك زوجتك انكحناك زوجاً غيرها فقال الزوج:

ـ لا تظن ذلك اعراضاً بل انه شكر لله الذي رزقني هذه الزوجة، انني عاجزٌ عن شكر الله على نعمته هذه.

فقال العلّامة: ايها الشاب العزيز ان اعترافك بعجزك عن شكر الباري هو منتهى شكر العبد[1].

---

(١) الوحيد البهبهاني / ١٠٥.

(٧٤)

الغريبة

كسر صوت المعلمة السكوت في الصف للحظات، التـلميذات يـحدقن متحفزات، في قلوبهن رغبة لمعرفة تلك البنت التي دخلت الصف مع المعلّمة .. في الاثناء قالت المعلّمة:

ـ أودّ أن اقدّم لكنّ اليوم تلميذة جديدة .. انها سوسن ناصري ..

من المؤكّد انها من أسرة ثـريّة. انـه أمـر واضـح يـبدو ذلك مـن عـينيها الزرقاوين ووجها المستدير المتورّد ومن «المانتو» الكحلي الذي ترتديه، ومن تلك اللحظة التي وقعت عيناي فيها على سوسن لف غبار الحسد قلبي.

التفتت المعلمة اليّ وقالت:

ـ افسحي يا مريم لتجلس سوسن إلى جانبك!

رنّ الجرس وانطلقنا إلى باحة المدرسة ..لم تبق سوى حصّة درس التاريخ، وكان من المقرّر أن نجيب عن بعض الاسئلة في التاريخ.

وتهيأت للاجابة كعادتي .. وكانت المعلّمة قد اطلقت عليّ لقب بلبل الصف.

وجاء صوت المعلّمة:

ـ والآن ضعوا كتاب التاريخ جانباً ، واصغوا إلى الاسئلة تفضلي يا سوسن إلى السبورة .

وبدا لي أن سوسن هذه قد نالت اعجاب المعلمة .

مرّ شهر على مجيء سوسن ، وكانت علاقتها بالمعلمة تزداد يوماً بعد يوم . أصبحت سوسن نجمة الصف .

في قلبي كنت اتمنى لو كنت بمثل جمال سوسن ومن عائلة ثرية مثل سوسن ، وأن لي عينين زرقاوين .. آه لو كان لي مثل وجهها المستدير لاحبّني الجميع !

وفي هذه اللحظة انتبهت إليَ نفسي ، جاء صوت أمي :

ـ مريم ! ماذا تفعلين ؟ لماذا هذا الاضطراب يا ابنتي هل تشاجرت مع أحد في المدرسة ؟ .. غداً سآتي إلى المدرسة

ـ لا شيء .. لا شيء يا امّي .. انني قلقة بسبب الامتحان القادم لم يبق له سوى ثلاثة أيام ، الدروس في هذا العام أصعب بكثير من السنوات الماضية !!

وجاء صوت أبي يقول :

ـ أين أنت يا بنت .. أريد فنجان شاي ...

عندما سقط فنجان الشاي من يدي .. صرخ أبي :

ـ ما هذا أين تسرحين ؟! لماذا لا تنظرين أمامك؟!

شعرت بالخجل خاصّة وأن خالي وزوجته وابنة خالي كانوا ينظرون إلى ارتباكي .. جمعت حطام الفنجان ، ولذت بغرفتي .

عندما استيقظت في الصباح كنت ضجرة جداً ... جهزت حقيبتي بما يلزمني من الكتب الدراسية وذهبت .

كان الامتحان في الرياضيات ، واعقب ذلك درس الرياضة .

رأيت سوسن وأنا اجمع كتبي، كانت تنظر إلى وكأنها تريد أن تسألني.. ولكنها كانت تخشى أن اقابل سؤالها كعادتي باللامبالاة، نظرت اليها وركزت عيني في عينيها، فانسحبت من الصف على عجل.

كان درس الرياضة درساً محبوباً من الجميع وكانت معلمة الرياضة مشغولة في ترتيب وقوفنا عندما قالت:

ـ اليوم سنلعب لعبة جماعية.. مريم اذهبي واحضري وسائل الرياضة!

صعدت درجات السلّم بسرعة وكان باب مكتب المديرة نصف مفتوح عندما سمعت أمي تتحدث مع المعلّمة وقفت استرق السمع لاعرف ماذا تقولان:

ـ ابنتي مريم ومنذ مدّة أصبحت تثير عجبي بسلوكها أصبحت منزوية وفي اكثر الاوقات أراها ساهمة سارحة في الفكر؛ قلّت شهيتها للطعام أظن بأن مشكلة حصلت لها في المدرسة لهذا جئت.

ـ بالطبع أنا لاحظت تغيراً في سلوكها هذه الايام واظن باني أعرف السبب.

ـ فداك روحي اخبريني.. أنا لا أملك الّا مريم هذه.. هي سلوتي في الدنيا.. لا اريد أن تخرب حياتها مثلي.. اريد أن تستمر في دراستها.

ـ كما قلت اتصوّر أن مريم تظنّ بأني لا احبّها كما في السابق.. وانني أحب سوسن اكثر من الآخريات.

ـ من تكون سوسن هذه يا سيدتي؟

ـ تلميذة جديدة جاءت قبل شهر.. وأنا متأكدة لو أن مريم وغيرها يعرفن ما أعرف عن سوسن وحياتها لأدركن جميعاً سرّ اهتمامي بسوسن..

سوسن بنت يتيمة فقدت والديها بل وكل أسرتها في الزلازل التي ضربت

«رودبار»[1].. لهذا تولّيت رعايتها بتوصية من أحد أقاربي في تلك المنطقة المنكوبة .. سوسن في وضع نفسي لا يحمد أنها تعيش حالة نفسية ، وهي الآن تحت اشراف الطبيب .

لقد تحسنت حالتها قليلاً .. لقد استطعت أن أوفر لها ما تحتاج من الغذاء والكساء ولكن كيف لي أن أملأ الفراغ الذي تركته أسرتها .

وانتبهت إلى نفسي على وقع أقدام راكضة وكانت سوسن .. أسقط في يدي .. همست سوسن قائلة :

ـ لقد أرسلتني المعلّمة خلفك .. لماذا لم تحضري وسائل الرياضة يا مريم ؟

دون مقدّمات عانقت سوسن وضغطت على يدها وفي لحظة تطايرت من رأسي كل الوساوس بشأن سوسن وحلّ محلها حبّ عميق لسوسن البنت الجميلة الطيبة .. وعلى تلك الجلبة التي أحدثناها خرجت المديرة وأمي والمعلّمة .. وضعت المعلمة يديها على رأسينا وقالت :

ـ يبدو انّكما جئتما لحاجة ؟!

ـ نعم يا سيدتي المعلّمة جئت مع مريم لنأخذ وسائل الرياضة :[2]

* * *

---

(١) شمال ايران بالقرب من بحر خزر .

(٢) مجلّة تربيت / السنة الثامنة العدد / ٣٦ .

٧٥

ذروة الحبّ

كانت سودة بنت عمارة الهمدانية من شاعرات العرب وفدت على معاوية ابن أبي سفيان بعد أن آل اليه الحكم فقال لها: كيف حالك يا ابنة الأشتر ؟

قالت: بخير

قال: انت القائلة لأبيك

شمرّ لفعل ابيك يا ابن عمارة. يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان
إن الامام أخا النبي محمد علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدما بأبيض صارم وسنان ؟

قالت: اي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب

قال: فما حملك على ذلك ؟

قالت: حب علي واتباع الحق

قال: فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً!

ووقفت سودة تجادله غير هيّابة له، وهدّدته اذا لم يعزل الجلّاد بسر بن

ارطاة المعروف بدمويته.

فقال معاوية: اتهددني بقومك؟ لقد هممت أن احملك على قتب أشرس فأردّك اليه ينفذ فيك حكمه.

فاطرقت تبكي ثم انشأت تقول:

صلّى الاله على جسم تضمنه قبر فاصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال معاوية: ومن ذلك؟

فقالت: علي بن أبي طالب.

قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟

قالت: قدمت عليه في رجل ولّاه صدقاتنا. فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين.

فأتيت علياً لأشكو اليه ما صنع؟ فوجدته قائماً يصلّي: فلما نظر اليّ انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فاخبرته الخبر.

فبكى ثم قال:

اللهم إنك أنت الشاهد علي وعليهم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة كهيئة طرف الجراب، فكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بينة من ربكم، فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ،

إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من بقبضه منك والسلام».

فأخذته منه والله ما ختمه بطين ولا حزمه بحزام.

فقال معاوية : اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها .

فقالت : إليّ خاصّة أم لقومي عامّة ؟

قال : وما أنت وغيرك ؟

قالت : هي والله إذن الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً ، والاّ فأنا كسائر قومي .

قال : هيهات لمظكم ابن أبي طالب الجرأة وغرّكم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنّة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام[1]

* * *

---

(١) اعلام النساء ٢/٢٧٢ .

٧٦

انها أمّي!

عن ضمرة بن حمزة السلولي قال: سمعت غلاماً بالمدينة وهو يقول: يـا أحكم الحاكمين احكم بيني وبين امي. فقال له عمر بن الخطاب: يا غلام لم تدعو على امك؟

قال: انهاحملتني في بطنها تسعة اشهر وارضعتني حولين فلما تـرعرعت وعرفت الخير من الشر ويميني من شمالي طردتني وانتفت مني وزعمت انها لا تعرفني.

فقال عمر: يا هذه ما يقول الغلام؟

فقالت: والذي احتجب بالنور فلا عين تراه وحق محمد وما ولد ما أعرفه ولا أدري من أي الناس هو، وانه غلام مدع يريد أن يفضحني في عشيرتي، واني جارية من قريش لم أتزوج قط واني بخاتم ربي.

فقال عمر: ألك شهود؟

فقال: نعم هؤلاء اخوتي، فتقدم الاربعون القسامة فشهدوا عـند عـمر أن الغلام مدع يريد أن يفضحها في عشيرتها وان هذه جارية من قريش لم تزوج قط

وانها بخاتم ربها.

فقال عمر: خذوا هذا الغلام وانطلقوا به إلى السجن حتى نسأل عن الشهود فان عدلت شهادتهم جلدته حد المفترى. فأخذوا الغلام ينطلق به إلى السجن، فتلقاهم أمير المؤمنين (ع) في بعض الطريق، فنادى الغلام: يابن عم رسول الله اني غلام مظلوم ـ واعاد الكلام الذي كلم به عمر ـ ثم قال: وهذا عمر قد أمر بي إلى الحبس.

فقال علي عليه السلام: ردوه إلى عمر، فلما ردوه قال لهم عمر: أمرت به إلى السجن فرددتموه الي!

قالوا: أمرنا علي بن أبي طالب ان نرده اليك وسمعناك وأنت تقول لا تعصوا لعلى أمراً.

فبيناهم كذلك اذ أقبل علي عليه السلام فقال: علي بام الغلام، فأتوا بها.

فقال علي (ع): يا غلام ما تقول؟ فأعاد الكلام.

فقال علي لعمر: أتأذن ان اقضى بينهم.

فقال: سبحان الله وكيف لا وقد سمعت رسول الله (ص) يقول «اعلمكم علي بن ابي طالب».

ثم قال (ع) للمرأة: يا هذه ألك شهود؟

قالت: نعم هؤلاء اخوتي.

فقال لاخوتها: أمرى فيكم وفي اختكم جائز؟

فقالوا: نعم يابن عم رسول الله أمرك فينا وفي اختنا جائز.

فقال علي (ع) اشهد الله واشهد من حضر من المسلمين اني قد زوجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم والنقد من مالي.

يا قنبر علي بالدراهم.

فأتاه قنبر بها فصبها في يد الغلام وقال: خذها فصبها في حجر امرأتك ولا تأتني الا وبك اثر العرس ـ يعني الغسل ـ.

فقام الغلام فصب الدراهم في حجر المرأة ثم تلببها. فقال لها قومي.

فنادت المرأة النار النار يابن عم محمد، تريد أن تزوجني من ولدي، هذا ولدي زوجني أخوتي هجيناً فولدت منه هذا الغلام، فلما ترعرع وشب أمروني ان انتفى منه واطرده، وهذا والله ولدي وفؤادي يتقلى اسفاً على ولدي.

قال: ثم اخذت بيد الغلام وانطلقت.

ونادى عمر: واعمراه! لولا علي لهلك عمر[1].

* * *

(١) قضاء أمير المؤمنين: ٩ ـ ١١.

٧٧

نزاع الامومة

روى ان امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما ولداً لها بغير بينة ؛ ولم ينازعهما فيه غيرهما ، فالتبس الحكم في ذلك على عمر ، ففزع فيه إلى امير المؤمنين عليه السلام فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما ، فأقامتا على التنازع والاختلاف .

فقال عند تماديهما في النزاع : ايتوني بمنشار .

فقالت المرأتان : ما تصنع ؟

فقال : أقده نصفين لكل واحدة منكما نصفه .

فسكتت احداهما وقالت الاخرى : الله الله يا ابا الحسن ان كان لابد من ذلك فقد سمحت به لها .

فقال : الله اكبر ، هذا ابنك دونها ولو كان ابنها لرقت عليه واشفقت .

فاعترفت المرأة الاخرى أن الحق مع صاحبتها والولد لها دونها .

فسري عن عمر ودعا لأمير المؤمنين (عليه السلام) بما فرج عنه في القضاء[1].

---

(١) قضاء امير المؤمنين (عليه السلام): ١٢ ـ ١٣ .

(٧٨)

حكم في المدن

وروي عن سفيان بن عيينة باسناده عن محمد بن يحيى قال:

كان لرجل امرأتان امرأة من الانصار وامرأة من بني هاشم، فطلق الانصارية ثم مات بعد مدة، فذكرت الانصارية التي طلقها انها في عدتها وأقامت عند عثمان البينة بميراثها منه، فلم يدر ما يحكم به وردهم إلى علي (عليه السلام).

فقال: تحلف أنها لم تحض بعد أن طلقها ثلاث حيض وترثه.

فقال عثمان للهاشمية: هذا قضاء ابن عمك.

قالت: قد رضيته فلتحلف ولترث.

فتحرجت الانصارية من اليمين وتركت الميراث[1].

* * *

(١) المصدر السابق: ٥٢.

(٧٩)

المتطهّرة

أتت امرأة تجح أمير المؤمنين (عليه السلام) فقالت: انى زنيت فطهرني طهرك الله فان عذاب الدنيا أيسر من عذاب الاخرة الذي لا ينقطع.

فقال لها: مم أطهرك.

فقالت: اني زنيت.

فقال لها: او ذات بعل أنت أم غير ذلك.

قالت: بل ذات بعل.

فقال لها: أفحاضراً كان بعلك اذ فعلت ما فعلت ام غائباً عنك.

فقالت: بل حاضراً.

فقال لها: انطلقي فضعي ما في بطنك ثم ايتيني اطهرك.

فلما ولت عنه فصارت حيث لا تسمع كلامه قال: اللهم انها شهادة.

فلم تلبث أن اتته فقالت: قد وضعت فطهرني فتجاهل عليها.

فقال: أطهرك يا أمة الله مماذا؟

فقالت: اني زنيت فطهرني. فقال: وذات بعل أنت اذ فعلت ما فعلت؟

قالت: نعم.

قال: وكان زوجك حاضراً ام غائباً؟

قالت: بل حاضراً.

قال: فانطلقي وأرضعيه حولين كاملين كما امرك الله. فانصرفت المرأة. فلما صارت بحيث لا تسمع كلامه قال: اللهم انها شهادتان.

فلما مضى حولان اتت المرأة فقالت: قد أرضعته حولين فطهرني ياأمير المؤمنين المؤمنين، فتجاهل عليها.

وقال: أطهرك مماذا؟

فقالت: اني زنيت فطهرني.

قال: وذات بعل أنت اذ فعلت ما فعلت؟

فقالت: نعم.

فقال: وبعلك غائب عنك اذ فعلت ما فعلت أم حاضر؟

قالت: بل حاضر.

قال: فانطلقي فاكفليه حتى يعقل ان يأكل ويشرب ولا يتردى من سطح ولا يتهور في بئر.

فانصرفت وهي تبكي، فلما ولت فصارت حيث لا تسمع كلامه قال: اللهم انها ثلاث شهادات.

فاستقبلها عمرو بن حريث المخزومي فقال: ما يبكيك يا أمة الله وقد رأيتك تختلفين إلى عليّ تسألينه ان يطهرك.

فقالت: أتيت أمير المؤمنين فسألته ان يطهرني فقال: اكفلي ولدك حتى يعقل ان يأكل ويشرب ولا يتردى عن سطح ولا يتردى في بئر، وقد خفت ان يأتي علي الموت ولم يطهرني.

فقال لها عمرو بن حريث: ارجعي اليه فأنا اكفله، فرجعت فأخبرت أمير المؤمنين (عليه السلام) بقول عمرو فقال لها أمير المؤمنين وهو متجاهل عليها: ولم يكفل عمرو ولدك.

فقالت: انى زنيت فطهرني.

قال: وذات بعل أنت اذ فعلت ما فعلت؟

قالت: نعم. قال: أفغائباً كان بعلك اذ فعلت ما فعلت أم حاضراً؟

فقالت: بل حاضراً.

فرفع عليه السلام رأسه إلى السماء وقال: اللهم انه قد ثبت لك عليها اربع شهادات وانك قلت لنبيك (صلى الله عليه وآله) فيما اخبرته من دينك: «يا محمد من عطل حداً من حدودي فقد عاندني وطلب بذلك مضادتي» اللهم واني غير معطل حدودك ولا طالب مضادتك ولا مضيع لاحكامك بل مطيع لك ومتبع سنة نبيك.

فنظر اليه عمرو بن حريث وكأنما الرمان يفقأ في وجهه، فلما رأى ذلك عمرو قال: يا أمير المؤمنين اني انما اردت ان اكفله اذ ظننت انك تحب ذلك فأما اذ كرهته فاني لست افعل.

فقال (عليه السلام) أبعد أربع شهادات بالله لتكفلنه وانت صاغر.

فصعد أمير المؤمنين (عليه السلام) المنبر فقال: يا قنبر ناد في الناس الصلاة جامعة. فنادى فاجتمعوا حتى غص المسجد بأهله، وقام أمير المؤمنين فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس ان امامكم خارج بهذا المرأة إلى هذا الظهر ليقيم عليها الحد انشاء الله، فعزم عليكم لماخرجتم وانتم متنكرون ومعكم أحجاركم لا يتعرف أحد منكم إلى احد حتى تنصرفوا إلى منازلكم.

ثم نزل، فلما أصبح الناس بكرة خرج بالمرأة وخرج الناس متنكرين متلثمين بعمائمهم وبأرديتهم والحجارة في أيديهم وفي أكمامهم حتى انتهى بها

والناس معه إلى الظهر بالكوفة، فأمر لها أن يحفر حفيرة ثم دفنها فيها ثم ركب بغلته وأثبت رجليه في غرز الركاب، ثم وضع اصبعيه السبابتين في أذنيه ثم نادى بأعلى صوته: أيها الناس ان الله تبارك وتعالى عهد إلى نبيه عهداً عهده محمد الي بأنه لا يقيم الحد من لله عليه حد، فمن كان لله عليه مثل ماله عليها فلا يقيم الحد.

فانصرف الناس يومئذ كلهم ما خلا امير المؤمنين والحسن والحسين (عليهما السلام)، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحد يومئذ وما معهم غيرهم [1].

* * *

(١) قضاء أمير المؤمنين: ٢٦ ـ ٢٨.

(٨٠)

حيلة!

أُتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت برجل من الانصار وكانت تهواه ولم تقدر له على حيلة فذهبت فأخذت بيضة فأخرجت منها الصفرة وصبت البياض على ثيابها بين فخذيها ثم جاءت إلى عمر فقالت له: ان هذا الرجل قد أخذني في موضع كذا وكذا ففضحني.

قال: فهم عمر أن يعاقب الانصاري، فجعل الانصاري يحلف وامير المؤمنين (عليه السلام) جالس وهو يقول لعمر تثبت في أمري، فلما أكثر الفتى قال عمر لأمير المؤمنين (عليه السلام): يا أبا الحسن ما ترى؟

فنظر امير المؤمنين إلى بياض على ثوب المرأة بين فخذيها فاتهمها أن تكون احتالت لذلك فقال: ايتوني بماء حار قد اغلى غلياناً شديداً، ففعلوا فلما اتى بالماء امرهم فصبوا على موضع البياض فاشتوى ذلك البياض، فأخذه امير المؤمنين فألقاه في فيه، فلما عرف طعمه ألقاه من فيه ثم أقبل على المرأة حتى أقرت بذلك ودفع الله عز وجل عن الانصاري عقوبة عمر [1].

---

(١) قضاء أمير المؤمنين: ١٤ ـ ١٥.

(٨١)

المضطرة

روي ان امرأة شهد عليها الشهود انهم وجدوا في بعض مياه العرب رجلا يطأها ليس ببعل لها، فأمر عمر برجمها ـ وكانت ذات بعل ـ.

فقالت: اللهم انك تعلم اني بريئة.

فغضب عمر وقال: وتجرحين الشهود أيضاً.

فقال أمير المؤمنين (ع): ردوها فاسألوها فلعل لها عذراً، فردت وسئلت عن حالها فقالت: كان لأهلي إبل فخرجت في ابل اهلي وحملت معي ماءً ولم يكن في ابل اهلي لبن، وخرج خليطنا وكان في ابله لبن، فنفد مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي، فأبيت فلما كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرهاً. فقال أمير المؤمنين (ع): الله اكبر فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه. فلما سمع ذلك عمر خلى سبيلها[1].

* * *

(١) المصدر السابق: ٤٣ ـ ٤٤.

(٨٢)

اليتيمة

انه كان على عهد امير المؤمنين (عليه السلام) رجلان متؤاخيان في الله عز وجل، فمات احدهما وأوصى إلى الاخر في حفظ بنية كانت له، فحفظها الرجل وأنزلها منزلة ولده في اللطف والاكرام والتعاهد لها، ثم حضره سفر فخرج وأوصى امرأته في الصبية فأطال السفر حتى اذا أدركت الصبية وكان لها جمال وكان الرجل يكتب في حفظها والتعاهد لها. فلما رأت ذلك امرأته خافت أن يقدم فيراها قد بلغت مبلغ النساء فيعجبه جمالها فيتزوجها، فعمدت اليها هي ونسوة معها قد كانت أعدتهن، فأمسكنها لها ثم افترعتها باصبعها، فلما قدم الرجل من سفره وصار في منزله دعا الجارية فأبت ان تجيبه استحياء مما صارت اليه، فألح عليها في الدعاء كل ذلك تأبى ان تجيبه.

فلما أكثر عليها قالت له امرأته دعها فانها تستحي أن تأتيك من ذنب كانت فعلته ـ ورمتها بالفجور ـ فاسترجع الرجل ثم قام إلى الجارية فوبخها وقال لها: ويحك أما علمت ما كنت اصنع بك من الالطاف، والله ما كنت اعدك الا كبعض ولدي أو اخوتي وان كنت لابنتي فما دعاك إلى ما صنعت.

فقالت له الجارية: اما اذ قيل لك ما قيل فوالله ما فعلت الذي رمتني به امرأتك ولقد كذبت علي، فان القصة كذا وكذا ووصفت له ما صنعت به امرأته.

فأخذ الرجل بيد امرأته ويد الجارية فمضى بهما حتى اجلسهما بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسن بين يدي ابيه فقال له أمير المؤمنين: اقض فيها.

فقال الحسن نعم على المرأة الحد لقذفها الجارية وعليها القيمة لافتراعها.

فقال أمير المؤمنين صدقت. ثم قال: أما لو كلف الجمل الطحن لفعل[1].

* * *

(١) قضاء أمير المؤمنين: ١٨ ـ ١٩.

(٨٣)

الرياضة و..الطلاق!

كانت نرجس تهوى كرة القدم كثيراً. وكانت أفضل لاعبة في ثـانويتها... ولهذا فان عضوات فريقها يهتفون لها دائماً.

بعد أن نالت نرجس الثانوية انتقلت إلى بيت الزوجية وتزوجت شاباً هـو الآخر يهوى الرياضة ويمارسها.

لم تكن نرجس لتدرك بعد حجم مسؤوليتها في الحياة المشـتركة كـانت تتصرف كما لو كانت طالبة في الثانوية.

فبدل أن تقرأ في صفحات الحياة كانت تقضي وقـتها بـتصفح المـجلات الرياضية ومشاهدة مباريات كرة القدم، وتفاقم الاختلاف بينها وبين زوجها إلى أن وصل ابواب المحاكم.

والآن فان الزوجين ينتظران خلف الباب الموصد حيث يجلس القاضي في مكتبه، وعندما استدعاهما للتحقيق في اسباب الخلاف:

ـ لماذا تريدان الانفصال بعد أن اثمر زواجكما.

قال الشاب:

ـ سيدي القاضي لقد تزوجت منذ عام ونصف وكنت سعيداً وقتها لأن زوجتي تهوى الكرة القدم مثلي وتتابع اخبارها بشوق واهتمام... ولكني لم اكن أتصوّر ان هذا سيكون السبب في اختلاقنا ونزاعنا، فزوجتي تؤيد الفريق الذي ينافس الفريق الذي اتحمس له. وقد سبب هذا مشكلة في علاقتنا الزوجية بدأت المشكلة صغيرة ثم تحولت إلى حساسية مفرطة لدينا على السواء.

كانت زوجتي تسخر باستمرار من الفريق الذي اناصره، وكنت اردّ بالمثل.

أمّا اذا تبارى الفريقان فان الاختلاف والجدل يصل ذروته في بيتنا. فاذا هزم الفريق الذي تؤيده زوجتي، فانها تصبح عصبية جدّاً لااستطيع أن اتحدّث معها جملة واحدة.

وفي هذه اللحظة تدخلت الزوجة وقالت:

ـ أنت الذي كنت تؤجج هذه النار، أليس انت الذي تشتري دائماً قميصاً ازرق اللون لابنتي وانت تعرف انني امقت هذا اللون لأنه بلون الفريق الذي ينافس فريقي ؟!

التفت الرجل إلى القاضي وخاطبه قائلاً:

ـ سيدي القاضي أرجو أن تسأل زوجتي ما هو العيب في اللون الازرق. لماذا هذه الحساسية من هذا اللون ؟ لماذا تصبح عصبية لماذا تصرخ كلما اشتريت لابنتي قميصاً بهذا اللون ؟ لماذا تمزقه ؟ لماذا تشتري قميصاً أحمر اللون ؟

قالت الزوجة:

ـ وانت ؟ لماذا لا تحاسب نفسك ؟ لماذا تدعو اصدقاءك لتحتفل بفوز فريقك ؟ لماذا تفعل ذلك ؟ اليس من أجل اغاظتي ؟

وصلت حدّه الجدل بين الزوجين ذروتها إلى الحدّ الذي طلب القاضي منهما التزام الهدوء قائلاً:

ـ ايها السيد وايتها السيدة : أرجو الّا تحملاً هذه المسألة محمل الجد . أرجو أن تفكرا في طفلتكما ، لماذا تنسيان هدف زواجكما الرئيسي .

ان الانسان العاقل اذا سمع بمشكلتكما فانه سيصاب بالدهشة . هل يعدّ هذا اختلافاً يستحق من أجل تحطيم بيت سعادتكما .

نصح القاضي الزوجين بالعودة إلى المنزل والحوار الهاديء والتفكير فيما يقدما عليه من ضياع مستقبل الاسرة وسعادتها[1].

* * *

(١) جريدة ايران العدد ٧٧ السبت ٧٤/٢/١٩ بتصرّف .

(٨٤)

حسن التبعّل

أخرج البيهقي في تفسير الدر المنثور عن اسماء بنت يزيد الانصارية، انها أتت النبي (ﷺ) وهو بين اصحابه فقالت:

ـ بأبي انت وأمي انّي وافدة النساء اليك واعلم ـ نفسي لك الفداء ـ انّه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا الاّ وهي على مثل رأيي...

ان الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فامنّا بك وبالهك الذي ارسلك، وانّا معشر النساء محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم.

وانكم معشر الرجال فضّلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وان الرجل منكم إذاخرج حاجّاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم اموالكم، وغزلنا لكم اثوابكم، وربّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي (ﷺ) إلى أصحابه بوجهه كلّه ثم قال:

ـ هل سمعتم مقالة لمرأة احسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟

فقالوا:

ـ يا رسول الله ما ظنّنا ان امرأة تهتدي إلى مثل هذا!

فالتفت النبي (ﷺ) اليها ثم قال لها:

ـ انصرفي ايتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء:

ان حسن تبعّل احداكن وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كلّه.

فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبّر استبشاراً[1].

* * *

(١) تفسير الميزان: ج ٣٧٢/٤ ط دار الكتب الاسلامية.

(٨٥)

عالمة الفيزياء

في عام ١٨٦٦ وفي أوائل تشرين ولدت بنت اسمها «مارى» في بولندا.

كانت حالة الأسرة من الفقر بحيث اذا توقفت ماري عن العمل فان دخلها المتواضع سيتزعزع.

وعندما بلغت ماري التاسعة عشرة من العمر استخدمت ممرضة لدى اسرة ثرية لترعى طفلها الرضيع.

وعندما عاد ابن الاسرة الثرية لامضاء العطلة الصيفية والتقى ماري اعجب بها واحبّها.

ويطلب ابن الاسرة يدها للزواج، غير أن الأسرة وقفت تعارض ذلك بشدّة فينصرف الفتى عن الفكرة.

واثر ذلك شعرت ماري ان الفقر قد حطّ من مستواها الاجتماعي ومن هنا قرّرت الانصراف عن الزواج والسفر إلى باريس لاستكمال دراستها.

كانت ماري قد وفرت خلال تلك السنين مبلغاً من المال يغطّي نفقات السفر.

وفي عام ١٨٩١ انتظمت في كليّة العلوم في جامعة السوربون.

كانت الطالبة تعاني الفقر في مدينة باريس، ذلك ان المال الذي يرسله أبوها لا يكفي لتغطية متطلبات الحياة في تلك المدينة.

ولذلك كانت تمضي الشتاء القارص في غرفة بلا مدفأة وكانت لا تستطيع النوم من شدّة البرد فتلجأ إلى المطالعة والدراسة.

وهكذا كانت تواصل دراستها في ظروف مريرة، وكانت الأولى في الرياضيات كما كانت متفوقة في الفيزياء حتى انها حصلت على جائزة خاصّة في هذا الحقل.

وفي عام ١٨٩٤ تعرّفت ماري على شاب وذلك في منزل البروفسور «كونسكي» وهو من وطنها بولندا.

شعر الشاب «بيير كوري» انه أمام فتاة تمتاز بنبوغ خارق لهذا عرض عليها الزواج: وتم الزواج سنة ١٨٩٥.

بدأ الزوجان الفيزيائيان حياتهما المشتركة في ظروف معاشية صعبة، كانا لا يملكان من الدنيا غير درّاجتين هوائيتين كانا يسافران بهما إلى اطراف باريس لقضاء شهر العسل.

وفي ١٢ ايلول سنة ١٨٩٧ ولد طفلهما الأول، وفي العام نفسه حصلت ماري على شهادة الدكتوراه في الفلسفة فراحت تواصل دراساتها الفيزيائية.

وفي عام ١٨٩٨ اكتشفت ماري عنصراً جديد سمته باسم بلدها «بولونيوم».

وفي عام ١٩٠٣ اكتشفت عنصراً آخر هو «الراديوم» وهو عنصر مشع وتبلغ شدّة الاشعاع فيه ميلوني مرّة بقدر «اليورانيوم».

ويستخدم الراديوم اليوم في ميادين الطب والعلوم الفيزيائية.

وقد عرف عن بيير كوري يأسه خلال التجارب ولكن ماري كانت تشجعه على مواصلة الاختبارات وكانت تبعث في روحه الأمل وفي ظلال هذا التعاون حصلاً معاً على جائزة نوبل.

وفي مطلع تشرين ١٩٠٤ اصبحت ماري كوري رئيسة قسم الفيزياء في كلية العلوم.

وفي ١٩ ابريل ١٩٠٦ وقع حادث مؤسف لزوجها عندما دهسته عربة.

خلفت ماري زوجها في رئاسة مختبر العلوم، وفي عام ١٩١٨ حصلت ماري كوري على جائزة نوبل في الكيمياء.

وقد غضت ماري النظر عن حقوقها كمكتشفة للراديوم بالرغم من الاضرار التي حاقت ببدنها بسبب اشعاعات هذا العنصر.

دفنت ماري كوري في مقبرة «دي سو» إلى جانب قبر زوجها ولأنها كانت تحب الزهور فان باقة ورد توضع على قبرها دائماً.

* * *

(٨٦)

العروس والقطة

حكوا، ان أحد ملوك خراسان خطب ابنة أحد ملوك فارس وكـان مـلك فارس قد جهز ابنته باحسن جهاز، واخيراً ارسل الملك ابنته العروس في قافلة مؤلفة من مئة بعير تحمل فاخر الثياب والجواهر والحلي الذهبية، يحفّ بها مئة غلام هندي وصيني ومئة جارية تركية.

ومن جانب آخر كان العريس قد أرسل من قبله رئيس تشريفاته وقال له: راقب الفتاة جيداً لتعرف مدى أدبها ومبلغ وتربيتها، وانظر بـم تـهتم واي شـيء ترغب ومع من تجلس وتتحدث.

والتقى رئيس التشريفات القافلة في منتصف الطريق، فلما زار العـروس وجدها تلعب مع قطة لها وقد البستها قلادتها.

فعاد رئيس التشريفات من فـوره إلى العـريس واخـبره بـما رأى، فـقام العريس على الفور بتسليمه مبلغ خمسين الف دينار وهي نصف مهر العروس.

وارفق ذلك مع ورقة بطلاقها وكتب في ذلك: ان من يكون كل همّه اللعب مع القطط، لا يليق به مجالسة الملوك ولا تعدو قيمته قيمة القطة التي يلعب معها».

٨٧

الشحاذة

حكوا انه في قديم الزمان كان ملك انطلق إلى الصيد فمرّ في المدينة بامرأة عجوز ومعها صبية في العاشرة من عمرها لم ير مثل جمالها وحسنها لكأن القمر يمشي على الارض.

كانت الصبية ترافق العجوز العمياء وتطرق الأبواب بعصاها وتسألهم صدقة. فلما رأى الملك جمال الصبية قال لوزيرة:

ـ من الحيف ان تنشأ هذه الصبية الحسناء في احضان هذه العجوز الشمطاء فتعلمها الشحاذة.. وانها لو نشأت في نعمة وتلقت تربية لاصبحت أهلاً في معاشرة الملوك.

أجاب الوزير:

ـ ان ما يقوله مولاي الملك حق، ولكن التربية تحتاج إلى استعداد ذاتي والّا لا طائل من ورائها ولا جدوى فيها.. ان هذه الصبية ومذ فتحت عينيها ووعت ما حولها رأت هذه العجوز وهي تطرق ابواب البيوت وتسأل الناس الصدقات، فنشأت وكبرت مما تجلبه العجوز من هذه الطريق.

ولو أن ألف افلاطون بذل جهده في قلع هذه الملكة من وجودها لعجزوا لأنها نشأت منذ ولادتها على هذه الصفة ولن تفلح معها تربية المربّين.

قال الملك: ايها الوزير ان رأيك لا يتماشى مع رأيي ولكن كما تؤثر الكيمياء في النحاس والربيع في الشجر فان التربية تؤثر في البشر.

قال الوزير: يا «شهريار» العظيم ان قبول التربية أمر ذاتي لا كسبي عارض. فما لم يوجد استعداد ذاتي في الشخص لتقبل التربية فانه لن يتأثر بها.

وهذا المعنى في الببغاء وغيرها من الطيور اننا نجد سائر الطيور لا تتعلم من الملقّن شيئاً لأنها لا تمتلك مثل قابلية الببغاء.

ولو جئنا بمئة مثل «لقمان» ليعلم طيراً كيف ينطق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولكن طفلاً صغيراً بامكانه ان يعلم الببغاء ذلك.

قال الملك:

ـ انني سأربّي هذه الصبية لاكشف لك الحقيقة.

أمر الملك ان يهبوا المرأة العجوز مبلغاً كبيراً من المال يغنيها عن التماس الصدقات، وأخذوا منها الصبية ليذهبوا بها إلى القصر.

وعين الملك لها نساءً عاقلات عالمات من أجل تربيتها ومراقبتها، فنشأت الصبية في ذلك القصر وتفتحت انوثتها، حتى اذا بلغت الرابعة عشرة من عمرها أصبحت كالقمر في ليلة الرابع عشر.

فأمر الملك حينئذٍ بتزيين القصر لاستقبالها وأعلن انه سيعقدها لنفسه ويصطفيها زوجة له.

وكان الملك يزداد لها حبّاً كل يوم، فيتردد على قصرها ويجالسها ويتحدث اليها ويتضاعف اعجابه بها.

وهكذا كان شهريار السعيد كلما رأى وزيره عرّض به قائلاً له: أرايت كيف أصبح كلامك ... انه لم يكن الّا وهماً وخيالاً.

وكان الوزير يجيب: ما زلت على رأيي ولسوف يظهر صدق كلامي.

ومضت مدّة ومرّ زمان.

جاء الملك إلى قصر زوجته على غير عادته ودخل حجرتها في غير الوقت المعتاد، فلم ير لها أثراً فسأل الخدم والجواري عنها فقيل له: انها تذهب إلى حجرة وتوصد الباب خلفهاكل يوم وتمضي فيها ساعتين ثم تخرج، فلا نعلم عنها وعن حالها في الحجرة شيئاً!

ظن الملك ان الحجرة محلّ استراحتها فانتظر ولكن دون جدوى.

فنهض والقى نظره من النافذة، فرأى تلك الفتاة ترتدي نفس ثيابها التي جاءت بها قبل اعوام، وانها ترتديها لتذهب إلى المدينة وتتسلّى بعملها القديم تسأل العابرين وتترحمهم.

* * *

(٨٨)

المهاجرة

في تاريخ الاسلام تتألق نسوة تألق الابطال ،وعندما نتصفح التاريخ المشرق لصدر الاسلام تطالعنا سيّدة شجاعة كانت الصحابيات المهاجرات في تاريخ الاسلام .

اسمها «أم كلثوم» .. كانت فتاة عندما اسلمت ولم تكن قد تزوّجت بعد .

أما أهلها فكانوا وثنيين ، وعندما هاجر النبي (ﷺ) الى المدينة المنورة ، فرّت أم كلثوم الى المدينة بصحبة رجل من قبيلة خزاعة .

وعندما علم أخوتها جاءوا إلى المدينة ليأخذوا اختهم ويردّونها .

ولكن النبي (ﷺ) رفض تسليمها ، فلا ولاية لمشرك على مسلمة .

فلما يئس أخوتها عادوا من حيث جاءوا اما السيدة المهاجرة فقد تزوجت من زيد بن حارثة» الذي استشهد في معركة مؤتة على الحدود مع الروم .

* * *

(٨٩)

الضامنة!

في عام ١٠٨٠ هـ. ش هاجم «التركمن» «استارآباد» وأسروا بعض اهلها، وكان من بين الاسرى فتاة وحيدة لامها، ولذا فقد فـجعت الأم بـفقدها وظـلّت تندبها وتبكي.

وذات يوم حدّثت الأم نفسها قائلة أيعجز من ضمن الجنّة في زيـارته أن يضمن لي ابنتي. لهذا عزمت الذهاب إلى مشهد المقدسة والاقامة هناك.

اما الفتاة فقد بيعت في اسواق بخارى جارية.

وذات ليلة رأى رجل مؤمن هذا في عالم المنام كأنه يغرق في لجّة بـحر، وفجأة يرى فتاة تمدّ يدها اليه وتنتشله من الغرق.

هبّ الرجل المؤمن من نومه واستغرق في فكر عميق.

ترى ما تعبير هذه الرؤيا المخيفة؟!

خرج الرجل من منزله لشراء بعض الحاجيات فمرّ بـالخان حـيث تـحط القوافل رحالها ويبيع التجار ما جاؤا به من بلدان بعيدة.

وفي الخان قال له تاجر ان عندي جارية جميلة فان كانت لك رغبة فانظر إليها.

وانطلق الرجل مع التاجر وأراه الجارية .

وعندما وقعت عيناه دهش لأنها نفس الجارية التي رآها في عالم النـوم، فاشتراها وعاد بها إلى منزله وراح يسألها عن أصلها ونسبها .

قالت الفتاة : انا من أهل استراباد ومن جملة الأسرى الذين أخذهم التركمن عندما أغاروا على مدينتنا .

رق الرجل للفتاة وقال لها : ان عندي بنون أربعة فان شئت زوّجـتك مـن تشاءين .

قالت الفتاة اتزوّج مـن يـقبل شـرطي وهـو أن يأخـذني لزيـارة الامـام الرضا (عليه السلام) .

وافق أحد أولاد الرجل على شرط الفتاة وتزوجها ، ثم انطلق بعروسه إلى مشهد .

ويشـاء القدر أن تمرض الفتاة قبل أن تصل المدينة، فخفّ الزوج إلى المرقد ودعا الله أن يقيض له من يمرّض زوجته .

ولما غادر الحرم إلى المسجد رأى في طريقه امرأة عجوز فقال لها : يا أمّي أنا رجل غريب وزوجتي مريضة ، وأسألك أن تساعديني في تمريضها ولك ثواب الآخرة وأجرة التمريض!

وافقت المرأة العجوز ورافقت الرجل إلى حيث أودع زوجته المريضة .

ولمّا كشفت المرأة العجوز الغطاء عن وجه المريضة ، صرخت هذه ابـنتي والله ! ثم وقعت مغشيّاً عليها .

وانتبهت الفتاة على صرخة امّها فلما فتحت عينيها دهشت ثم بكت فرحاً ونضحت الماء على وجه أمها ، ولم تمض سوى ساعة حتى كانت الفتاة قد غادرت فراش مرضها ودماء العافية تجري في وجهها[1].

---

(١) راحة الروح : ١١٧ علي اكبر النهاوندي.

٩٠

المخدوعة

جلست الفتاة أمام القاضي تبكي، كانت في الرابعة والعشرين من العمر.

وضعت وجهها بين كفيها وقالت بعبرة:

ـ لقد أصبحت بائسة شقية يا سيدي القاضي:... لقد حطمت زميلتي سوسن كل سعادتي وسوّدت حظي.

قال القاضي:

ـ يا سيدة ميترا إهدئي قليلاً واعرضي شكواك.

استأنفت ميترا شكواها:

ـ تعرّفت على: «اتوسا» و«سوسن» في السنة الأولى من الثانوية كنا نجلس معاً في مقعد واحد، وعندما حصلنا على الثانوية تزوّجت «آتوسا»، اما أنا وسوسن فقد اشتركنا في امتحان القبول في الجامعة ولم نوفق، ولذا قررنا أن ندرس معاً ونستعد للامتحان القادم مرّة اخرى.

وذات يوم جاءت ولم يكن في المنزل سواي جاءت آتوسا وطلبت مني أن اصغي جيداً..

كانت تتحدث عن أخيها أحمد.. خطبتني لأخيها قالت أنه طالب في الاتصالات وسيتخرج قريباً وقد قرر السفر إلى الخارج لاستكمال دراسته.. ولذا فهو ينوي الزواج من فتاة طيبة ومثقفة فيسافر مع زوجته إلى كندا.

وعرضت الأمر على والدي وبعد تشاور اتفقنا على يوم الخطوبة.

وذات يوم جاءت سوسن لتأخذ مني كرّاسة ما واثناء حديثها معي ادركت انها تخطبني لابن عمها مجيد.

ولذا اخبرتها بان آتوسا قد خطبتني لاخيها أحمد وقد تحدد موعد الخطوبة ليأتي مع اسرته ويطلب يدي.

فوجئت سوسن وقالت بلا مقدّمة:

ـ انني انصحك بالغاء الموعد.. ان احمد هذا لا يليق بك أنه شاب سيء.. لقد خطبني قبلك وعندما حققت اسرتي في الموضوع ظهر بانه يرافق اشخاصاً طالحين.. ثم انه يكذب في قضية دراسته الجامعية وادعائه السفر إلى الخارج.. انصحك بالّا تلقين نفسك في هذ التهلكة!

امّا «مجيد» فقد عرّفته اليّ بانه محاسب في شركة تجارية شاب في الثلاثين من عمره تبدو عليه الدماثة اعلنت موافقتي اذا ما تقدّم للخطوبة.

عرفت اسرتي بموقفي وتعيّن موعد الخطوبة والزواج. وخلال تلك الفترة كانت زميلتي اتوسا تتصل هاتفياً وتستفسر عن سبب انصرافي عن فكرة الزواج من أحمد!

وفي كل مرّة كنت اختلق عذراً.

وهكذا تزوجت من مجيد.. وبدأنا حياتنا المشتركة، ومضى اسبوع من زواجنا وبدأت الاحظ انه وفي كل مرّة يعود بها إلى المنزل يحضر معه سلعاً منزلية، وتساءلت عن هذه السلع ومن أين له بهذه الحلي الذهبية والاغراض

المنزلية ؟!

فيقول لي: انه أسّس مع بعض رفاقه شـركة تـتاجر بـالسلع والأغـراض المنزلية !

كان دخله جيداً وكانت حياتنا مرفّهة وذات ليلة جاء مجيد وهو يقود سيارة حمل صغيرة وكانت مليئة بالأغراض المنزلية فافرغ حمولته في مرآب السيارة واخبرني انه اختلف مع اصدقائه في هذه الشركة وتقرّر تقسيم ممتلكاتها !

ولم تمض ساعة حتى دهمنا رجال الشرطة، وفرّ مجيد من سطح المنزل.

وقام رجال الشرطة بضبط جميع الاثاث حتى الحلي الذهبية التي اشتراها مجيد في الخطوبة والزواج؛ واخبرتني الشرطة:

ـ زوجك لصّ من أرباب السوابق وهو عضو في عصابة يطاردها الشرطة منذ وقت طويل.

وتمكن رجال الشرطة من القاء القبض عـلى زوجـي فـي نـفس اللـيلة واقتادوه معهم.. والآن يا سيدي القاضي اطلب الطلاق لانني لا اريـد أن أكـون زوجة للص سارق.

وقام القاضي وبعد دراسة لملفّ القضية وتفحّص الادلّـة بـاصدار حكـم الطلاق[1].

* * *

(١) جريدة ايران العدد ١٤/٢٢٦.

٩١

عتبة الدار!

ماتت السيدة هاجر وولدها اسماعيل مقبل على مرحلة الشباب .

كان اسماعيل قد شبّ وكبر واشتهر بين جيرانه بالشجاعة والشهامة والكرم، وعرف عنه قوّة الايمان وصدق الوعد والصبر .

وكان قد تعلم لغة جيرانه قبيلة جرهم العربية .

لذلك كان أهل القبيلة يحبّونه وينظرون اليه نظرة اعجاب واكبار .

وعندما توفيت والدته رأوا أن يزوّجوه فتاة منهم ترعاه وتسهر على راحته وتقوم على خدمته .

فانتخبوا له فتاة اسمها «عمارة» وزوّجوه منها .

وذات يوم انطلق اسماعيل في رحلة للصيد والقنص مع بعض شباب القبيلة .

وجاء سيّدنا ابراهيم إلى مكة لزيارة ولده، فخرجت إلى ابراهيم امرأة اسماعيل فسألها ابراهيم :

ـ من تكونين

قالت :

ـأنا زوجة اسماعيل

قال:

ـاين اسماعيل ؟

ـخرج ليتصيّد ما نعيش به.

ـوكيف حالكما وحال معاشكما ؟

ـإننا في شرّ حال.. عوز وبؤس وضيق شديد.

سكت سيدنا ابراهيم قليلاً ثم قال.

ـاذا جاء زوجك إقرأيه السلام، وقولي له: غيّر عتبة دارك.

قال سيدنا ابراهيم ذلك وانصرف.

عاد اسماعيل من رحلته، فسأل زوجته:

ـهل جاء أحد في غيبتي ؟

أجابت.

ـنعم جاءنا شيخ لا أدري من هو سألني عنك وعن معاشنا فأخبرته انك تسعى لمعاشنا وانّنا في عوز وبؤس وضيق شديد.

قال اسماعيل:

ـفهل أوصاك بشيء.

أجابت:

ـنعم.. أمرني أن اقرئك السلام وأن أقول لك غيّر عتبة دارك.

قال اسماعيل وقد عرف أن الشيخ الزائر أبوه:

ـذاك أبي ابراهيم، وقد أمرني أن أفارقك فالحقي باهلك، ثم طلقها وتزوّج من أخرى كما أمره أبوه.

وكانت التي تزوجها فتاة تدعى «بنت مضاض بن عـمر الجـرهمي» ولم

يلبث ابراهيم أن عاد يتفقد ولده ، فأتى دار اسماعيل ، فلم يجد فيها الاّ زوجته الثانية ، فسألها عن اسماعيل فاخبرته انه خرج يبتغي لهم رزقاً .

فسألها ابراهيم عن حالها ، فلهج لسانها بالثناء وفاحت بالحمد ، وذكرت له انها بخير من الله كثير وفيض من نعمته عميم .

فاطمأن قلبه وانشرح صدره إذ رآها ، قانعة راضية شاكرة ، وعلم انهما بخير وسعة ، فأمرها أن تقرىء زوجها السلام وتوصيه أن يحافظ على عتبة داره . قال ذلك ابراهيم وقفل راجعاً إلى فلسطين .

وعاد اسماعيل من رحلة الصيد مساءً إلى داره ، فقالت له زوجته :

جاءنا شيخ في غيبتك حسن الهيئة ذو جلال ووقار ، وسأل عنك ، ثم دعا لنا بالخير وأوصاني أن اقرئك السلام ، وأعلمك أن تثبت عتبة دارك .

قال اسماعيل : ذاك أبي ابراهيم وقد أمرني الاّ أفارقك فلازمها مدّة حياته ، وكانت أمّ ابنائه ، وسرّ اسماعيل ورضي عن زوجته برضى أبيه عنها .

* * *

٩٢

المدمنة

امضى رجال الشرطة في طهران اسبوعاً في البحث عن فتاة في الرابعة عشر من عمرها.

كانت «مهستي» وكعادتها تذهب إلى المدرسة صباحاً وتعود ظهراً ولكنها لم تعد إلى المنزل ذلك اليوم وعندما لم تعد إلى البيت ليلاً شعرت أسرتها بالقلق.

وأحيطت الشرطة علماً بالحادث، وعندما مضى يومان ولم تعثر الشرطة على أثر نشرت صورتها في الصحف ووجهت نداءات لمن لديه معلومات أن يتصل ويساعد الشرطة في البحث.

وفي تلك الاثناء وفيما كانت الاسرة تعيش حالة مدمّرة من القلق كانت مهستي تعيش في منزل في شارع «س» في قبضة غول من غيلان الهيروئين مع عدّة فتيات وليس هناك من أمل في خلاصها لولا حادثة وقعت.

ونترك الاشارة للحادثة لنتعرّف على مهستي وكيف سقطت في هاوية الادمان.

نشأت مهستي يتيمة الأب، وكانت امّها قد تزوّجت، ويمكننا أن نحدس مدى هموم مهستي بعد هذا الزواج، لقد اهملت إلى حدّ ما، وقادها هذا الاهمال إلى ان تتعرف على أمرأة شابّة تدعى «پري» تسكن منزلاً قريباً من بيت مهستي.

وكان هذا التعارف بداية للسقوط في الفخ. ذلك ان پري نفسها كانت قد تعرّفت على شاب اسمه «همايون» والاخير مدمن على المخدّرات.

وعندما رآها مرّة مع مهستي فكر في اصطيادها، ولذا اصرّ على پري أن تعرّفه عليها.

وذات يوم كانت پري ترافق مهستي في أحد الشوارع عندما توقفت سيّارة همايون إلى جانبها، فركبا سيارته التي انطلقت بهم إلى خارج المدينة.

وفي العودة إلى المدينة أوصل همايون پري إلى منزلها، وأخذ معه مهستي إلى منزله ومن ذلك اليوم اختفت مهستي. حتى وقع ذلك الحادث الذي اشرنا اليه!

كان الوقت عصراً عندما دخلت امرأة شابّة محلاً للبيع في «تهران نو» لتهاتف أحداً أدارت قرص الهاتف ثم:

ـ الو: همايون؟

ـ...

ـ كيف الأمور؟ قرأت الصحف؟... دعني اتحدّث مع مهستي.

وهنا هبّت صاحبة المحل لقد هزها الاسم «مهستي»، انسلت من المحلّ على أطراف اصابعها، وطرقت على باب منزل، وقالت لصاحبة المنزل:

ـ اذا أردت اخباراً عن مهستي فتعالي إلى المحلّ هناك امرأة تتحدّث هاتفياً.

كانت المرأة الشابّة ما تزل تمسك بسماعة الهاتف عندما وجدت نفسها وسط جمع من النساء والرجال.

وكانت امرأة تهتف بعصبية

ـاين ابنتي ؟ ... مع من تتحدثين ؟!

وفوجئت المرأة الشابة التي حاولت التملص بشتى الوسائل، ولكنها انهارت في النهاية وكتبت عنوان المنزل الذي توجد فيه مهستي.

وانطلق بعض من يهمّه مصير تلك الفتاة إلى الشارع (س) بمعية رجال الشرطة.

واقتحمت مجموعة من رجال الشرطة المنزل ليخرجوا بعد دقائق ومعهم شابان واربع فتيات كانت مهستي من بينهن.

واثناء التحقيق، كانت الأم تحدّق في وجه ابنتها ... سرعان ما غادر وجهها ماء الحياة.. وحل مكانه الشحوب.

وكانت عيناها منطفئتين وغاب عنهما تألق الشباب، وكانتا لا تستقرّان في محجريهما.

وبالطبع كشف الطب العدلي اسرار هذه التغيّرات لتأخذ القضية شكلاً آخر.

واثبتت الاختبارات الطبية والفحوصات السريريةعن ادمان مهستي على الهيروئين!

وقد أثار وجود اربع فتيات في بيت الشقيقين دهشة الشرطة.

وعندما توجه المحقق بالسؤال للفتيات عن دوافع وجودهن في هذا البيت قالت احداهن: انها صديقة لهمايون وقالت أخرى: انها قريبة له.

أما مهستي فقد اعترفت انها وقعت تحت تأثير واغواء «پري» وقد كشفت التحقيقات عن وجود اعمال منظمة يقوم بها همايون لاختطاف الفتيات ومن ثم توريطهن بالمخدرات.

وأفاد الجيران انهم سمعوا صراخ فتاةينبعث من داخل البيت، وكشفت

الفحوصات عن جراح وشدّات على رأس فتاة.

وقد ظهر فيما بعد ان همايون عضو في عصابة لتوزيع المخدرات وكان همايون يورط الفتيات بالادمان على المخدرات للاستفادة منهن في الايقاع بالفتيات.

وعندما تقع الفتاة في حبائله فانه يقوم بالاستفادة منها في مآرب أخرى.

وكنت مهستي ضحيته الأخيرة التي كان من المقرر الاستفادة منها في توزيع المخدرات بين طالبات الثانوية!

* * *

٩٣

المنحرفة

لم يكن قد مرّ وقت طويل على تلك الايام السيئة الأيام التي كل لحظة من لحظاتها تجعلني اتشظى .. الأيام التي اعتبرها أسوأ وأمرّ أيام حياتي.

الأيام التي سحقتني سحقاً سحقت الفتاة بربيعها السابع عشر .. انني اروي قصّة حياتي لكل الفتيات حتى يحذرن عند انتخاب الاصدقاء.

كنت الطالبة الأولى في صفّي ليس في تلك السنة بل في كل سنوات الدراسة وكنت القدوة دائماً ..

كنت في السنة الأخيرة من الدراسة الثانوية .. وقد عهدت الي مدرسة الرياضيات أن ادرّس الطالبات الضعيفات في هذا الدرس، ولهذا تشاورت معهن في تحديد أوقات الدراسة، وكانت «فيروزة» إحدى تلك الطالبات.

كان الاتفاق أن يكون الدرس كل يوم وفي كل مرّة في بيت إحدى الطالبات وكان همّي كلّه يدور حول فيروزة، حاولت أن اخصص لها وقتاً أكثر وأن التفت إلى معاناتها الروحية، كما أن مدرستي السيدة «جاويدي» أوصتني بذلك.

وعندما وصل الدور إلى فيروزة وذهبنا إلى بيتها، فوجئنا جميعاً، ذلك اننا وجدنا البيت قصراً منيفاً، وكانت دهشتنا هي: كيف يمكن لفتاة وبكل هذه الامكانات أن تكون ضعيفة في الدراسة.

وانقضى درسنا ذلك اليوم وسط دهشة وحيرة الفتيات بذلك القصر الكبير!

ومن ذلك اليوم أخذت علاقتي بفيروزة شكلاً آخر.

ولذا أصبحت أتردد اليها في مناسبة وفي غير مناسبة وكان الشيء الذي أدهشني هي الحرّية المطلقة التي تتمتع بها فيروزة.

كانت حرّة في كل شيء، وكانت مستقلّة في كل شيء!

وعندما كنت اسألها عن هذه الحياة تقول:

ـ أبي وأمي يعملان، فأبي يدير شركة أهلية وتعمل أمي معاونة له، أما أنا وأخي «فرزاد» فندرس، أخي فرزاد يعيش في الطابق الأرضي وأنا أعيش في هذا الطابق.

لكلّ واحد منا حياته التي تخصّه، لا نلتقي الاّ في المناسبات ولعدّة ساعات، ثم يعود كل منها الى حياته الخاصّة.

قالت فيروزة ذلك ببساطة، وكان سلوكها وسلوك أسرتها يختلف عن أسرتي تماماً. وليس هناك من وجه تشابه بينها وبيني. ومع ذلك فقد خامرني احساس بانني استطيع أن اخلصها من هذا الوضع الذي تعيشه، خاصّة وقد اكتشفت نوع الاشخاص الذين يضايقونها تلفونيا؛ ولقد بذلت جهداً وسعيت في أن اخلصها من محنتها لكن دون جدوى.

كان هدفي سامياً ولكني اصبحت ضحية لحقدها وانتقامها.

ذات يوم كنت في منزلها وكانت تتحدث مع أحدهم هاتفياً وادركت ان الذي يتحدث اليها ليس انساناً سويّاً، اعترضت على سلوكها وطلبت منها أن تقطع

حديثها ولكنها لم تستجب لهذا عمدت الى انتزاع سلك التلفون وقطع الخط.

لم تملك فيروزة نفسها تحوّلت الى متوحشة وهجمت عليّ وراحت تصفعني وتركلني، صاحت بي: ان الأمر لا يتعلق بك ... ثم من تكونين... انها حياتي وأنا حرّة التصرّف.

لم تكتف فيروزة بذلك بل انها طردتني من المنزل.

اعتصمت بالصمت، وتجرّعت كل اهاناتها، ومع ذلك فقد كان قرار يصرخ في اعماقي: سأعمل على انقاذك مهما كلف الأمر!

في اليوم التالي التقيتها ولم يتحدث أحد منا عما حصل بالأمس.

ولكن رأيتها تتحدّث مع السيدة «جاويدي» وبعد انتهاء الدوام استدعتني لتخبرني: ان فيروزة لا تحتاج الى دروس خاصّة بعد ذلك، ولذا فلن تشترك في دروسك.

وتركتها لحالها وقلت لعلّ الله يصلحها، وهكذا تركتها في طريقها.

عند عودتي الى المنزل نظرت الي امّي نظرة حادّة، نظرة لا تشبه نظرات الأم ابداً، ورحت استعيد ما حصل لأعثر على تفسير لتلك النظرات

عندماخلوت في غرفتي واستغرقت في افكاري جاءت أمّي وقالت بلهجة فيها عتب:

ـ لم أكن لاتوقع ذلك منك.

قلت بدهشة:

ـ ولكن ماذا حصل ؟!

استأنفت أمّي حديثها بمرارة.

ـ لا أذكر انني ارضعتك الّا وأنا على وضوء فهل كان هذا جزاء إحساني ؟!

وددت أن اصرخ واقول: أنك تقتلينني ماذا حصل ؟!

قلت لها برجاء:

ـ ولكن يا أمّي انني لا أفهم ماذا تقولين ... ماذا حصل ؟!

أرادت أمّي مغادرة الغرفة ولكنها قالت عند عتبة الباب:

ـ لقد اتصل بك شاب وقال انه «سيامك» وأنه يريد التحدث مع «افسانة».

صرخت كمن لدغتني افعى:

ـ معي أنا ؟!

لاذت أمّي بالصمت. وغادرت الغرفة وقفزت اركض وراءها:

ـ اقسم انني لا أفهم شيئاً..

رأيت أساريرها تنفرج قليلاً قالت:

ـ نعم يا عزيزتي انني واثقة منك.

ومع ذلك فان سحابة من الشك كانت تطوف حواليها قلت لها:

ـ هناك من يحاول افساد الاجواء. سوف اثبت ذلك...

وفيما كنت افكر مذهولة قالت أمي:

ـ لقد قال انه سيتصل في الساعة الثالثة والنصف عصراً صرخت بعصبية:

ـ الاحمق الوقح قليل الأدب ... سأعلمه الأدب.

كانت عقارب الساعة تتحرك كسلى لا تتعاطف مع غضبي في انتظار تلك اللحظة .. لحظة الانتقام.

وأخيراً رنّ الجرس .. هرعت الى الهاتف قلت بصوت مرتجف:

ـ ألو!

في البدء سمعت صوت موسيقى صاخبة، ثم جاء صوته تشوبه قهقه خليعة.

ـ سلام .. افسانة خانم .. لقد اتصلت ولكنك كنت غائبة عن المنزل ..

قاطعته بحدّة:

ـ من يكون جنابك ؟!

ـ أنا.. سيامك والآن هل عرفتيني ؟

لذت بالصمت فاستغل سكوتي قائلاً.

ـ الم تعطيني رقم التلفون ؟!

كان صوته يدوّي في فضاء المنزل ذلك انني نظمت الهاتف على سماعة «الآيفون».

وشعرت أن أمي سوف تنهار.

واستأنف الصوت الخليع هراءه:

ـ لماذا لا تتحدثين ؟!

امسكت امّي بالسماعة فقال:

ـ أعطي السماعة الى افسانة.. الحقير اكتشف صوت أمّي بالرغم من أنها لم تبلغ الخامسة والثلاثين!

وتحدّثت أمّي الى أبي في تلك الليلة شرد ذهنه قليلاً ونظر من خلال النافذة وقال:

ـ قاتل الله قليلي الأدب:

ومرّت تلك الليلة بمرارة، وبعدها بدأت أيام التعذيب يمارسها ذلك الاحمق من خلال مضايقاته الهاتفية واهتزت روحي لهذا العذاب وللتهم الباطلة، وانعكس كل ذلك حتى على وجهي... لقد غادرته الطراوة وسحابة سوداء من الهم تطوف جبيني.

بدأت الشكوك تساور والديّ كنت المس ذلك في نظراتهما.

طلب أبي من المدرسة أن ترتب أمر ايصالي من المدرسة واليها في باصات التلاميذ.

واحزنني الوضع الجديد فمعنى ذلك واضح تماماً.

وهكذا مرّ شهران من حياتي.

واصيبت المديرة بخيبة أمل لدى رؤيتها درجات الامتحان.

واستدعتني المديرة لتعرف اسرار هذا التراجع في مستواي الدراسي، واضطررت أن اشرح لها كل شيء، وكان اشدّ ما يؤلمني تلك النظرات المشككة التي يرميها أبي وأمّي.

وحدثتني المديرة بما يسلّي خاطري.

اكدت لي المديرة ان الموضوع سيبقى سرّاً، ولدى عودتي الى المنزل كنت على عجلة .. الخوف يحاصرني، وفوجئت بصوت غريب يلاحقني وعرفت فوراً أنه صوت ذلك الشاب الفاسد، وقال في حديثه ما جعلني أصعق:

ـ لقد وصل بك الأمر أن تستنجدي بالمديرة.

فجأة قفز وجه فيروزة أمامي .. فمن اين لهذا الاحمق أن يعرف انني تحدثت الى المديرة ؟!

كانت أمّي تنتظرني كعادتها، وسألتني: هل حصل لك شيء.

أجبتها:

ـ نعم اظن انني اكتشفت سبب البلوى هتفت أمّي:

ـ من يكون ؟؟

ـ اظنها فيروزة..

ورويت لها ما حصل في الزقاق.

وفي اليوم التالي ذهبت الى المدرسة في الصباح الباكر.

ووجدت المديرة وحدها فحدّثتها بكل ما حصل قالت:

ـ حسناً فعلت يا أفسانة:

وجاءت الفراشة لتستدعي فيروزة في الحصة الأولى.

وتحدّثت المديرة مع فيروزة طويلاً، ولم تصمد فيروزة أمام الحقيقة فانخرطت في البكاء واعترفت بكل شيء.

لقد كانت تريد تدمير زميلتها افسانة بكل وسيلة.

وعندها طلبت المديرة عنوان سيامك ذلك الشاب الحقير، واتصلت فوراً بالشرطة، وفوجىء سيامك وانخطف لونه.

وفي تلك اللحظات وفيما كانت الشرطة تضع القيود في يديه طلبت من فيروزة ولآخرة مرّة ان تكفّ عن سلوكها الشائن وأن تهتم باصلاح ذاتها.

وبكيت في تلك اللحظات عندما رأيت شمس الحقيقة تشرق بين ركام الغيوم..

احتضنتني أمّي وقبلني أبي، وكان ذلك وسام مجد لي[1].

* * *

(١) مجلة جوانان: ١٤٥٠ / ٢٥.

(٩٤)

القلادة المباركة

الحياة في يثرب ينابيع متدفقة، والأمل ينمو يكبر غدا شجرة خضراء اصلها ثابت وفرعها في السماء، الذين نصروا النبي يعملون دائبين في زروعهم يرعون ماشيتهم والذين هاجروا وجدوا لهم متسعاً من مكان في الأرض وفي القلوب وغدا الجميع أخوة على دين واحد كلهم من آدم وآدم من تراب، والرسول لا يفتأ يؤلف بين القلوب يغسل عنها ادران الجاهلية.

علي يعمل يسقي الزرع أو يفجر الأرض ينابيع فيحصل لقاء ذلك على صاعٍ من شعير أو تميرات من نخيل يثرب.

كانت شمس الاصيل تغمر مسجد النبي باشعتها الذهبية، ومساقط الضوء تتناثر من بين جريد النخل كدنانير ذهب نثرت فوق عروس.

جلس النبي في قبلته بعد أن انفتل من الصلاة وقد تحلّق حوله أصحابه فبدا كقمر وسط النجوم، والزمن نهر يتدفق تتدافع قطراته بانتظام... أو رحى كبيرة تدور وتدور تهب السنين لمن يشاء ومن لا يشاء تفتح عيون الاطفال وتغمض عيوناً متغضنة الاجفان، تشدّ أعواد الشباب وتقوّس قامات الكهول، فالجميع الى

زوال ويبقى وجه الله ... الله وحده.

دخل المسجد شيخ عصف به الزمان نحت وجهه ومزّق ثيابه، يدب على الأرض دبيب نملة تبحث عن رزقها في يوم بارد.

هتف الشيخ وهو يتطلع الى النبي كأنـما يـتطلع إلى شـمس تـهب النـور والدفء:

ـ يا نبي الله أنا جائع .. عريان .. اشبعني واكسني.

أجاب النبي وقلبه يذوب تأثراً:

ـ ما أجد لك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله ..

انطلق الى من يحب الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله يؤثر الله على نفسه .. انطلق الى فاطمة ..

التفت النبي الى بلال:

ـ قم يا بلال .. فخذه الى منزل فاطمة

وقف الشيخ على باب يفضي الى عالم من أمل عالم يهب الخبز للجياع .. هتف الشيخ بصوت واهن.

ينوء بعبء السنين:

ـ شيخ عصف به الدهر واضرّ به الفقر .. واسيني يا بنت محمد.

نظرت فاطمة حواليها لم تجد شيئاً تسعف به انساناً ينتظر بأمل .. كان هناك في زاوية الحجرة جلد كبش مدبوغ فطوته وناولته الشيخ:

ـ خذه فعسى الله أن يختار لك ما هو خير منه.

دقق الشيخ النظر وتمتم:

ـ وما أصنع بجلد كبش يا بنت محمد!

واصعب شيء أن تهب المرأة زينتها اساور من ذهب أو فضة أو عقد مـن

لآلاليء البحر ، ولكن هناك ما يضيء في نفس المرأة يتألق في أعماقها تألق اللؤلؤ في الاصداف .

انتزعت فاطمة عقداًكان في عنقها وناولته الشيخ الملهوف .

ـ خذه يا شيخ .. عسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه .

عاد الشيخ الهوينى الى المسجد ... كان النبي ما يزال جالساً بين اصحابه قال الشيخ :

ـ يا رسول الله اعطتني فاطمة هذا العقد وقالت : عسى الله أن يصنع لك .

دمعت عينا النبي :

ـ كيف لا يصنع الله لك ! وقد اعطتك اياه سيدة بنات آدم .

سأل عمار وكان حاضراً :

ـ بكم تبيع العقد يا شيخ ؟

ـ بشبعة من الخبز واللحم ، وبردة يمانية استر بها نفسي واصلّي بها لربّي .

ملأ الشيخ كفيه دنانير من ذهب ودراهم من فضة فهتف جذلاً .

ـ ما أسخاك بالمال يا رجل !

غاب الشيخ برهة ثم عاد وبريق أمل يشع من عينيه ، وكلمات الدعاء وتمتمات الثناء تنساب من بين شفتيه فقد أغناه الله بعد فقر واشبعه بعد جوع وكساه بعد عري .

انطلق عمار الى منزله .. فسكب عطراً غالياً على العقد ثم لفّه ببردة يمانية وقال لفتاه وكان اسمه سهم :

ـ انطلق الى فاطمة وسلمها العقد وانت لها .

وانطلق سهم كسهم يجتاز البيوت حتى اذا وقف على باب فاطمة :

ـ السلام عليك يا بنت رسول الله ... العقد وأنا لك .

ـ العقد لي وأنت حرّ لوجه الله .

كاد الفتى يطير فرحاً .. كان يفكر بالحرّية يحلم بها . وها هي اللحظة التي كاد ينساها تتحقق فيدخل الدنيا حرّاً طليقاً .. انه لن ينسى أبداً فاطمة .. السيدة التي أعادت اليه شيئاً فقده منذ زمن .

عاد مهرولا الفرحة تطفو فوق وجهه جبينه مشرق وفمه كهلال عيد الفطر . وجد نفسه يعود الى عمار هتف عمّار :

ـ ما يضحكك يا سهم ؟

ـ اضحك لبركة هذا العقد .. اشبع جائعاً . كسى عرياناً واغنى فقيراً واعتق عبداً ثم عاد الى صاحبه .

وعندما أوت الطيور الى اعشاشها .. وعاد المزارعون الى بيوتهم وساق الرعاة غنيماتهم .. في طريق العودة وقد غابت الشمس ... لتتألق النجوم في صفحة السماء ويشرق القمر ... كانت حكايات السمر تتحدث عن قصّة عقد مبارك وهبته بنت محمد ثم عاد اليها بعد أن مسّت بركته جياعاً وعراة وعبيداً .. وهبتم الخبز والكساء والحرّية .

* * *

٩٥

الصدّيقة

عاد رسول الله الى المدينة، والفرحة تملأ صدره بفتح الله، فقد أمن جانب قريش وآن للدين الجديد أن يعبر شبه الجزيرة الى العالم كلّه.

توجه النبي كعادته الى المسجد فصلّى ركعتين، غسلت عنه وعثاء السفر وهموم الحياة، ونهض النبي لزيارة ابنته ذكراه من خديجة وكوثره الذي وهبه الله.

قرع الباب فهبّت فاطمة للقاء النبي، كانت تحاول إخفاء ما تعانيه من اعباء وتعب فتحت الباب والبسمة تشرق في وجهها.

تأمل النبي وجه ابنته الوجه المشرق تشوبه صفرة فبدا كقمر انهكه السهر في ليلة شتاء طويلة.

قال الأب بحزن:

ـ يا بنية ما هذا الصفار في وجهك وتغيّر حدقتيك؟

اجابت فاطمة بصوت واهن:

ـ يا ابه ان لنا ثلاثاً ما طعمنا طعاماً...

وقد بكى الحسنان من شدّة الجوع حتى غلبهما النوم..

أيقظ النبي ريحانتيه وضعهما في حجره وقد نسيا الم الجوع، كعصفورين فرحين بدفء العش.

كان علي يبحث عمّن يقرضه دريهمات يسدُّ بها رمق اسرته، وكانت الشمس ترسل اشعتها ملتهبة، لم تمض مدّة حتى وجد من يقرضه ديناراً فانطلق يشتري به شيئاً...

المدينة تبدو مهجورة وقد فرّ أهلها من الرمضاء والحرّ.

من بعيد لاح له رجل يمشي على غير هدى... دقق النظر فيه ولمّا اقترب منه بادره علي:

ـ ما الذي أخرجك يامقداد في هذه الساعة

ـ الجوع يا أبا الحسن.. عظني وأهلي الجوع.. وابحث عمن يقرضني درهما أو ديناراً.

ان للجوع فعله العجيب في النفوس... تارة يهذبها فتسموا الى السماء وتارة ينحط بها الى اسفل السافلين.. الجوع يصنع ملائكة وشياطين.. وكلا الخيارين يتوقفان على إرادة الانسان أو على غريزة ذلك الحيوان القابع في الاعماق المظلمة.

وليس في حياة علي من وقت لكي تنشب معركة بين الذات والايثار لأنه لا يوجد في اعماقه المضيئة من يعترض على إرادته التي صقلتها النبوات..

وهكذا قدم علي كل ما يمكنه الى اخيه وعاد الى البيت خالي اليدين.

كان المنزل هادئاً تغمره رحمة من السماء ووجد في الحجرة رسول الله... وكان الحسنان في حجره وفاطمة تصلّي في المحراب وقد ملأت فضاء الحجرة رائحة طيبة لطعام طيب.

ولما جلس علي قبالة رجل ربّاه في حجره تمتم النبي وهو يرمق السماء بخشوع، ـ اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فرغت فاطمة من تبتلها ومدّت يدها الى جفنة مغطاة... وكان في الجفنة خبز ولحم قال علي متعجباً:

ـ يا فاطمة أنى لك هذا؟

أجابت فاطمة بنت رسول السماء:

ـ هو من عند الله... ان الله يرزق من يشاء بغير حساب.

قال النبي مبتسماً:

ـ أن مثلكما كمثل زكريا إذ دخل على مريم فوجد عندها رزقاً قال: يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب.

لو ازيحت الحجب عن العيون لرأى سكان المدينة منزلاً الى جوار المسجد.. ولو دققوا النظر لرأوا اثر جبريل في حجراته..

يلج المرء فيجد نفسه في بقعة لا تنتمي الى طين الأرض... الى عالم من تراب... بقعة اختارتها الملائكة يوم هبطت على الأرض يوم اتصل النور بالطين ليولد الانسان السماوي الذي انطوت في اعماقه اسرار الوجود.

كانوا خمسة... محمد.. علي.. فاطمة... حسن وحسين.. اسماء ولدت يوم عطس آدم.. واستنشق نسمة الحياة.. ويوم قال الله لنوح: ان اصنع الفلك بوحينا.. ويوم فار التنور.

كان نوح يتأمل السماء وهي تنهمر مطراً كأفواه القرب وجبال من الغيوم تتراكم بعضها فوق بعض... ولتتحول تلك الأرض الجرداء الى بحر متلاطم الامواج وسارت السفينة باسم الله تشق طريقها في موج كالجبال.. ومقدمة السفينة ترتفع وتنخفض مالها من قرار اصوات الحيوانات وهدير الموج وتمتمات دعاء المؤمنين تمتزج تطهر القلب فيتألق الأمل.. الأمل بمستقبل طاهر للارض.

السفينة تجري لمستقر لها.. وقد اجتمع المؤمنون أمام خشبة صغيرة مستطيلة الشكل فيها اسماء اثارت دهشتهم وحركت كوامن الاسئلة في اعماقهم.. كلمات صغيرة واضحة مكتوبة بلغة شعب عاش قبل الطوفان، كلمات تحمل لهم الأمل بالخلاص بغصن زيتون اخضر كلمات تتألق بالوان قزح كلمات حفرها نوح تعويذة أمل في الحياة:

ـ يا الهي.. ويا معيني.

برحمتك وكرمك ساعدني.

ولأجل هذه النفوس المقدسة.

محمد

ايليا

شبر

شبير

فاطمة

الذين هم جميعهم عظماء ومكرمون.

العالم قائم لأجلهم

ساعدني لأجل اسمائهم انت فقط تستطيع ان توجهني نحو الطريق المستقيم.

وتمخر السفينة عباب المياه حتى استوت على الجودي وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي.. وعادت حمامة بيضاء تحمل غصن الزيتون.. وقد تألقت في السماء الوان الأمل والربيع.

وهمس النبي في أذن التاريخ وهو يضم ريحانتيه:

ـ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق.[1]

---

(١) وكانت صدّيقة / ١٤٧ ـ ١٥٢.

(٩٦)

الأم الصغيرة

استيقظت «خديجة» وشعور غريب بالفرحة والأمل، ينبعث في نـفسها، انبعاث النور في الظلام... وربّما فكّرت في سبب ما لهذه المـوجة الهـائنة مـن الفرح..

لم تكن تدري سبباً واضحاً لذلك.. فقد كان كل ما يحيطها يفجّر كـوامـن الحزن بل ويبعث على المرارة واليأس..

هاهي تشهد كيف تصب قريش العذاب على زوجها تضطهده.. تسخر منه.. وتكذّبه وهو الصادق الأمين.

تساءلت في نفسها ألعلّه الحمل الجديد والشجرة المثمرة عندما تحمل يعني الربيع والأمل والحياة.

ولكن كيف وقد أخذ الله «عبدالله والقاسم» من قبل. وتركا في قلبها حزناً عميقاً كجرح لا يندمل، ولكن لا.. لا أنها تشعر بالأمل.. يكبر في أعماقها ينمو ويتفتّح كوردة في الربيع.

وحملها هذه المرّة عجيب خفيف تكاد تطير به.. تشعر بالسكينة تترقرق في

قلبها كنبع بارد.. كما لا حظت شيئاً آخر.. مسحة من نور شفّاف تطوف فوق وجهها.. وشيئاً آخر أيضاً.. انّها لم تعد تشتهي طعاماً سوى الرطب والعنب.

أكملت خديجة ارتداء حلّة الخروج.. فزوجها ينتظر و «عليّ» الفتى الذي يتبع ابن عمه.. يلازمه كظله هو الآخر ينتظر.

انطلق الثلاثة.. أخذوا سمتهم نحو الكعبة مهوى الأفئدة وبيتاً بناه ابراهيم لربّه.

الكعبة تنشر ظلالها الوارفة فوق الأرض... والسكينة تغمر المكان ما خلا حوار هادىء لرجال جالسين حول «زمزم» كان أحدهم يراقب مشهداً بدا له عجيباً..

كان يرنو إلى باب «الصفا». وقد طلع رجل بين الأربعين والخمسين من عمره.. أقنى الأنف.. أدعج العينين كأنه قمر يمشي على الأرض والى يمينه فتى يشبه شبلاً وخلفهما إمرأة قد سترت محاسنها.

قصد الثلاثة «الحجر الأسود» فاستلموه ثم طافوا البيت سبع مرّات، بعدها وقف الرجل والفتى الى يمينه والمرأة خلفهما.

هتف الرجل الأدعج العينين: الله أكبر فردّد الفتى وراءه: الله أكبر وكذا المرأة خلفهما.. ركع الرجل الأزهر الوجه ثم سجد والمرأة والفتى يتابعانه.

وحول «زمزم» تساءل رجل قدم مكة حديثاً:

ـ هذا دين لم نعرفه من قبل.

أجاب رجل هاشمي:

ـ هذا ابن أخي محمّد بن عبدالله وامرأته خديجة وهذا الفتى عليّ بن أبي طالب وما على وجه الأرض يعبدالله بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة.

ساد الوجوم وجوه الرجال وهم يراقبون موكباً صغيراً يغادر الكعبة حتى

توارى خلف جدران البيوت.

وتمرّ الأيام وتمرّ الشهور ويكبر الحمل.. ويتألّق وجه خديجة بالنور.. يشتدّ سطوعاً.. وتبدأ آلام المخاض.

وبين صخور «حراء» كان محمّد يتأمل مكة، يفكر في مصير العالم وطريق الانسان.

بدا وجهه حزيناً كسماء مزدحمة بالغيوم.. يفكّر في قومه... يحزن من أجلهم.. يريد أن يفتح عيونهم على النور الذي اكتشفه فوق الجبل.. لكنّهم صدّواعنه.. اعتادوا حياة الخفافيش في الظلام.. أعرضوا عن ملكوت السماوات.. فسقطوا في حضيض الأرض ضاعوا بين عناصر التراب والطين.

لم يتركوا شيئاً إلّا وفعلوه.. آذوه.. سخروا منه.. عيّروه قالوا: أنه ساحر كذّاب.. أبتر سيموت ويموت ذكره.. فليس له ولد.

شعر بسكين حادّة تغوص في قلبه وهو يتذكّر سخريتهم منه.. ينادونه بالأبتر.

النبي يفكّر في قومه حزيناً حزن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم. آخر الأنبياء يفكّر غير ملتفت لما يجري حوله.

تكهرب الفضاء.. غلالة ضفافة كالضباب تملأ المكان.. وقد غمر الصمت جميع الأشياء.. اختفت الأصوات.. تلاشت ولم يعد «محمد» يسمع شيئاً سوى كلمات.. تنفذ في اعماقه نفوذ النور في المياه الرائقة..

كلمات مؤثّرة عميقة جفّ لها ريقه.. تصبب لها جبينه.. فبدا كحبّات لؤلؤ منثور.. الكلمات تضيء في أعماقه كالنجوم:

ـ إنّا أعطيناك الكوثر. فصلّي لربّك وانحر. ان شانئك هو الأبتر.

وانقلب الرسول إلى بيته فرحاً.. ولما دخل على زوجته وجدها هي

الأُخرى فرحة .. تنظر اليه بعينين تفيضان حبّاً ..

هتف بصوت يشوبه اعتذار:

ـإني وضعتها أُنثى وليس الذكر كالأُنثى.

تمتم النبي وهو يحتضن هدية السماء بحب:

ـإنّا أعطيناك الكوثر .. اسميها فاطمة .. ليفطمها الله من الشرور.

كلؤلؤة في حنايا صدفة بدت فاطمة بفمها الدقيق .. بعينيها الواسعتين كنافذتين تطلّان على عالم واسع .. عالم يموج بالصفاء والسلام.

أضاء الأمل منزلاً صغيراً من منازل مكّة .. وتفتّحت فاطمة للحياة كما تتفتح الورود والرياحين، ونمت في أحضان دافئة تنعم بقلبين ينبضان حبّاً لها وبنظرات تغمرها حناناً ورأفةً.

وكبرت فاطمة .. نمت وبدأت تعي شيئاً ممّا يجري حولها تنظر إلى امّها يغمره الحزن .. وربّما شعرت بمرارة تعتصر قلب أبيها وهي لا تعرف بعد سبباً لذلك .. تهفو نحو امّها .. تقبّل أباها .. فتعود البسمة الى الوجهين الحزينين .. وتشرق الفرحة من جديد كما تشرق الشمس من بين الغيوم لتغمر الأرض بالدفء والنور والأمل.

وتمرّ الأيام .. وتنمو فاطمة .. ويعصف القدر بقسوة .. وتجد الطفلة نفسها بين ذراعي والدتها في وادٍ غير ذي زرع .. حيث أيام الجوع والخوف والحرمان ..

تصغي إلى انّات المظلومين .. وتتأمّل سيوفاً مسلولة في الظلام.

كبرت فاطمة في «الشعب» فطمت اللبن ودرجت فوق الرمال .. ومرّ عام.

ومرّ بعده عامان آخران .. فجأة اختطف القدر امّها .. فقدت نبعاً ثرّاً من الحبّ ..

فاطمة تبحث عن أمّها تسأل أباها الحزين.

ـ أبه أين أُمّي ؟

ويجيب الأب المقهور وهو يحتضن ذكراه الغالية :

ـ أمّك في بيت من قصب لا تعب فيه ولا نصب .

تلوذ بالصمت .. تفكّر في أمّها عيناها تبحثان عن نبع سماوي ولكن دون جدوى .

كبرت فاطمة في زمن الحرمان .. في زمن الحصار .. في زمن اليتم .. في زمن القهر .. لهذا نشأت الطفلة .. نحيلة القوام كغصن كسير .. رسم القهر في عينيها الواسعتين لوحة حزينة منظراً ساكناً يغمره الصمت .. تفكّر .. تنطوي على نفسها في استغراق يشبه صلاة الأنبياء .

نشأت فاطمة في زمن الجدب .. فغدا عودها صلباً ضارباً في الأرض جذوراً بعيدة الغور .. فبدت أكبر من سنّها ونهضت تملأ فراغاً هائلاً أحدثه رحيل والدتها .. نهضت سيّدة صغيرة .. امّا رؤوماً لوالدها الذي اضحى وحيداً[1].

* * *

(١) عن رواية وكانت صدّيقة .

٩٧

حديث الصمت

لم يبق أحد غيرهما بعد أن غادر الجميع وتلاشى الضجيج وعاد السكون مرة أخرى يجثم فوق المكان مثل طائر حزين.

جلس الى جانبها، أراد أن يجاذبها حديثاً ما، لكنّه لزم الصمت، ربما فعل ذلك احتراماً لصمتها أو أنه استعذب الصمت مثلها فقد يكون للصمت أحياناً حديث يصغي له العاشقون، مدَّ يده، وراح يعبث بذرّات التراب كأنه يبحث عن شيء ضاع منه منذ أمدٍ بعيد همس معاتباً:

ـ أهكذا يفعل المحبّ؟!... هل من الانصاف ان تفعلي ذلك بي؟

لاذت بالصمت كعادتها، وحزّ في نفسه أنه لم يسمع جواباً.

يمكنكِ البقاء صامتة كماتشائين، ولكنني سأبقى أتكلم.

سكت لحظة. تمنّى أن يسمع جواباً، ولكن دون جدوى، كتب اسمها على التراب، حاول أن تكون الخطوط أشبه بزهرة متفتحة، لكن رغم براعته في الرسم بدت الخطوط اشبه ما تكون بقلب جريح.

استأنف حديثه مغمغماً:

ـ أتذكرين أفراحنا، وأحلامنا وتلك الأماني العريضة ؟ أم تراك قد نسيت كل ذلك ؟ لا اريد جواباً، إنني ما أزال احترم صمتك.. لكنّي اتعجب، ألا يحق لي أن اتعجّب ؟ .. لقد كنت معي في كل خطوة.. وكنت ترسمين صورة المستقبل، وكانت الدنيا لا تسع أحلامنا، ربّما تقولين: إننا لم نتعرّف على بعضنا إلّا مدّة وجيزة.. إنها أيام فقط، أو بضعة أسابيع. ولكنّها برغم كل ذلك كانت أياماً جميلة وطويلة في عمر الحبّ الذي احتضن قلبينا كعش ضم عصفورين بللّهما مطر الشتاء. لقد شعرت بأنني أعرفك منذ زمن طويل. منذ أن جئت الى الدنيا.

لم يسمع جواباً سوى الصمت الكئيب.. ترقرقت الدموع في عينيه، وأجال بصره محدقاً في المدى البعيد.

كان الصمت ما يزال سيّد المكان، ما خلا غراب كان ينعق فوق شجرة أحرقها الخريف.

استأنف حديثه بصوت أشبه بنشيج الميازيب في مواسم المطر:

ـ كيف حدث ذلك وبهذه السرعة ؟ لقد اتفقنا على كلّ شيء وعندما سافرنا الى بلاد الأندلس، كان حماس الشباب يملأ كلّ كيانك ووجودك، وكأن حملك لهموم الانسان في أعماقك قد حوّلك رغم شبابك الى أم رؤوم وسع قلبها جميع البائسين المعذّبين. وكانت هجرتك من أجل ذلك. ولكنك طعنت أقرب الناس اليك، آه أيتها الغالية سأذكرك رغم غبار الأيام وتراب السنين. وستبقى الذكريات تدوّي كأذان مساجدنا في سماء حياتي.

لن أنسى يوم سافرنا معاً وأنت بحلّتك البيضاء. ولن أنسى دموعك؛ وأنت تودعين أمّك. لقد شعرت ساعتها بأنّ شيئاً ما يشدّك نحوها، وكنت أضعف من أن تقفي بوجه هذا الحنين الذي يجذبك إليها، ولن أنسى أيضاً يوم كنّا نتطلّع باعجاب الى آثار الأجداد بناة الاندلس، وقلت حينها ما لن أنساه أبداً: إنني أحلم بعودة الاسلام الى هذه الربوع من جديد. إذن ما الذي جعلك تغيّرين رأيك بهذه السرعة

ونحن في طريقنا الى برشلونة ؟ هل هو حنينك الى أمّك ؟ أم أنـه ذلك السـائق الاحمق ؟ أم إرادة القدر؟

لا أريد جواباً. أنني ما أزال أحترم صمتك. وعندما قررت العودة رغم أنه لم يمرّ على وصولنا الاندلس سوى أيام فقط! أرتديت ملابس بيضاء الأنك مـا تزالين عروساً ؟ غير أنني قرّرتُ مرافقتك في طريق العودة، وبذلت جهوداً جبّارة لكي نستقل الطائرة معاً. وحلّقت البوينغ مثل طائر اسطوري. كنت متعباً من فرط الهم، فرحت أغطّ في إغفائه عميقة. وعندما وصلت «العاصمة» بحثت عنك في أرض المطار، ولكن دون جدوى. استنكرت، سألت، صـرخت. فـقالوا: لقـد تخلفتِ عن المجيء في (زوريخ)! دون مسوّغ مقنع. وانتظرت عودتك فى طائرة أخرى كما أخبروني واستقبلتك بملابسك البيضاء، بياض ثلوج القـمم، كـنت تشبهين حمامة غريبة وكان صمتك أبلغ من كل الأحاديث التي سـمعتها طـوال حياتي. وتوجهت فور وصولك الى امّك غير آبهة بي. كان هدفك الوصول اليها، اشبه ما تكونين بعصفور شريد أضناه السفر، فكان كلّ همّه الوصول الى عشه، قبل أن تغيب الشمس.

انسابت دمعة يتيمة وسقطت فوق التراب كقطرة مطر بائسة. سمع خطوات تقترب منه، رفع رأسه، وحدق في العجوز الغريب الذي انـتصب أمـامه كـقدر صارم، كان ينوء بحمل رخامة بيضاء وضعها بـبطء فـوق التـراب، ليـمنعه مـن التحدث اليها. امتدت الرخامة أمامه كتابوت من الثلج...

حدّق في النقوش السوداء المحفورة على الرخامة وتمتم وهو يقرأ بحزن وهو غير مصدق:

ـهذا قبر المؤمنة المهاجرة... التي وافاها الأجل في حادث سيارة.

قرأ الفاتحة، وشعر بأنه يقرؤها على نفسه أيضاً وغادر المقبرة وحيداً[1].

---

(١) آخر الليل «مجموعة قصصية».

٩٨

المولودة البريئة

وصل الدكتور منصور من المستشفى الى المنزل مساءً كعادته. وكان يقضى النهار منذ التاسعة صباحاً في مستشفاده بين البكاء والأنين وفي زحام المرضى والزائرين.

جاءت فاطمة زوجته بكوب شاي كما اعتادت. فالتفت الدكتور اليها وهو يتكلف الابتسام..

توجّست فاطمة في وجه سيّدها شيئاً ما يهمه ويكتمه عنها.

ولم تكن فاطمة ترى زوجها مهموما كما هو الآن كلما وصل الى المنزل، ولكن كان لَبِنا نشيطا ينطلق لسانه بنكات طريفة مما رأى وشاهد في ذلك النهار وهكذا يمضي معها في هذه التسلية والاستراحة برهة. لأنه ليس له إلا هي وليس لها الّا هو. ولم يرزقا طفلاً طوال هذه السنوات العشرة.

نعم، كان يفكر مع أنه يكلّف الكلام.. فقطعت فاطمة صمته قائلة: هل تقول لي.. ما الذي يهمّك اليوم كأنك تعاني مشكلة؟

نظر منصور إليها قليلا ثم قال:

لا والله .. ما في مشكلة . بل كنت افكر فيما قدّر الله في عباده .. ثم أخذ يقصّ بعد نفسٍ طويل :

قبل بضعة أشهر قد جاء الى المستشفى شابّ وكان معه زوجته الحامل . ثم طلب الشاب مني الاجهاض ..! وزعم أنه قد عرف من فحص طبيّ أنّ الجنين أنثى ! مع أنهما يرغبان في ولد ذكر !

وبالطبع رددتهما وأبيت الاجهاض لانه خطر تماماً . ولعله يسبّب حتى في موت الأم في هذه الحالة .

ومضت الأيام والشهور .. والآن هذه المرأة نفسها قد أدخلت أمس في المستشفى وولدت طفلة صباح اليوم .. فرأيت في وجه الشابّ نفرة من هذه الطفلة البريئة . وعلى أيّ حال ما توقّعت منه أن يجترىء بتلك الهمجية على الطفلة .. وقد وقع فعلا ..

وقبل أن أغادر المستشفى في المساء كنت ماشيا في رواق قسم الولادة ففاجأت بحوار متصامتٍ من تلك الحجرة .. فاستمعت الى الحوار بغير أن يعرفوني فعلمت أن ذلك الشابّ الجهول يريد شنق الطفلة ويقتلها ...! والأم تمنعه وتبكى وتطلب النجدة !

فلم أتمالك نفسي ولم ألبث أن اقتحمت الباب .. ثم وبختهم على هذه الجاهليّة البشعة . وبعد حوار طويل ايقنت أن هذا الرجل جافّ غليظ أن لم يفعل الآن فغدا يفعل .. وأخيراً وعدتهما بكفالة الطفل .. ولكن من غير أن يعرف بهذا أحد ...

تنفس منصور أيضاً ثم سكت . ساد الوجوم بينهما ولم يدر ماذا يقول بعدُكما أنها لا تدري ما تقول لزوجها .. مع أنهما يقاسيان وحشة قاتمة طوال هذه السنوات . ولقد وهبهما كل ما في العيش من السعادة غير أنهما ما زالا في حنين

دائم إلى طفل يلهو ويرتع في هذا المنزل.

قطعت فاطمة الوجوم وكأنها أزمعت شيئاً.. وعيناها تذرفان.. وقالت كأم رؤوفة على رضيعها.. هلمّ نكفّلها، ونربيها.. نسمّيها نزيلة.

تربت نزيلة في هذه الأسرة على أحسن تربية. ولم يمض عام من عمرها إلّا وكان لها شأن متفائل بين أقرانها وتفوقت بين اقرانها في الخلق والخلقة والسلوك والسيرة حتى تخرجت بعد سبع وعشرين سنة من كلّية طبيّة والتحقت طبيبة في مستشفى ابيها منصور.

وما زال المستشفى يتقدّم في الشهرة لدى الناس، وكان الدكتور منصور هو الوحيد في هذا المستشفى، وهو الآن متقاعد لا يأتي الى المستشفى إلّا عند الطوارىء، وهناك أطباء ماهرون هم يعملون في جهد تحت رئاسة الدكتورة نزيلة ابنة منصور، وقد اشتهرت هذه الفتاة الذكية بين الناس بمعاملتها المرضى والزائرين وتيسير العلاج لهم وبإتقانها مهنتها كما كان منصور كذلك.

ذات يوم تخلفت نزيلة عن موعدها للوصول الى المنزل وكان أبوها منصور وأمها فاطمة ينتظران وصولها كل يوم ثم يجلسون معاً يأكلون طعامهم ويمضون في التسلية والاستراحة.

وبعد ساعات من الليل وصلت نزيلة الى المنزل، فاستقبلها منصور بفارغ الصبر لمعرفة أخبار المستشفى وسالها: ما سبب تخلفكِ اليوم يا ابنتي؟

أخذت الدكتورة نزيلة تقصّ وقالت: إن رجلا جريحا أدخل المستشفى مساء اليوم، وقد اصيب بعدّة ضربات على ظهره وبطنه والدم ينزف منه حتى صار على وشك الموت، وكان الرجل في حاجة الى الدم فلم نجد أحدا يعطى له الدم من نفس الفصيلة فتقدمت أنا بدمى لمنحه وكان دمى من فصيلة ذلك الرجل الجريح حتى استطعنا أن نداويه وهو الآن قد سلم من الخطر! وقد تبلّلت عيوننا

لما علمنا أن ابنه الوحيد هو الذي اجترأ على طعنه بهذه الضربات الشديدة.

تنفس منصور الصعداء ثم شكرها على مواساتها للمرضى وفي صباح الغد خرج منصور مع نزيلة الى المستشفى ثم تجول مع الأطباء والممرضات في حجرات وأجنحة المستشفى. ولما وصلوا إلى حجرة ذلك الرجل الجريح خطر منصور اليه ثم فكر قليلا وسأل:

أخي! هل أنت سلمان؟ وهل هذه المرأة زوجتك.. ليلى؟

قال الرجل: نعم يا دكتور.. وكيف تعرفني باسمي؟!

منصور: نعم! نعم.. لا أنساكما.. وقد جئتما الى هذا المستشفى قبل سنين طويلة وطلبت منّي الاجهاض؟ ولكن رددتكما.. ثم لما ولدت هذه المرأة بنتاً...

تقاطرت الدموع من عيني الرجل والمرأة وأخذ الرجل يقول!:

عفوا يا سيدي الدكتور تكفلتها منا... ولا ادري هل هي على قيد الحياة! لقد كانت حقا مبدأ تعاستنا.. وها أناذا الآن أعاني آلام تلك الجريمة.. وبعد طول انتظارنا رزقنا الله ولدا ذكرا.. ولسوء الحظ شبّ هذا الولد مسرفا لدودا.. أهلك كل مالي ومكاسبي.. وعق أباه وأمه، وذات يوم نصحته كعادتي... ولكنه هجم عليّ بخنجر ثم ضربني هذه الضربات القاتلة.. وها أنا وهذه المسكينة قد أعقبنا الدهر حسرة وندامة رغم هذه الآلام والنكبات! ثم راح يبكي وتبكي معه زوجته ونزيلة والأطباء والممرضات ينظر بعضهم بعضاً..

تنفس الدكتور منصور طويلا ثم قال بصوت خافت: آه... ولكن الله يقضي في عباده ما يريد...

فنظر الرجل إليه وقال: نعم يا دكتور! إن الله تعالى قد علّمني أن السعادة والشقاوة ليست كما نحسب نحن... والله قادر على أمره... فهل تسمح لي أيها الدكتور... أين ابنتي التي تكفلت منا.

اقترب الدكتور الرجل وقال: صبرا يا أخي .. إني قد كفلتها وربّيتها وعلّمتها العلوم والآداب حتى تخرجت من كلّية طبية ...

تنفس الرجل ونظر الى الدكتور ... فأردف منصور قوله:

هل تذكر يا أخي تلك الدكتورة الشابة التي أعطتك دمها من نفس فصيلة دمك! حقا انها ابنتك ... الدكتور نزيلة !! هي ذا أمامك!

فارتج المستشفى بالأنين والصياح ...

آه ... عفوا يا ابنتي .. عفوا ... آه ... يا أبي ... يا أمي ...

* * *

(٩٩)

سالومي !

كان صوت يحيى بن زكريا يدوّي في السجن :

ـ آه من الخليعة العاهرة .. ابنة بابل ..

ليرجمها الناس بالحجارة ، فتزول الآثام من الأرض ، والّا فسترتدي السماء ثوب الحداد ، ويصير القمر بركة من الدم وستسقط النجوم على الأرض ، وسيحلّ الرعب في قلوب الملوك .

كانت «سالومي» تصغي بحقد الى كلمات يحيى تفجّر الغيظ في صدرها .. وزادها فتنة .

همست سالومي في أذن هيرودس !

ـ سأرقص من أجلك .

وجنّ هيرودس :

ـ أعطيك ما تشائين .. أمنحك نصف مملكتي أغرقت الجواري «سالومي» بالعطور .. هتفت بخلاعة .

ـ بقدمين عاريتين سأرقص لك .. بقدمين مثل حمامتين بيضاوين سأرقص لك .

هبّ هيرودس من عرشه.

ـ آه! رائع عظيم! لقد رقصت من أجلي.. اقتربي يا سالومي.. سأعطيك كل ما تشتهين.. اقسم بآلهتي.

خرّت «ابنة بابل» عند قدميه:

ـ أريد أن تقدّم في طبق من الفضة.. رأس يحيى.

ـ لا.. لا.. يا سالومي.

ـ ولكنك أقسمت بآالهتك!

ـ لن أفعل! اطلبي مني شيئاً آخر.. اعطيك نصف مملكتي

ـ أريد رأس يحيى!

لعبت الخمرة برأسه، وانتزعت اصابع «ابنة بابل» خاتم الموت من يده!

وسقط رأس يحيى بن زكريا عند قدمي سالومي!!

في طبق من الفضة كان رأس يحيى يتألق في الظلام وقالت سالومي منتشية:

ـ أن عينيك اللتين كانتا مخيفتين قد أغلقتا الآن، ولسانك لا يتحرك، لن يقول شيئاً هذا اللسان..

انا سالومي ابنة بابل.. أميرة اليهودية.. ما زلت أحيا أما أنت فقد مت، أصبح راسك ملكاً لي أفعل به ما أشاء! سوف أرميه لنسور السماء.

ارتجف هيرودس لهذه الراقصة.. تتشفى من يحيى.. صرخ بهلع:

ـ هذه المرأة تعجّ بالشرور.

خاطب جنوده:

ـ اطفئوا المشاعل!

كان يريد الهروب.. وفيما هو يغادر قاعة الحفل حانت منه التفاته.. كانت

سالومي ما تزال تخاطب رأس النبي كانت تحمل طبق الفضة وتدور به مـجنونة أروقة القصر.

صاح هيرودتس بجنوده:

ـ اقتلوا هذه المرأة!

وتدافع الجنود لسحق إمرأة داعرة فسقطت ممزّقة وعلى وجهها آثار رعب وخوف..

وكان وجه يحيى يسطع نوراً

وبدا قصر هيرودتس مخيفاً.. نوافذه مشرعة تعصف بها الريـح مـن كـل مكان[1].

* * *

(١) عن رواية: «امرأة اسمها زينب» ٤٥ ـ ٤٨.

١٠٠

جان دارك

كانت فتاة قروية، ولكنها اصبحت رمزاً للوطنية في فرنسا لقد افتدت بلدها بدمها فخلّدها الشعب الفرنسي واعتزّ بها اعتزازه بالعظماء.

لقد نهضت تواجه الظلم والقهر في واحدة من اشدّ اللحظات حراجة من تاريخ فرنسا.

في حزيران سنة ١٤١٢ م فتحت جان دارك عينيها في قرية تدعى ودومرمى، في اللورين.

وصفها المؤرخون بانا جميلة ومحجبة ومؤمنة،كانت تمضي وقتاً طويلاً في مطالعة الكتاب المقدس، وكانت تبكي من أجل الوطن وتدعو من أجل خلاص الناس.

وفي لحظة صفاء انبعثت في أعماقها انها مكلفة بانقاذ فرنسا من براثن المحتلين.

ونهضت لتتوجه الى شارل السابع ولتدخل عليه وتقول له بشجاعة: «لقد ارسلني الله من أجل انقاذ «اورليان» و«فرنسا» من العدو.

وكان وجهها المضيء ولغتها الصادقة واخلاصها للـوطن وشـجاعتها قـد دفعت شارل لأن يتساءل: وماذا تريدين مني ؟!

اجابت: ان اقود الجيش لتحرير فرنسا من قبضة العدو.

ويعقد الملك مجلساً للاستشارة يتألف من قادته العسكرين، واستدعيت جان دارك للمشاركة وتحدثت جان دارك لتقول:

انني املك قلباً يموج بالعاطفة... قوياً، وإن عضدتموني فأنا قادرة عـلى انقاذ فرنسا.

قال قائد محنّك.

ـ لسنوات طويلة ونحن نحارب، ولم نتمكن من طرد العدو فكيف يتسنى لراعية مثلك ان تنهض بهذه المهمّة!

اجابت بصرامة:

ـ لو اتحد الفرنسيون من أجل انقاذ فرنسا وحاربوا فـان النـصر سـيكون حليفهم لا أن يقاتلوا من أجل المجد العسكري.

وفي اليوم التالي: ظهرت جان دارك ممتطيه صهوة جوادها وبيدها سيف طويل جاءت به من كنيسة سانت كـاترين، وراحت تـجوب شـوارع المـدينة وتحرّض مواطنيها الذين التفّوا حولها مشدوهين.

وراحت جان دارك تهتف:

ايها الرجال الشجعان! ايها المضحون انهضوا... فرنسا فـي خـطر!.. لقـد تضرج اخوانكم بالدماء ان وطنكم بحاجة اليكم.. انهضوا يا ابناء فرنسا.. انـهم سيحطمونكم سيقضون على استقلالكم.. انهضوا واقتلوا كـل مـن يـقبّل ايـدي الاجانب.

انهضوا لتنقذوا بلادكم بسواعدكم القوية.

وقد سطرت جان دارك رسالة الى قائد الجيوش الانكليزية .

«ايها القائد الأكبر الذي سخّر جنوده في تنفيذ اقذر العمليات اللاانسانية ألا وهي قهر واسر امّة اخرى أنا جان دارك ابنة فرنسا !

انني اقسم بالله ـ الذي خلقني والذي منحك هذه السطوة التي اسأت الاستفادة منها وجعلتها حربة لقهر الآخرين على انقاذ فرنسا من براثنك ..

غير انني وقبل كل شيء اتوسل اليك بان ترحل وجنودك عن ترابنا .. والاّ فانني اقسم بالله الذي حمّلني مأمورية انقاذ بلادي سوف احاربك .

وهكذا قادت جان دارك ستة آلاف من الجنود وجموع غفيرة من الشعب الى ميادين القتال .

وكان لظهور جان دارك دوراً في تغيير موازين الحرب وابدى الفرنسيون ضروباً فريدة في القتال والاستبسال .

وقبل غروب أحد الأيام وبعد سبعة اشهر من القتال حطم الفرنسيون طوق الحصار عن «أورليان» .

واعتبر النصر الذي احرزه الفرنسيون من أكثر الانتصارات التي اثارت دهشة الجميع .

وعندما كانت جان دارك تجتاز اجساد القتلى قالت بمرارة :

ـ انني لن أغمد سيفي حتى انتهاء مهمتي .

ولقد كان لتضحيات جان دارك الدور الأكبر في دحر الانجليز في «باتاي» وأسر قائد القوات الانجليزية «تالبوت» .

وبعد ثلاثة أشهر اقيمت مراسم لتتويج الملك شارل وفي تلك الفترة عزمت جان دارك العودة الى قريتها ولكن الملك لم يسمح لها ، بل وأوكل اليها قيادة الجيش الفرنسي .

وفي آيار سنة ١٤٣٠م وقعت جان دارك اسيرة بأيدي البورغونيين الذين باعوها إلى العدو بعشرة آلاف بوند.

وقدمت جان دارك للمحاكمة في «روان» عاصمة «النورماندي».

وكانت جلسات المحاكمة التي عقدت من أجل محاكمة تلك الفتاة البطلة من أكثر الاحداث اثارة.

وكانت هيئة الحكم تتألف من مئة من القسس، وخاطبت جان دارك القضاة قائلة.

ـ هل انتم فرنسيون لكي تحاكموا جان دارك؟!

وصرخ الرئيس: احذرك .. ان هذه المحكمة مقدسة ولقد تشكلت باسم الامة الفرنسية .. انك متهمه بالسحر؟ والشعوذة واهانة الرب والسيد المسيح وذبح الشعب الفرنسي!

واجابت جان دارك:

ـ هل يعدّ السعي من أجل انقاذ البلاد وطرد الذين داسوا استقلال الوطن خيانة؟! لقد حرّرت وطني بقوّة الايمان بالله، والايمان بقدرة الامّة الفرنسية، وهل يعدّ الايمان بالنصر سحراً وشيطنة؟!

إذا كنت تدعي القضاء .. وأردت ان تقضي بالعدل فانك لن تحتاج الى استجوابي .. ان الامة الفرنسية هو التي ستحكم في تضحياتي.

سأل القاضي:

ـ هل تعترفين بانك كنت تقتلين جنود العدو وانك كنت تنظرين الى جثث القتلى وتضحكين؟

ـ أجل .. ان العدو لم يرحمنا ولهذا لم أرحمه .. كنت اطاردهم في كل شبر من فرنسا وعندما يعودون إلى بلادهم فانني لم اضع قدمي في ارضهم .. ذلك ان

الهجوم على تراب الآخرين هو من اقذر الاعمال البشرية.

قال الرئيس:

هل تتصورين بان المحكمة ستبرىء ساحتك بعد كل هذه الجرائم وكل هذه الشعوذة والسحر؟

وكانت كلمات جان دارك الاخيرة.

ـ ان الله وحده هو الذي يمكنه انقاذي.

لقد عجز القضاة عن انتزاع اعتراف من جان دارك بانها كانت تستخدم السحر والشعوذة في صنع الانتصارات، ولهذا عمدوا الى تعذيبها فكانت تتحمل سياط الجلادين بصبر عجيب.

ومع كل هذا الصمود فان المحكمة اصدرت حكمها بادانة جان دارك بارتكاب اعمال السحر والشعوذة وحكمت بالاعدام حرقاً.

وفي حزيران سنة ١٤٣١ سيقت جان دارك لتنفيذ الحكم.. وراحت السنة النار تلتهم الفتاة البطلة التي اعتبرها الشعب الفرنسية قديسة بعد ان راحت ضحية من أجل الوطن والحريّة والاستقلال.

* * *

(١٠١)

المشاكسة

كنت اشتغل معلمة وكان ذلك في سنة ١٩٦٤ ، وذات يوم جاءت المديرة لتدخل الصف الأول الذي ادرس فيه ، ورجتني الموافقة على قبول تلميذة جديدة التحقت بالمدرسة بعد شهرين من بدء السنة الدراسية .

ولم تنس المديرة ان تشير الى ان هذه التلميذة مشاكسة جداً الى درجة انها قادرة على ان تنشر الفوضى في المدرسة كلّها !

وعلى كل حال فقد وافقت على استقبالها ، وكانت بنتاً خلاسية الوجه قبيحة الى حدّ ما خاصّة مع شعرها المجعّد .

وبدأ سيل الشكاوى في الايام الأولى يأتي من كل صوب .

كانت تنهال بالضرب على زميلاتها بقسوة ، وكانت تستخدم اسنانها القاطعة أيضاً في عراكها .

كما كانت تقلّد حركاتي وسكناتي !

وذات ارتنـي باطن قدميها وكانتا مزرقتين بسبب ضرب مبرح !

واكتشفت من خلال حديثي معها أن امها قد توفيت وأن أباها قد تزوج من

امرأة أخرى، ولم تكن على علاقة طيبة معها.

لم تكن لديّ سوى طفلة عمرها سنة واحدة ولهذا اتفقت مع زوجي أن آخذ تلك الطفلة بحجة وأخرى، وذهبنا الى منزل «پروانة» وهذا اسم التلميذة المشاكسة.

لم يكن زوجي راضياً بالطبع خاصّة وقد سمع عن سلوكها الكثير حتى زميلاتي في المدرسة استقبحن هذه الخطوة، كيف يمكن تحمل مثل هذه البنت المجنونة ؟! وهكذا جئنا بها الى شقتنا في الطابق الثالث رغم لوم اللائمين.

في الأيام الأولى كانت تؤذي إبنتي «زهراء»، ولم تكن تعرف كيف تأكل طعامها.

كانت تهجم على كل شيء وظلت عاجزة لا أعرف ماذا أصنع ؟!

ولولا كلمات استاذي «فروغ مالك» لانهرت أمام هذه الحالة كانت كلماتها تدوى في اعماقي: «ليكن عملك من أجل الله... في سبيل الله... ليصبح في عين الله».

وحدث أن غشي عليها وذلك بعد اسبوعين من مجيئها الى منزلنا واخبرنا الطبيب أنها مصابة بالصرع... في حالة لا يمكن علاجها أبداً.

وليس هناك من طريق سوى مدّها بالمنشطات اضافة الى اعطائها اقراص «كاروئين» حيث يتعين تناولها في اليوم ثلاث مرّات وفي هذه الحالة فقط يمكن التخفيف من حدّه المرض.

ومع كل هذا فقد كنت اقاوم وكنت قد شمت بان الكبد غذاء يقوي الاعصاب فكنت اشوى لها الكبد يومياً، كما كنت اطعمها الموز صباحاً في الساعة العاشرة.

تحسنت حالتها، ولم تعاودها نوبات الصرع.

وخلاصة الأمر أنها تعلمت القراءة، وتوقف ايذاؤها لزميلاتها.

في البيت كانت ترافقني كظلّي، وكانت ترجّل شعر زهراء وتضفره، وتضاعف حبا لها كثيراً.

عندما اجتازت پروانة الصف الأول فكرت ان ارافقها في انتقالي الى هذه المرحلة من التعليم الابتدائي.

كان هدفي الّا تذهب جهودي مع پروانة ادراج الرياح.

ومن المثير انها اجتازت الصف الثاني بنسبة متفوقة اصبحت تلميذة جادة تغيّر سلوكها تماماً.

وعادت پروانة الى منزلها، وكانت زوجة ابيها قد رزقت طفلاً وقد اثر هذا على موقفها من پروانة وراحت تنظر اليها بشفقة ورحمة.

واجتازت پروانة الثانوية في اعدادية «پروين اعتصامي»[(١)].

وذات ليلة وعندما كنت اشاهد ندوة طبية في التلفاز اثارني تصريح للدكتور سماواتي، ذكر فيه انه جرّب دواءً عشبياً في معالجة حالات الصرع وان الاستجابة مشجعة تماماً وانه استطاع معالجة حالات عديدة بهذا ؟؟

قررت ان آخذ پروانة معي الى اصفهان، وعلى مدى ثلاثة اشهر كنت اصحب پروانة الى تلك المدينة للعلاج وتحسنت حالتها كثيراً ولم تعد تتعاطى اقراص الكاروئين.

وتزوجت پروانة وانجبت طفلاً بعد أن أصبحت معلمة.

انني اشعر بالفخار لأنني ومن خلال قدر من التضحية استطعت ان انقذ طفلة في حافة السقوط لاعيدها الى المجتمع فتاة مفيدة ومنتجة. وان اقدمها امرأة صالحة.

---

(١) شاعرة ايرانية معاصرة.

(١٠٢)

المتصدّقة

مرّ رسول الله عيسى بن مريم بجمع محتفل بعرس، فسأل لمن الفرح قيل له: ان فلانة تزوجت من فلان.

فقال (ﷺ): يفرحون اليوم ويبكون غداً.

فسأل أحدهم: ولمَ يا رسول الله؟

اجاب المسيح (ﷺ) ذلك ان هذه الفتاة ستموت الليلة.

قال الحواريون: صدقت يا رسول الله.

وقال الذين في قلوبهم ريب: ستظهر الحقيقة غداً وفي صباح اليوم التالي ذهب بعضهم يستطلع الأمر فقيل: انها بخير.

لهذا هرعوا الى المسيح وقالوا: لقد اخبرتنا عن موت الفتاة وها هي صحيحة معافاة!!

قال المسيح: انها إرادة الله سبحانه، فلنذهب الى بيت العروس واستأذن المسيح زوجها في أن يسألها.

واخبر الزوج زوجته عن قدوم المسيح مع جمع من اتباعه.

قال المسيح للفتاة: ماذا فعلت الليلة الفائتة ؟

قالت العروس: اعتاد فقير ان يطرق بابنا في كل ليلة جمعة فـاعطيه مـن الطعام ما يكفيه اسبوعاً.

وقد طرقنا ليلة أمس، فلم يستجب له أحد وسمعت صوته وهـو يـطلب حاجته، فنهضت من حيث لم يعرفني أحد وأعطيته طعامه.

قال المسيح اكشفي عن فراشك، فلما كشفت الفراش اذا بها ترى افعى ميتة.

قال المسيح: لقد دفعت الصدقة الأجل الذي قدر لك.

* * *

١٠٣

الأم العظيمة

كان عبدالمطلب قد نذر لله نذراً اذا رزقه الله عشرة من البنين فأنه سيضحّي بأحدهم.

ورزقه الله .. وجاء يوم الوفاء بالنذر، فاقرع بينهم فخرجت القرعة على ابنه عبدالله أصغر واحبّ ابنائه اليه.

وحزنت قريش لهذا .. فعبدالله فتى ليس له في مكة من يعدله ادباً وخلقاً.

وقالت الكاهنة أنه يستطيع أن يفتدي ابنه بالأبل .. يمكنه أن يقرع بين ابنه وعشرة من الابل وفي كل مرّة كانت القرعة تخرج على عبدالله وكان عبدالمطلب يزيد الأبل عشرا عشراً حتى تكاملت مئة من الأبل.

وكان في بيت «وهب» زعيم قبيلة «بني زهره» قلب يخفق من أجل عبدالله .. انه قلب «آمنة».

وجاء البشير الى بني زهرة الى بيت وهب لقد خرج السهم على الأبل .. مئة من الابل فداءً لعبدالله بن عبدالمطلب.

وشاء القدر ان يبدل ذلك الحزن الى فرحة كبرى .. بل فرحتين، لقد رأى

عبدالمطلب أن يخطب لابنه الذبيح آمنة ابنة وهب.

ولقد كانت النسوة في مكّة يترقبن مرور عبدالله تبهرن هالة من النور تحيط وجهه .. ان لهذا الفتى شأن وأي شأن.

وتمّت مراسم الزواج.

وعندما استيقظت آمنة وهي ما تزال في ثياب العرس دهشت لهالة النـور أنها تحيط وجهها .. كما تحيط الهالة القمر وشيء ما يموج في اعماقها انها ستكون امّا لانسان عظيم ..

وهكذا عاشت آمنة شهوراً وهالة النور تحيط وجهها المضيء .. النور الذي كان يتألق على وجه ابراهيم الخليل ذلك الفتى الذي حطم الاصنام .. النور الذي راح ينتقل عبر الاجيال الطاهرة حتى حلّ في بني قصي والى عبدالمطلب والى عبدالله فآمنة .. ثم ليتألق في دنيا الوجود عندما ولد محمد.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة